A L I . B A D E R

علي بدر

ماسينيون في بغداد

من الاهتداء الصوفي إلى الهداية الكولونيالية



علي بدر

ماسينيون في بغداد

من الاهتداء الصوفي إلى الهداية الكولونيالية

مَاسِينيون في بَغْدَاد

مِن الاهتِدَاءِ الصوفي إلى الهِدَايَة الكولونيَاليَة

ماسينيون في بغداد : من الاهتداء الصوفيّ إلى الاهتداء الكولونياليّ / فكر
علي بدر / مؤلّف من العراق
الطبعة الثانية ، 2010

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب :5460-11 ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : 751438 / 752308
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب : 9157 ، هاتف : 5605432 ، هاتفاكس : 5685501
E-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الألكترونيّ : www.airpbooks.com
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
®

خطوط الغلاف : **زهير أبو شايب / عمّان**
الصفّ الضوئيّ : **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر / بيروت ، لبنان**
التنفيذالطباعيّ : **ديمو برس / بيروت ، لبنان**

ISBN 978-9953-36-371-4

الإهداء

إلى روح والدي

«هؤلاء البشر المساكين المستعمرون لا يوجدون لأغراضنا وحسب بل يوجدون بذاتهم ولذاتهم»

L. Massignon

مدخل الكتاب

في العام ١٩٠٧ ، كلف الجنرال دوبيلي ماسنيون القيام بمهمة تنقيبية عن الآثار جنوبي بغداد ، وقد وصل ماسنيون إلى بغداد منفصلا في بعثة آثارية تبحث عن قصر الأخيضر جنوبي كربلاء ، وكان عمره خمسة وعشرين عاما ، فعاش حياة متقشفة ، متخفيا بملابس ضابط تركي ، ومحميا من قبل العالمين محمود شكري الآلوسي والقاضي علي نعمان الآلوسي . وبعد أن ذهب ماسنيون في غارة الصحراء إلى الجنوب من بغداد للبحث عن قصر اللخميين قصر الأخيضر ، رفض أحد الفرنسيين دفع كفالة مستحقة عليه بتحريض من مجموعة من الموظفين الرسميين ، فاشتبه بماسنيون من قبل أحد الضباط الأتراك ، وألقي القبض عليه بتهمة التجسس والاشتراك بالمؤامرة الماسونية على السلطان عبد الحميد ، وعذب وحكم عليه بالموت ، واقتيد عبر سفينة في دجلة إلى بغداد مارا من طاق كسرى حيث يرقد هناك الصحابي سلمان الفارسي الشاهد المسيحي على ولادة الإسلام ، وفي السجن وعبر القمرة الصغيرة التي تفصله وأثناء تراقص موجات الماء المرتعشة فوق السقف ، رأى ماسنيون حمامة محنية تهدل فوق شجرة نخيل ، ومن ثم أخذت تهدل بصوتها العذب قرب نافذته ، وبعد صمت قليل أدرك حقيقة العفو وهي تخرج عبر التعويذة التي حطمها ، وتخرج عبر الاسم الذي تلفظه وهو الحلاج ، لقد أدرك ماسنيون

وهو يمر من الطاق ، وعبر مرآته الداخلية ، الغريب الذي زاره ، مثلما زار قبل سبع سنوات هويسمان ، الروائي الفرنسي الذي شهد ماسنيون موته قبل مجيئه إلى بغداد ، فاختفى الغريب وراء ملامحه ، ووقف الكفن الشفاف بينهما وهو يتقزح أمام عبارته الخلاقة ، لقد تعرض ماسنيون إلى تحول روحي كبير ، بينما كان آل الآلوسي يبذلون جهدا كبيرا لإنقاذه وكفالته أمام حازم بك .

وبعد أن تمكن علي الآلوسي ومحمود شكري الآلوسي من كفالته وإطلاق سراحه ، عاد إلى منزل الآلوسي لمداواته وشفائه ورعايته حتى زالت جميع أعراض التعذيب عنه ، فقاما بمرافقته حتى بلغ مكانا آمنا ، ومنحاه خاتما مكتوبا عليه (عبده . . . محمد ماسنيون) ، ومن هناك رافقه الأب الكرملي إلى سوريا ، ليذهب الكرملي إلى روما وماسنيون إلى باريس . وتبتدىء هذه الرسائل منذ وصول ماسنيون إلى باريس ولا تنتهي إلا بموت الكرملي ، وهي موجودة في دار المخطوطات العراقية في بغداد من الرقم ٣٥٠٢٢ إلى الرقم ٣٥٠٦٧ .

توطئة منهجية في التعليق والتحقيق

(ينشأ الكتاب عند بورخس من صدفة أو مفاجأة . .
وهو شيء غير متوقع على الإطلاق)

Anne Briole

Borges, les écrits fantastiques

**

(كان الأمر أشبه بما يحدث في كتاب إنكليزي قديم ،
مثل كتاب بريسبريج ، ولكن مؤلف هذا الكتاب
كان أمريكيا ، بقيت محدقا باحثا عن «رأس الخنزير»
و«روز ماري» و«ماغدا تشارتا» و«الكركيت
على الموقد» وبقية الطاقم)

Rudyard Kipling

A shabis'war and other stories

١- المخطوطات القديمة وقصص بورخس

إذا كان لكل كتاب حادث، فحادث هذا الكتاب ينتمي بعمق إلى واحدة من القصص البورخسية أكثر مما ينتمي إلى الواقع، لا بغرابته ومفاجآته حسب، إنما بالنقاط الدالة التي تحملها الوثيقة والتي تضيء ببطء وعلى نحو غير متوقع، وكل مرة تقريبا، حياة وأحداثا وشخصيات وتعيد بناء العالم على الخلفية التي تآكلت وتهدمت.

كان قاسم محمد عباس[١] وهو في إطار عمل موسوعي لتحقيق الأعمال الكاملة للحلاج، وفي بحث متواصل عن ما تبقى من إرث للحلاج من مخطوطات ومقطّعات وشذرات في بغداد هو الذي نبّهني لمجموعة من رسائل المستشرقين الفرنسيين، وماسنيون من بينهم، مرسلة إلى الأب أنستاس ماري الكرملي[٢]، فذهبنا في ظهيرة يوم قائظ هناك

(١) باحث ومحقق عراقي، حقق (رسائل الطوفان) لمحيي الدين بن عربي، المجمع الثقافي في الإمارات، ١٩٩٨ بالاشتراك مع حسين محمد عجيل، (المسائل في إيضاح المسائل)، محيي الدين بن عربي، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٠، (كتاب النطق والصمت) النفري، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠١، (كتاب الشطح) روزبهان البقلي، دار أزمنة عمان ٢٠٠٢، (الحلاج/ الأعمال الكاملة) دار رياض الريس، بيروت ٢٠٠٢، (كشف الستر) لمحيي الدين بن عربي، دار أزمنة، عمان ٢٠٠٣، (الأعمال الكاملة للسهروردي) دار المدى، بيروت ٢٠٠٤.

(٢) انظر في ترجمته: (تاريخ نصارى العراق) ص١٦٠، تقويم بكفيا الكبرى للشيخ أدمون بليبل (العرائس-بكفيا-لبنان ١٩٣٥ ص٢٥٩-٢٦٠) ورفائيل بطي في «مجلة ==

لأفكّ لغزها ، ولم يكن بإمكاني أن أكبت مفاجأتي أمام أكثر من مائتين وثمانين رسالة ووثيقة تخص ماسنيون مكتوبة باللغة الفرنسية ، كان قد أرسلها إلى الأب أنستاس ماري الكرملي على مدى الثلث الأول من القرن العشرين ، وأنا إذ أستعيد هذه اللحظة التي مضى عليها عامان ، لا يمكنني أن أكبت ، إلى اليوم ، ارتجافي الأول أمام الورق الذي شف لتقادمه ، والحبر الذي نصل وهو يسجل أهم مرحلة من مراحل الاستشراق لا في الغرب حسب إنما في العالم برمته .

لم أكن قادرا على التماسك أمام الحروف التي تستعيد تأريخا كاملا للثقافة والأفكار ، تستعيد اللحظات التي سجل فيها ماسنيون وخطّ ورشّح وعمّم أكبر انسكلوبيديا للتصوف الإسلامي ، لم أكن قادرا على التماسك أمام الورق المبعثر وهو يستعيد اللحظات التي عاشتها النخب المثقفة في العراق ، تحت عالمين منفصلين عالم الإمبراطورية العثمانية ، ومن ثم عالم الاحتلال والاستقلال ، لم يكن بإمكاني التماسك وأنا أرى هذه الأوراق وهي تصور تلك المواجهات الكبرى التي دخل فيها العرب مرة أخرى إلى التأريخ ، وبالمواجهة الصعبة مع الغرب ، كنت أشعر تلك اللحظة بقرن المغامرات الكبرى في مجال الثقافة ومجال التاريخ بين يدي ساخنا ، وهو قرن الغرب بلا منازع ، وكانت هذه الرسائل ترسم الحدود التي ألّفت عالم الحملات الكولنيالية الكبرى التي قلّصت الجغرافيا بزحفها المباشر ، وربما تؤشّر هذه الرسائل أيضا ، وهي في الحدود والنطاق الذي كتبت به ، عالما

= لغة العرب» ٣٨٧/٤١ ثم في ٦٠/٧ ، ومجلة الحرية-بغداد-شباط ١٩٢٤ ، كوركيس عواد في المجمع العلمي العربي ٦٠٨/٣٢ ، ومعجم المطبوعات ٤٨١ ، والدليل العراقي ص ٨٦٣ ، والأب أنستاس ماري الكرملي لكوركيس عواد ص٧-١١ ، والأب أنستاس ماري الكرملي في معجماته ومستحدثاته لإبراهيم السامرائي ص ٩-١٠) .

آخر ما زال مستمرا حتى اليوم وهو في حدوده القصوى ، عالم الغرب ، العالم الذي بقي متفجّرا ، لا لأنه عالم أسيئت معرفته كما يقول أندريه ميكيل(١) ، إنما لأن أوربا الليل التي وصفها الرحالة العربي ابن فضلان عند تخوم العام ألف لم تعد غامضة ، كما أن آسيا التي تنبأت لها النخب المثقفة في الغرب بدخول التأريخ ما زالت حتى اليوم لا تؤلّف إلا مجالاً للنخب التي أدهشها عالم الرفاه الغربي ، وهو عالم متنوع دون حدود ، أدهشها الكلام المحرر ، وعالم الموضة الثقافية والتغيرات الساحرة والخلابة دون حدود ، كما أدهشتها التراكيب الجديدة ، وأتكيت البلاغة التي ألّفت قرناً كاملاً من الثقافة في الغرب ، كنت ألمس تلك اللحظات ، التي تؤلف رسائل ماسنيون بكل ثقلها وكأنّها حدثتْ هذه اللحظة ، وكانت بغداد ترتسم على الخلفية بمساجدها وقبورها ، بنقوشها وخرائطها ، بقصورها وخرائبها .

**

إن أهمية هذه الرسائل تكمن في كشفها بشكل واضح وصريح عن العلاقات الثقافية والفكرية والمعرفية بين المثقفين العرب والمستشرقين في الثلث الأول من القرن العشرين ، وتبيّن على نحو فعال الآليات التي ينتظم فيها الخطاب الاستشراقي عبر رسائل واحد من أهم المستشرقين لا في ذلك القرن حسب ، إنما منذ تأسيس مدرسة الاستشراق بوصفها المعرفة الخابرة بالشرق من أجل توصيفه وفهمه ، والاحتياز عليه وضمّه(٢) ، وتبيّن على نحو جلي الانشباك الفوري والسريع لهذا الخطاب

(1) Acte de colloque, Civilisation Arabe et Européenne, Montpellier, puplier sous les auspices de L'association de solidarite Franco-Arabe. 1977.

(٢) يطرح إدوارد سعيد على نحو واضح في كتابه الاستشراق مفهوما انطلوجيا لعمل المستشرقين ، فهو ليس عملا جماليا أو بحثيا أو تاريخيا أو فيلولوجيا منفصلا ، بل==

مع الفعاليات السياسية والممارسات الكولنيالية في المنطقة في الثلث الأول من القرن العشرين ، وتبين كيف أن هذا الخطاب لم يكن بأجمعه قائماً على الفكرة الكولنيالية في تفضيل المصالح الآنية ، إنما هنالك المعرفة الخالصة والمستقلة ، صحيح أن بعض هذا الخطاب قد استخدم كقوة واسعة النطاق لتبرير الهيمنة والسيطرة والضم من جهة ، ومن جهة أخرى قوة للاجتثاث وتفكيك الهوية وتبرير الميكافيلية السياسية ، وتدفق الأحقاد ، ولكن هنالك وبالموازاة منه كان الخطاب العلمي والثقافي الذي يقارب بين هذه الثقافات والمجتمعات .

**

وإذ تعلّمنا هذه الرسائل ، نحن –الجيل الأخير من المثقفين العرب– فإنها تعلّمنا بأنه حدث ولمرات متعددة في ثقافتنا الانشباك الصريح مع الغرب لا بوصفه (وجود ثمّة) إنما هو حقيقة ثقافية وسياسية ، وإن تغيّرت هذه الحقيقة فإنها إلى اليوم غير قابلة للنقض والتقويض بوصفها عنصرا من عناصر تشكل ثقافتنا المعاصرة ، لكنها ليست فكرة كلية أو أبدية ، إنما يمكننا نقدها وتصويبها ، تعلّمنا أن ماسنيون استطاع الانفلات من تمركزه العرقي بسبب صداقاته العربية ، وتدهشنا هذه العلاقات والصداقات وسعتها أمام الانغلاق الذي يحصل اليوم ، والرفض الذي يدعو إلى الأسى ، فثمة قدر من الإقليمية والنرجسية الضيقة ، والانغلاق الكلّي للمثقفين العرب إزاء المثقفين في الغرب ، صحيح أن هذه العلاقات التي

= هو تمفصل لمصالح سياسية يقوم الاستشراق بخلقها وتكوينها والمحافظة عليها بوسائل متعددة منها : الاستبناء الفيلولوجي ، والتحليل النفسي ، والوصف الطبيعي والاجتماعي ، فهو خطاب له علاقة تطابقية مع السلطة السياسية في الغرب . انظر :
Edward Said, L'Orientalisme, seul, paris, 1983. P22.

كانت في بداية هذا القرن تنهض على سياسة مثقفين منحدرين من طبقة الأعيان ، وعلى سياسة ناجمة عن نوع محدد من العلاقات بين النخب الوطنية البرجوازية والقوى الكولنيالية ، ولكنها كانت ثريّةً ومدركةً للمفهوم النقدي والموقف النقدي ، وهذا ما جعلها فاعلة ومتحركة ، وفي المقابل أصبحنا اليوم أمام النخب التي بقيت تحت تأثير الغرب ، ومن موقع اعتبرته على الدوام دونياً(١) ، وانسحقت بدور الوكلاء المحليين لترديد ما ينتج في الغرب من نظريات وأفكار ، دون محاولة الانشباك معه بحوار فكري واضح وصريح .

**

ما دفعني لترجمة هذه الرسائل وتحقيقها وتقديمها للقارئ العربي هو شعوري العميق ، بأن هنالك عالماً من القوى المرتدة التي تريد عزل الثقافات عن بعضها ينهض في الشرق بقوة ، وهنالك عالم من القوى المرتدة يريد بناء السياج الصلب ، الذي كان يسوّر المدينة الكولنيالية بشكل رمزي على أساس العرق ، واللون ، والطبقة ، والثقافة ، ويعزلها عن السكان المحليّين ، وهو ينهض اليوم في الغرب بقوة ، فهذه الرسائل تعلمنا أن الوصفات الثقافية والأنثربولوجية لتعليمنا تهكميّةً برمّتها ، ولم يكن أمامنا نحن جيل المثقفين الشباب العرب ، والذين عشنا مجال الحروب المتكررة ، ومجال الثقافات المحتدمة وصراعاتها ، ومجال التأريخ ، ومجال الاحتلال ، غير أن ننشبك بحوار واضح وصريح مع الثقافات في العالم ، ما كان أمامنا

---

(١) انظر في هذا الصدد التحليل الرائع الذي قام به عبد الله اللبداوي للتيارات الثقافية العربية المعاصرة في كتابه «المثقفون العرب الجدد» في الفصل المعنون :حول شرعية المثقفين العلمانيين العرب .

Abdella Labdaoui, Les Nouveaux intellectuels Arabes, L'Harmattan, 1993, P17

بعد قرن كامل من المواجهة والاحتدام ، أمام الهدير الخالد لحضارات جديدة شديدة الاختلاف والتنوع بزغت وتقدمت ، وثقافات أخرى شديدة الاختلاف والتنوع تقهقرت وتراجعت أو زالت بالكلية ، غير أن نواجه ثقافتنا وثقافات الآخرين ، لا أن نقف حائرين أمام المعادلات التي أسهمت بشكل كامل في تعقيد هذه العلاقات وتشابكها ، ما كان أمامنا ونحن نقف أمام الذين وجدوا سهولة عظيمة بالانكفاء عن الحوار مع الآخرين أو الدفاع عن ما حققوه في الماضي ، غير التوجه الحر للنقض والنقد والفهم والاستيعاب لثقافتنا والثقافات المقابلة ، وهو المشروع الكوبرنكي العظيم ذو الطابع الأكاديمي الحر ، والمؤكد على النقاش والخلاف والامتياز الخاص ، والانفلات من التسييس المفرط ، والاعتماد على المعرفة بديلا عن الأيديولوجيا ، ومراجعة الموروث بعقل منفتح على كل الثقافات ، والابتعاد عن الزيف والاختلاق فيما يطلق عليه بصراع الحضارات ، والكشف عن بنيات القوة ، التي تريد تحويل الحوار إلى نوع من صراع المفاهيم بين متحضرين وبرابرة[١] .

**

(١) يقدم مارك بي سولتر ، عملا نقديا يستطلع قضايا الاستعمار الحديث ، إذ يرى أن نموذج هنتنغتون أبعد ما يكون عن العمل الحيادي القيمة إزاء العلاقات الدولية ، وأنه بدلا من ذلك عمل يرشح بالمفاهيم الإمبريالية . و«الحضارة» هنا هي الكلمة المفتاح التي يظهر سولتر أنها ليست كلمة لا تاريخ لها ، إنما هي كلمة مشحونة بإرث فعال . وينطوي هذا الإرث على إحياء للمشاعر الإمبريالية على نطاق جماهيري ، وهي المشاعر التي تأتي في هذه الحالة مخبأة خلف خطاب العلاقات الدولية ، لأن الإمبريالية كمفهوم صريح كانت قد فقدت حظوتها نتيجة للحربين العالميتين . ويرى سولتر أن هنتنغتون في المرحلة القلقة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة قد استفاد من نقطة الضعف لدى السياسيين ، وهي الحاجة إلى نظرة ازدواجية إلى العالم يتم بموجبها تبسيط مفهوم العدو وتحويله إلى مجرد كيان أحادي . ومع استخدام كلمات مثل «الحضارة» لن يمر وقت طويل قبل ==

وربما تكشف هذه الرسائل بشكل جلي عن طرف لامع ومتميز من ثقافتنا المعاصرة، التي نشأت وتأسست أول القرن المنصرم، نشأت في القرن الذي شهد حقيقةً وواقعاً كل أنواع المواجهات الثقافية والسياسية مع الغرب، وتكشف بشكل واضح عن طرف مهمّ ومتنوّع من حياة النخبة المثقفة التي صاغت وأسست معارفها في تلك الحقبة، والتي ترد مراراً عديدة في رسائل ماسنيون، وهم الزهاوي والرصافي والكرملي ومحمد رشيد رضا وجمال الدين الأفغاني ومصطفى جواد وكاظم الدجيلي وروفائيل بطي والشبيبي ومحمد كرد علي والقاسمي وتيمور وغيرهم، إن هذه الرسائل ترينا، وعلى نحو فعال، قائمة الفروق الظلية الكامنة في ثقافة الغرب، وقائمة الفروق الظلية بين المثقفين الغربيين أنفسهم، ولا سيّما أولئك الذين عملوا وتدربوا ونشطوا في مؤسسة الاستشراق، كما أنها ترسم أمامنا الخطوط الصحيحة للمواجهة الثقافية الممكنة اختلافاً والتقاءً، وربما تمكّننا عندما يكون الحوار حقيقياً وأصيلاً وقائماً على المعرفة من أن نضفي على ثقافتنا معنى عملياً ونفعياً، وتشعرنا بأننا نقف مرة أخرى أمام أوربا مثلما تقف أوربا أمامنا، ومثلما نسوح نحن في التواءات ثقافتها، يسوح ماسنيون سياحةً هائلةً في عدد كبير وضخم من المخطوطات في التراث العربي والإسلامي، إن هذه الرسائل تكشف لنا عن هذا الطابع الذي يعدُّ طابعاً ملغزاً وملتبساً في عمل ماسنيون، حين قرّب بين الإسلام

== عودة كلمة أو مفهوم «البرابرة» إلى الظهور في الخطاب الجماهيري، واللغة السياسية، وفي مجال العلاقات الدولية، وهي الكلمة التي سوف تطلق على «الآخر».

Mark B. Solter, Barbarians and civilasation, pluto press, London, 2002, preface.

وفي الواقع أن هذا التحليل الذي يتوقف عند بعض المثقفين الغربيين يمكن فتحه على المثقفين في الشرق الأوسط أيضا، والذين وجدوا في إطروحة هنتغتون وسيلة أيضا لاتهام الغرب وإدانته، والانغلاق الكلي أمامه.

والمسيحية في صلب الحلاج ، وقرّب بين الإسلام والمسيحية في شخصيتي فاطمة ومريم ، وقرّب بين الأديان السماوية الثلاث في شخصية إبراهيم ، ففي هذه الرسائل التي لا تشبه الرسائل الشخصية أبداً ، تتحدد المواقف بشكل واضح وصريح ، وتتجلى على نحو كامل المواقف الثقافية والمعرفية والدينية والسياسية ، وتتضح مواقف ماسنيون من التصوف الإسلامي ومن الثقافة العربية برمتها ، كما أنها تكشف عن انشباك ماسنيون الكامل ، واهتمامه بكل ما ينتج من ثقافة في العالم العربي من صحف ومجلات وكتب وأخبار ، وترسم لوحة واضحة لماسنيون الشخص- الإنسان ، وتفصح عن مواقفه من بعض المستشرقين ومن بعض المثقفين العرب ، وترينا اللحظات التاريخية الحاسمة من مصير الشرق العربي بعد التحرر والاستقلال من الإمبراطورية العثمانية ، حيث تكشف عن عمل ماسنيون السياسي في المنطقة العربية وعمله كداعية للكولنيالية ومنفذ لسياساتها في المنطقة في أخطر مرحلة من مراحل التاريخ العربي ، وهي مرحلة الحرب العالمية الأولى ، ومن ثم مرحلة الاستقلال وبناء المجتمعات الحديثة .

**

لقد كان ماسنيون عبقريةً خارقةً ، عبقريةً مشحونةً على الدوام بأفكار وتيارات ثقافية كبرى ، وكان مؤمناً على نحو متميّز بأعمال إنسانية كبيرة وبمشاريع كونية ، وبأفكار ذات طابع يوتوبي ، وقد لعب دوراً هائلاً ومتميزاً في الثقافة والسياسة في المنطقة العربية ، وعاش مجالاً خصباً في الثقافة وفي التاريخ ، وقد أبرز إلى السطح الأفكار الصوفية والأسرارية والشعبية في الثقافة العربية ، ولعب دوراً أساسياً في مجال التاريخ السياسي في منطقتنا بل كان واحداً من صناع الأحداث التاريخية الكبرى التي زلزلت

مجتمعاتنا منذ أن أصبح مستشاراً سياسياً لبيكو (الطرف الثاني من اتفاق سايكس-بيكو) وقد وقف على الطرف الآخر تي أي لورنس، والذي يسمى بـ(لورنس العرب)، ليتمّ احتلال المنطقة وتقسيمها، وتقدم رسائله -مثلما تقدم كتبه- عالماً مشحوناً بالأسرار من أسماء، ومصطلحات، وشخصيات، وأماكن، ومدن، وخرائط، وأحداث، وكتب، ومخطوطات، وشوارع.. عصية على الحل في السابق، بل تبدو أحجيةً أول الأمر وملغزةً، ثم يتابع ماسنيون على نحو دؤوب وهادئ وغير متعجل، تطوراتها ومساراتها، حتى يصل إلى فكّ لغزها وحلّ تشفيرها، ويتتبع ماسنيون في هذه الرسائل وبمسار متواصل النقاط الدالة في أكثر الحركات سريةً وغموضاً في العالم الإسلامي، أو في التاريخ الإسلامي، ثم يوضح على نحو جلي بروزها وانبثاقها والعلاقات والوشائج التي تربط فيما بينها، ويتابع القوى الاجتماعية والسياسية والدينية، التي تبرز بقوة في لحظة من لحظات التاريخ وتحرف مساراته[١].

**

لقد كان ماسنيون بحقّ مثقفا كونياً، واسع المعرفة وعميقاً[٢]، وقد

---

(١) انظر بهذا الصدد

Un homme d'absolu, par Louis Gardet, in Présence de Louis Massignon. Hommages et témoignages, 1987

Se reporter à la bibliographie: L'Islam dans le miroir de l'Occident a été co-produit par L.Massignon, C.H.Becker, I. Goldziher...

(٢) بلغت مؤلفات لويس ماسنيون المئات، ففي البيبلوغرافيا التي أعدها يواكيم مبارك وطبعها في كتاب Opera Minora بأجزائه الثلاثة، يمكننا أن نقول إن أعمال ماسنيون تتوزع كالتالي: ٢٠٠ كتاب ومقالة، ١٠٠ تقرير وشهادة، ١٥٠ محاضرة باللغة العربية وهي المحاضرات التي ألقاها على طلابه في الجامعة المصرية، آلاف الرسائل في ==

اتصفت أعماله بالمسؤولية الفكرية والرصانة التاريخية والأكاديمية ، وكان ممثلاً -بين النخب المثقفة- للمثقف الذي يتصف عمله بالبعد الأخلاقي والقيمي ، وكان رافضاً للعنف بصورة مطلقة ، إذ أحلّ السلم محل العنف ورفض بشكل حاسم كل منطق للقوة والعنف في حل النزاعات البشرية ، أو منطق الكراهية والتقزّز في النظر إلى عقائد الآخرين ، أو التفسير الهوبزوي للعلاقات بين البشر ، وإن كان داعيةً حقيقياً يبشّر بالفضائل والنظرة العادلة ، ويعتقد أن الإيمان قدر بشري لا يمكن تجاوزه أو تجاهله أو إنكاره ، فإنه لم ينفلت في الوقت ذاته من بعض تمركزه الحواضري والمتربولي ، وربما نجد في عمق أفكاره النيرة طرفاً من أوهام السرديات الكبرى في التاريخ الثقافي الغربي ، وربما نجده يطوّر مفهوماً للهوية ، مفهوماً مضلّلاً ناتجاً عن ذاكرة تخييّلية وإليغورية متماهيةً مع فكر القوى المتسلّطة في التاريخ ، ومتماثلةً مع سرديات المنتصر وحكاياته الوهمية . . وما يهمنا هنا هو الكشف عن التماعات أفكاره وتميّزها ، هذه الأفكار التي تجهّزه بأدوات وآليات نقدية أصيلة وجذابة ولامعة ، وتدفعه للتعاطف اللامحدود مع الثقافات الأخرى عبر البحث عن الصفاء والكمال والكونية الإنسانية .

لقد كان ماسنيون بحق مثقفاً منخرطاً في القضايا الكبرى في التاريخ ، فعمل بصدق ونزاهة كبيرتين لبلوغ العدل الإنساني ، بعيدا عن الغطرسة العرقية والدينية وهي الخصيصة الأصلية لمثقفين كثيرين في عصره ، بل شجب الاستعلاء العرقي لأنه نوع من التصعيد المثالي للعرق والذي يتصاعد ليشمل الجغرافيا ، إذ تصبح الأماكن أمراً عقلياً وعاطفياً ،

== كل مكان في العالم وهي لم تطبع حتى اليوم ، بل إن هذه الرسائل هي أول رسائل لماسنيون ترى النور .

وصورة استمنائية ونرجسية للذات ، وتصبح الثقافة مناقضة تناقضاً مدمراً للمعرفة وللحياة أيضا[١] .

**

ماسنيون هو واحد من أعظم الناثرين في اللغة الفرنسية ، يكتب بلغة عالية ومتوهجة على الدوام ، لغة هيجان روحي وحركة مدومة يعبر عنها ببلاغة مفككة ، مقطعة الأوصال وإيحائية ، يسميها إدوارد سعيد لغة مخطوءة مملوءة بالأشجان ، فهي بلاغة مجزأة ، تعبر عن صمت وفجوات معلقة ، وتعثر ، وعجز ، وفي الوقت ذاته تحيل إلى دلالات كثيرة[٢] .

**

إن الانطباع الثابت والأكيد الذي تتركه فينا أعمال ماسنيون ، من خلال الأفكار الصادمة في وضوحها وتأثيرها ، والوقائع السردية التي لا تحصى في الكتلة التي يقدمها ، هو الانطباع ذاته الذي تتركه فينا أعمال بورخس . في الواقع إن ماسنيون غير المقتر في تحليلاته وفي كشفه عن الوحدات الجزئية في ميدان التأريخ والاعتماد على كتلة ضخمة من نصوص العصور المتنوعة والثقافات المتنوعة ، والانسحار بالجهود الجمع

---

(١) انظر بهذا الصدد Jean-Claud Berchet, Le voyage en Orient, Robert Laffont, 1985, p32

(٢) يرى دوسارتو أن الحياة العرفانية ، بما هي تعبير ، تعترف بالتحام اللغة حول ما -هو- مستحيل النطق به ، وتقع في هذا الحد الذي يعتبر فيه ما لا يمكن التعبير عنه هو أيضا ما لا يمكن السكوت عنه ، فهو في آن واحد ، (لا إمكانية التعبير) و(استحالة الصمت) أو التردد بين (المنطوق) و(اللامنطوق) . انظر محمد شوقي الزين ، تأويلات وتفكيكات ، فصول في الفكر الغربي المعاصر ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٢ ، ص٩٢ .
انظر أيضا :
انظر : M. de certeau, l 'absent de l'histoire, Repères, Mame, 1973, P34

والخصب لأحداث هائلة ومتناقضة على الدوام ، تسهم بشكل واضح في التحضير للدخول في عالم أشبه ما يكون بالعالم البورخسي ، فضلا عن اهتمامه بالشخصيات المهملة والمهمشة عادة ، مثل شخصية الحسن الوزان أو ليون الأفريقي في معاناته من الشقاق الثقافي بين الإسلام وأوربا ، وشخصية الحسين بن منصور الحلاج الصوفي الفارسي ، الذي قتل في بغداد في القرن العاشر الهجري ، وشخصية سليمان الفارسي ، الشاهد المسيحي على ولادة الإسلام ، وأسطورة النيام السبعة أو أهل الكهف التي أخذ متابعتها بطريقة بورخسية حقا في الزمان والمكان . . . فضلا عن عشرات الشخصيات التي تشكل الديكور التاريخي لمسرح أعماله ، وهو يحرص أن تكون الدراما حاضرة في كل مجال بشكل فاعل ، ويتمها من خلال التفصيلات المحكمة ، وكأنها ذاتها التي يقوم بها بورخس .

**

يتسم إنتاج ماسنيون بالبحث عن شخصيات مهمشة عادة ، وعائمة في التراث العربي الإسلامي ، أو عن شخصيات ثانوية ومجهولة ، أو شخصيات معروفة ولكن ليس لها دور رئيس أو أساس ، وربما نتج هذا الأمر من المعرفة الأدبية والجمالية الفائقة ، التي كانت تنطوي عليها موهبة ماسنيون ذاته ، وهذا الأمر كان يدفعه بقوة وأحيانا بشكل حاسم إلى البحث عن مصادر متنوعة ومختلفة ، وعن مخطوطات غير معروفة نسبيا ، لتمكنه من صياغة التفاصيل الدقيقة والصغيرة عن الشخصيات التي يكتب عنها ، فيكشف من خلال السعي وراءها والمجهود الذي يفوق التصور الذي يبذل من أجلها ، عن أهميتها . لذلك يشعر قارئ ماسنيون وكأنه أمام اكتشاف تأريخ كامل ، هو غير التاريخ الرسمي الذي يكشف عنه الكتاب التقليديون عادة ، لا بثقل المعلومات الكبيرة والهائلة ، إنما

بالتفاصيل الصغيرة والهامشية والأعمال المفاجئة التي تقفز من خلال استشارته لمئات المخطوطات المنتشرة في مكتبات العالم الإسلامي والعالم الغربي ، والتي يطلق عليها عادة بالمكتبة الشرقية .

فالولع بالتفاصيل التي لا تنتهي ، والتي تدور بعض الأحيان على نفسها ، تطبع كل أعمال ماسنيون تقريبا ، ولكن العمل الضخم الذي قام به ، والذي تميز به هو مؤلف (وجد الحلاج) وموضوعه الأساس في واقع الأمر هو التجربة الروحية والأسرارية للصوفي الإسلامي الحسين بن منصور الحلاج ، الذي قتل في بغداد في القرن العاشر الميلادي ؛ وقد أحرق هناك وذر رماده في نهر دجلة .

**

من الثابت أن ماسنيون قد تعرف على الحلاج أثناء وجوده في بغداد ، أي أثناء لقائه بمحمود شكري الآلوسي وعلي الآلوسي ، كما يعترف هو بإحدى رسائله إلى الكرملي ،[1] وقد عالج ماسنيون هذه التجربة الروحية بموهبة فريدة ، وتناول تفاصيل مركزة في حياة الحلاج وفي الحياة الاجتماعية في القرن العاشر الميلادي ، ومن خلال جهد مثابر وحساس واستبطان روحي ، واستخدم منهجا مزج فيه علوم الاجتماع والفليلوجيا بالتحليل النفسي والفلسفي ، كما أنه قد أنجزه بنسق إنشائي مؤثر وبعبارات شفافة ظاهريا ، ولكن فصاحتها تعبر بشكل دقيق وكامل عن الحماسة والانحياز الكامل من قبل ماسنيون للتجربة الروحية للحلاج .

**

---

(١) وربما تعرف قبل هذا التاريخ على الحلاج (في العام ذاته ١٩٠٧) ، ولكن بشكل سطحي في مصر أثناء لقاء له مع المستشرق الألماني إغناس غولدتسيهر ، ومن خلال مخطوطة (تذكرة الأولياء) للصوفي الفارسي فريد الدين العطار .

إن عملنا هنا لا يستند إلى التحقيق والتحليل الفيلولوجي حسب ، إنما يستند أيضا إلى التحليل النظري والثقافي ، ويفيد من الدراسات ما بعد الكولنيالية لتحليل الخطابات القادمة من الثقافات ، التي أعدت نفسها بوصفها ممثلة للمركز الثقافي الحواضري metropolitan في محاولة للكشف عن النقاط الدالة في الخطابات الكولنيالية ، وهي بنيات القوة والأسيقة السياسية والإزاحة الثقافية ، فقد عملت الخطابات السياسية المتربولية بشكل مخاتل في اختراق البنى الثقافية ، وضمّها طبقا إلى التجربة الاستطرادية للإمبريالية ، وربما يفيد التحليل الثقافي في الاشتباك مع آثار الكولنيالية ومقاومتها والسعي إلى إبطالها ، فهذا التحليل يعمل على مستويين ، الأول الإبانة عن بنيات القوة والتمثيل السياسي والثقافي لخطابات المركز الحواضري ، ويكشف عن بقايا السلطة في خطابات الأمم التي نشأت في السياق الكولنيالي[1] ، ويفيد هذا التحليل في تفكيك علاقات الهيمنة بين الخطابين ، وخلخلة الارتباطات التي تقوم على ثنائية

---

(١) انظر بهذا الصدد أقدم معالجة نظرية في مجال الدراسات ما بعد الكولنيالية ، هو كتاب الإمبراطورية ، ترد كتابة : النظرية والتطبيق في الآداب ما بعد الكولنيالية ، The Empire writes back: theory and practice in post-colonial literatures 1989 لمؤلفيه بيل أشكروفت وجاريث جريفيث وهيلين تيفين ، وصدر في العام ١٩٩٥ للمؤلفين أنفسهم كتاب دليل القارئ إلى الدراسات ما بعد الكولنيالية The post-colonial studies reader ، والكتاب المهم في هذا الصدد هو كتاب باتريك وليامز ولاورا كريسمان بعنوان Colonial discourse and post-colonial theory 1993 ، ويعد واحدا من القراءات المتعددة في هذا الحقل ، حيث تركز هذه الدراسات على النصية الاستعمارية ودراسة أشكال الهيمنة الخطابية ، والتي تعنى بتراتبات القوة ، وتكون رسائل ماسنيون من هذا المنظور وعيا بالذات وبمجال الأخرية ، فهي نوع من الاختلاق يتعلق بجدوى الأصالة الثقافية ، فالنصية الاستعمارية تنكر على الذات المستعمَرة أية ابتناءات للأصالة ، وذلك بأن تفرض عليها رؤيتها في المعالجة .

القوة المهيمنة غير المتكافئة ، ويسهم أيضا في تحرير الخطاب الثقافي ذاته من شفرات الهيمنة المقترنة بالمنظومات الثقافية ، عبر الاشتباك الجدلي مع عملية إنتاج المعنى الثقافي الذي يتم في إطار الهيمنة .

٢-التحقيق والتحليل الفيلولوجي للوثائق

في الواقع إن هذه الوثائق والرسائل المبعثرة والمتناثرة والمكتوبة باللغة الفرنسية والموجودة في دار المخطوطات في بغداد قد خضعت لرؤيتي وتفكيري ومنهجي في كتاب ، وهو كتاب يخصّني أكثر مما يخصّ ماسنيون ، لقد انتزعت حق ماسنيون في الكلام ، وحقه في الدفاع عن نفسه ، وقمت بأسلبة stylisatoin تفكيره وحياته الخاصة وأفكاره ورسائله الشخصية ومواقفه وترجمتها ، وأفرغتها في قالب مدوّن وشكل كتابيٍّ ، وأخضعت هذه الوثائق لتحليلي ونقدي وتأويلي الخاص بي ، وبالتّالي فإن هذه الرسائل الشخصية ، التي أرسلها ماسنيون لصديق له في بغداد ، تحوّلت إلى كتاب يحمل فكراً ربما لا يوافق عليه ماسنيون ، ومثلما خضع الحلاج لرؤية ماسنيون ونقده وتأويله الخاص ، فقد خضع هو لنقد وتأويل وأفكار الآخرين ، وأصبحت هذه الوثائق كتاباً من المقدر له أن يكون في جزأين ، يبدأ الجزء الأول من العام ١٩٠٨ وهو العام الذي غادر فيه ماسنيون بغداد ، بعد أن أنقذه علي الآلوسي من حكم بالموت صدر عليه من قبل العثمانيين مشتبها به بالجاسوسية ، وتؤشّر هذه الرسائل اهتداءه الديني وتعرّفه على الحلاج ، وبحثه عن المخطوطات التي تفيده في تأسيس نظريته عن مسيحية الحلاج ، وينتهي في العام ١٩١٩ بعد أن أصبح ماسنيون مستشاراً لجورج بيكو الطرف الثاني من اتفاق سايكسذبيكو ، وانخراطه العملي في سياسة بلده ، وتؤشر هذه الرسائل محاولات

ماسنيون السياسية لهداية المثقفين العرب ، وإقناعهم بالفكرة الاستعمارية أو الكولنيالية .

بينما سيبدأ الجزء الثاني من العام ١٩١٩ وحتى العام ١٩٣٦ (العام الذي تنقطع فيه الرسائل تماما بعد مرض الأب الكرملي ووفاته) ، وسيتحرك هذا الجزء على مساحة واسعة ومتجدّدة في تفكير ماسنيون ، اهتمامه الأكبر بالسياسة (انخراطه في التبشير للانتداب الفرنسي في سوريا ومعركة ميسلون) اهتمامه بمساحة أوسع في التصوف ، وأكثر شمولاً من النقطة التي بدأ معها في الحلاج ، دراساته عن ابن عربي والسهروردي القتيل ، والتستري ، والقونوي ، وملاّ صدرة الشيرازي ، والعطار ، وروزبهان البقلي ، ودراساته الفلسفية في الفلسفة الغنوصية الإسلامية ، وانشباكه بعلاقات أكثر تنوعا مع المثقفين العرب والعراقيين ، ولا سيما بعد عمله في الجامعة المصرية ، وانشباكه بعلاقات مع النخبة السياسية في العراق وفي العالم العربي[(١)] ، ودراساته وأبحاثه عن فاطمة ، وسلمان الفارسي ، وأهل الكهف ، وعلاقة الشيعة بالتصوف ، وابن سينا والغزالي والفارابي ، والأبحاث البلدانية عن القاهرة ودمياط والقدس والخليل والمدينة المنورة وبغداد والبصرة والكوفة .

---

(١) سيكون الجزء الثاني من هذا الكتاب هو الأغنى والأكثر تنوعا ، كما أنه سيكون هو الأخطر بحق ، وذلك لانشباك ماسنيون المتعدد سياسيا وثقافيا وفكريا في العالم العربي ومع المثقفين العرب ، ويكشف بصورة حاسمة عن تورط ماسنيون وبعض المثقفين العرب في السياسات الاستعمارية والمخططات الثقافية الدولية ، وآثار المدرسة الأستشراقية عليهم ، وتعرض مواقف وآراء ماسنيون من الصهيونية وإسرائيل والصراع العربي مع الاستعمار ، وتكون الدولة العربية الحديثة ، فضلا عن تطورات فكر ماسنيون الباهرة في الدراسات الفلسفية الإسلامية والصوفية والدراسات الجغرافية والثقافية في العالمين العربي والإسلامي .

وهنالك نقطتان تتعلقان بعملية تحقيق هذه الرسائل يجب إيضاحهما ، الأولى تقنية ، تتعلق بقراءة هذه الرسائل وإفراغها وترجمتها ، فقد كان خط ماسنيون باللغة الفرنسية في غاية التعقيد والتداخل ، كما أن الورق العادي لبعض هذه الرسائل قد نشف تماما لقدمه ، ونصل الحبر عنه حتى اختفى إلا بعض الآثار التي دلّت عليه ، وبعض هذه الرسائل اختلطت فيها صورة الوجه مع صورة القفا ، وبعضها قد تهرّأ تماما لسوء الخزن ، وبعد أن تجاوزنا هذه الصعوبات بمشقة بالغة ، قمنا بإفراغها أولا ، ومن ثم ترجمناها ، واستبعدنا بعضها لقلّة أهميته (وهي رسائل قليلة جدا) ، وحاولنا أن نقترب قدر الإمكان من إضاءة النقاط الغامضة فيها ، لا تخريج الأعلام والمصادر حسب ، إنما حاولنا أن نعود إلى كل مؤلفات ماسنيون ودراساته المتعددة والإفادة في التعليق على ما ورد فيها ، كما أننا لجئنا إلى رسائل الكرملي مع أشخاص آخرين(١) علّها تضيء ما غمض وما التبس ، وتتبعنا سيرة الكرملي وماسنيون معا في النشر والإصدارات ، وعدنا إلى المجلات والصحف والدوريات العراقية والعربية والأجنبية للوصول إلى ما فيها من نقاط جوهرية(٢) .

**

(١) مثل رسائله مع السيد محمود شكري الآلوسي ، ورسائله مع محمود تيمور ، وقد حققهما الأخوان عواد ، ورسائله مع كرد علي ، ورسائله مع مصطفى جواد ، وقد حقق المجموعة الأولى صديقي المحقق حسين محمد عجيل ، ويعكف الآن على تحقيق رسائله مع مصطفى جواد .

(٢) في الواقع كنت اتبعت من الناحية العملية الطريقة الفيلولوجية الكلاسيكية في تحقيق الرسائل الشخصية ، وهي إضاءة كل ما التبس في النص ، والبحث عن المؤثرات المحيطية أو الاجتماعية قدر الإمكان ، وتخليت عن الطريقة العراقية أو ما اصطلح عليه بالمدرسة العراقية في التحقيق ، والتي درج عليها أكثر أبناء الجيل السابق من ==

النقطة الثانية ، تقنية فكرية ، تتعلق بمصادرة هذه الوثائق وتحويلها إلى كتاب معبر عن وجهة نظر ما ، إن العمل الأساس في النصية الثقافية للهيمنة الإمبراطورية textyalité cultural هي العمل على نقل الملكية الثقافية ، والتشويه والمحو والاحتواء ، وهو فعل action مارسته جميع الإمبراطوريات إزاء الثقافات الأخرى وحتى الثقافة العربية في طورها الإمبراطوري ، فقد مارست هذه النصية الثقافية إزاء الثقافات التي احتوتها ومحتها واستولت عليها ، إن ما نقوم به ليس هو من قبيل خلق التراتبيات الزائفة ، والقراءات الخاطئة ومحاولة إسكات الخصم ، كما كان ينفذ في المشروع الإمبريالي ، إنما هو محاولة للفهم واستدعاء الاختلاف وقبوله ، وهو محاولة لاستجلاء البنى المعرفية التي كانت تحكم الذوات ، والمجانسة بين النصوص والتواريخ والثقافات ، إن هذه الرسائل ليست سياحات ثقافية أفيضت على شعوب وأمكنة جغرافية ، بل هي فضاء ثقافي-سياسي تم بواسطتها بلورة مواقف ، وترميز معارف ، واستجلاء فرع مهم من فروع الثقافة العربية وبماهته مع موقف سياسي استبان في نهاية هذا الجزء ، إن الوثائق والرسائل هي نوع من الأدوات التي تشرّب المعرفة بالمعنى ، وتعيد وتكرر أنماطا مقولبة مختلفة ظاهريا ، وتمنح تعاكسات ثنائية تقوي كل منها الآخر على نحو متبادل ، ويمكنني أن أجادل هنا أن مشروعي يندرج في عملية تدمير أحكام القيمة ، التي تتحول إلى أقلمة

== المحققين العراقيين ، لأنها جامدة ومتحجرة وغير حيوية ، كما أنها سهلة وليست فاعلة ، وترشد القارئ ليبحث ولا يؤدي المحقق أي فعل آخر ، كما حاولت أن أعطي الخلاصات الخاصة بالشروح من مصادر متعددة بدلا من إرشاد القارئ إلى مرجع أو مصدر ، وأشرت إلى المصادر الرئيسية في نهاية الكتاب .

«regionalization»[1] أي أن الوحدات المكانية والإقليمية والجغرافية تتحول إلى وحدات مفترضة فيؤنسن المكان ويشرّب بالمعنى ، ويشرّب بالأحكام القيمية ، ويكتسب دلالات رمزية ، وكنايات ذهنية ، ويحمل منظومات قيم ، فيصبح الشرق أو الغرب دلالة تتخطى وقائعها المادية والجغرافية ، ويتحول في الكتابة والصحافة والإعلان إلى كناية مظللة على نحو لانهائي ، كناية للشر بوصفها جغرافيا مرمّزة وتحمل دلالات سياسية وأخلاقية ودينية ، فتحول بالتأكيد دون أن يتم أي فهم ممكن ، وتلجأ في نهاية المطاف إلى السننية الإكراهية ، والقناعات الثابتة الناتجة إما عن المركزية-الحواضرية-المتربولية-العرقية في الغرب ، أو عن الترسبات الدينية والقومية في الأطراف .

**

لقد حمّل إدوارد سعيد نخبة ما بعد الاستقلال في البلدان اللاغربية مسؤولية لا تقل عن تلك التي يتحمّلها الاستعمار المباشر في إعاقة النمو والتحضّر في أوساط تلك الدول والمجتمعات ، عبر مفهومين متميزين ، الأول : «لا مساندة دون نقد» no solidarity without criticism حيث

---

(١) يعتقد جميل أرفن شك «أن الخطابات الاستجنابية ، وهي في الغالب خطابات مجنسنة ، هي بشكل وآخر تقانة للمكان» ، ويعتقد «أننا من المستحيل أن نسمع أسماء مثل جونزتاون وتشورنوبيل أو هيروشيما أو ماي لا ي دون أن تقفز على الفور إلى ذاكرة جماعية كبيرة تضفي على هذه الأمكنة معاني تتجاوز الحقائق المادية الجغرافية ، فهذه الأماكن تأخذ معانيها وفقا للأحداث التي تقع هناك ، فتصبح مشربة بذكريات وآمال وقيم ومخاوف إنسانية ، وفي الواقع إن الدلالات التي يحملها الموقع يتم ترسيخها عن طريق بنية اجتماعية ، سواء من خلال إجماع ثقافي أو من خلال الهيمنة ، بغض النظر عما إذا كان ثمة حدث مفترض وقع فعلا هنا أم لا» .

انظر ارفن جميل شك ، الاستشراق جنسيا ، دار قدمس ، بيروت ٢٠٠٣ ، ص١١٥ .

يولي سعيد أهمية قصوى للوظيفة النقدية للمثقف ، وعلى هذا النقد أن يكون نقدا جذريا عقلانيا ، والمفهوم الثاني هو «بلاغة اللوم» (rhetoric of blame) إذ يلقي المثقفون اللاغربيون عادة مشاكل بلدانهم وتخلفها ودكتاتورياتها على الغرب ، وعلى السياسات الغربية ، وفي كلتا المقولتين يتوجه سعيد إلى مثقفي العالم الثالث بالنقد ، حيث يرفض أن تكون مساندة أية قضية ، حتى إذا كانت هذه القضية هي قضية عادلة ، خالية من النقد ومنزهة لها عن الأخطاء(١) .

**

وإذا كان لا بد من كلمة شكر فلا يسعني إلا أن أقدّم شكري لجميع أصدقائي ، وهو لا يصل حجم المساعدة المقدمة لي ، فما كان لي أن أتجاوز صعوبة قراءة خط ماسنيون الدقيق والمعقد لولا الدكتورة مي عبد الكريم محمود ، التي قامت معي بإفراغ جميع الرسائل على الورق بخطها ليتسنى لي قراءتها ، وقد ساعدتني بترجمة ما التبس من معاني فقراتها ، وقامت معي بمراجعة النص الأصلي مع الترجمة العربية عشرات المرات فكانت مثالا للكرم ، كما أني أقدم شكري واعترافي بالفضل إلى صديقي قاسم محمد عباس المتخصص في التراث الصوفي الإسلامي ومحقق المخطوطات الصوفية ، لإفادتي بملاحظاته القيمة ، فكان مثالاً علمياً بحقّ ، كما أني أشكر صديقي المحقق والمختص بالتراث الإسلامي نصير غدير بمساعدتي في حل بعض الإشكاليات التي واجهتني في التحقيق ، كما أني أشكر صديقي حسين محمد عجيل وهو يقوم بتحقيق المئات من الرسائل التي بعثها المثقفون العرب إلى الكرملي في بدايات هذه القرن لإنارتي وإرشادي

---

(١) انظر تفصيل هذه النقطة في فكر إدوارد سعيد في : علي بدر ، «بلاغة الحياة في موت مثقف» صحيفة الرأي الأردنية ، ٢٠٠٣/١٠/٣ .

إلى بعض المصادر التي مكنتني من الإحاطة بموضوعي ، كما أشكر أصدقائي في حلقة نقد من المفكرين الشباب : حيدر سعيد ، جمال العميدي ، يحيى الكبيسي ، صفاء صنكور ، بملاحظاتهم وآرائهم المنهجية السديدة ، كما أني أشكر صديقي الشاعرين رعد عبد القادر وعبد الزهرة زكي لمساندتهما المعنوية لي ، كما أني أشكر الأستاذ أسامة النقشبندي مدير دار المخطوطات في بغداد وزوجته الدكتورة ظمياء السامرائي لمساعدتي في استشارة المخطوطات وتيسير المصادر من مكتبتهما الخاصة أحيانا . . وأشكر الشاعر صلاح ستيتية لحماسته الكبيرة ومساندته المعنوية لهذا المشروع ، وأشكر السيد برونو روا مدير دار (فاتا مورغانا) للنشر في اللونغدوك في فرنسا ، وهو ناشر كتب ماسنيون ، لذكرى الظهيرة التي أمضيناها في بغداد نتتبع خطى ماسنيون حتى انتهينا إلى قبر الحلاج ، هذا وقد قدم لي جميع أصدقائي المثقفين في بغداد بنقاشهم وحماستهم عونا كبيرا ، ومدوني بالإصرار الممكن على إنجاز هذا العمل ، بل جعلوا منه عملاً شيقاً بحق .

علي بدر
بغداد

لويس ماسنيون والاهتداء الصوفي

١ - لويس ماسينيون أو التائه في صحراء الإسلام

«المتصوف يسافر وهو واثق من أمر ينقصه ،
ويعرف جيدا أن الذي يبحث عنه ليس شيئا معينا أو
مكانا محددا ، وأنه لا يمكنه البقاء هنا أو الرضا
بهذا الأمر . . فهو يواصل سيره ويترك
الأثر في ذاته في صمت وانكتاب .»

Michel de Certeau

La fable mystique

**

«بعد دراستي اللغة السنسكريتية (ومخطوطات آنغور the inscriptions of Angkor)
شرعت بدراسة اللغة العربية والبلدان المسلمة ،
ورحلت طوال أعوام عند تخوم الصحراء العربية في أفريقيا وآسيا ،
وخضت هناك صراعات عديدة ، وفجأة تملكني نور الوحي والإلهام ،
ومع أني كنت متخفياً ووقعت ضحية الأسر على تخوم الصحراء وحقول الرز
في العراق ، فما كان بمقدوري أن أتخلص من ضربة الشمس عند الظهيرة ،
والحفاظ في الوقت نفسه على الومضات الخفيفة عند الفجر
لتلك الأساطير الشعبية السلفية .
وفضلاً عن ذلك ، عادت هذه الأساطير الشعبية حية في ذاكرتي حين اكتشفت
في الإسلام رموزاً دينية مماثلة للثقافة التقليدية عند الفلاحين ،
وخاصة في إسلام بلدان الرياح الموسمية ، الممتدة
من الجزيرة العربية ذات البخور إلى إندونيسيا ذات التوابل» .

Luis massiganon

Meditation d'un passant sur sa

visite aux bois sacres d'ise

1959

إن الدراما الهائلة التي حددت حياة لويس ماسنيون هي تجربة حكم أحد الضباط العثمانيين عليه بالإعدام بتهمة التجسس في بغداد قريبا من طاق كسرى ، حينما كان منفصلا في بعثة آثارية ليكتب تقريرا عن قصر اللخميين ، والذي يعرف عادة بقصر الأخيضر[١] قرب كربلاء .

وكانت تجربة لويس ماسنيون الدرامية مع الموت مشابهة لتجربة دستيوفسكي وموازية لها ظاهريا ، ولكنها منفصلة عنها بالقدر ذاته ، ذلك لأن ماسنيون اكتفى بتبني فكرة الموت بوصفها إشراقة روحية ، وقد تأكد وضوحها نسبة له مباشرة ، فأصبحت هي التجربة الأولى التي حددت فيما بعد قدره ومصيره ، وحياته ، بل هي التي ألهمته العيش متصوفا ،

---

(١) وصل لويس ماسنيون إلى بغداد في العام ١٩٠٨ ، منفصلا في بعثة آثارية للبحث عن قصر الأخيضر جنوب بغداد قريبا من كربلاء ، وفي ذلك العام حدثت الحركة المشروطية ، فقبض عليه حازم بك بتهمة الجاسوسية وحكم عليه بالإعدام ، وبالقرب من طاق كسرى ، تعرض ماسنيون إلى تنوير وهيجان روحي ، وشعر بحمامة تهدل على باب سجنه ، فاكتشف سر الحلاج ، ومن ثم توسط له رجلان من أسياد المسلمين في بغداد وهما علي الآلوسي ومحمود شكر الآلوسي العالمان الكبيران ، فأطلق حازم بك سراحه ، وزوده آل الآلوسي بخاتم يحمل اسم «محمد عبده ماسنيون» أخذ يوقع به رسائله طوال حياته ، واستمرت صداقته مع الأب الكرملي الذي كان صديقا للعالمين المسلمين ولآل الآلوسي طويلا .

L. Massignon, Parole Donnée, op.cit. p67.

والتجسد في نصوص أسرارية وغنوصية ، وإيقاف حياته برمتها على البحث عن أسرار روحية في الثقافة العربية الإسلامية ، فإن حبست هذه التجربة دستيوفسكي في عالمه الخاص ، وفي ميدانه الخاص ، وقلصت الحدود المتاحة أمامه ، فإن هذه التجربة طرحت عالما كاملا أمام ماسنيون ، عالما مغايرا ومختلفا في أدواته وتقنياته وتاريخه وجغرافيته وخرائطه ، بل طرحت العالم كله أمامه وبشقيه : شقه الروحي والغنوصي والأسراري ، وشقه العملي والبراطيقي .

يتعلق الشق الأول بالسايكولوجي والذهني ، ويتعلق الشق الثاني بالتاريخي والسياسي ، ذلك لأن ماسنيون لم يكتف بالمعرفة الصوفية والروحية والغنوصية بل تعدى ذلك الحد وتجاوزه ، وأصبح أمام مسؤوليات عالمية ، وتاريخية ، واجتماعية ، ومصيرية ، وتحولت التجربة الشرقية والصوفية والروحية برمتها إلى إغناء وإثراء لأفكاره ومبادئه السياسية ، وجعلت للشرق حضورا محسوسا لا في حياته الخاصة حسب إنما في الثقافة الغربية ، والسياسة الغربية .

**

لقد حولت هذه التجربة العنيفة والغامضة إلى حد ما ، والتي حدثت في العراق ، حياة ماسنيون كليا وطبعتها بطابعها إلى الأبد ، ففضلا عن تحول حياة ماسنيون -المستشرق والباحث الغربي عن الآثار الشرقية في العالم القديم - إلى نقابي ديني بالمعنى الكلاسيكي للكلمة ، فقد ختمت هذه التجربة على جسده ختمها الذي لم يختف أو يتلاش مطلقا ، وذلك بانخراطه النهائي في الحياة الصوفية والغنوصية والأسرارية ، وببراعة خلاقة حوّل ماسنيون هذه التجربة الغنوصية من فعل سلبي إلى ممارسة فاعلة وحيوية بل ودراماتيكية في تاريخ الإسلام الحديث ، وبمقدار ما كان

كتابه الموسوعي العظيم «وجد الحلاج»[1] خلاّقاً ، كان فعله السياسي خلاقاً أيضاً ، فقد انخرط ماسنيون في العمل السياسي بوصفه باحثاً متلمساً للقضايا الحية في التاريخ القديم والعقائد والأديان ، ومستشاراً سياسياً ، وخبيرا متمرساً في شؤون الشرق الأوسط ، وتحولت حياته إلى سفر مجزأ بين عالمين ، وروحين ، وحياتين ، الحياة الأولى هي تجربة الهيجان الروحي التي عاشها في بغداد بالقرب من طاق كسرى ، والتي تكلم عنها مفصلا في كتابه العهد ، والثانية هي حياته كخبير متمرس في شؤون الشرق الأوسط ، وممارس عملي لثقافته الاستشراقية في تقرير مصير العالم الإسلامي .

لقد عمّد ماسنيون بوصفه شاهداً غربياً ، ولادة عالم جديد بذرته أوربا في منطقة الشرق الأوسط ، وشعر وهو بين الحضور الزمني والاستحضار الديمومي للحلاج ، بأن غشاء روحه يتمزق بين عالمين ، ويرتد كل تعبير من تعبيرات تجربته الروحية إلى الحد الفاصل في التجربة الجوانية ، ففاضت هذه التجربة في حياة هذا الغربي ، وجعلته ينخرط انخراطاً سياسيّاً وعسكريّاً في التحولات التاريخية الكبرى التي شهدها العالم العربي والإسلامي ، منذ بداية الحرب العالمية الأولى .

**

إن هذا التحدي والمجابهة اللامعة والمميزة في فكر ماسنيون تقودنا بالضرورة إلى استجلاء تجربته الروحية ، التي تفجرت في بغداد العثمانية

---

(1) La Passion d'al-Hallâj, 1re éd. Paris, Geuthner, 1922, 2 vol.,1088 p. 28 pl.; 2e éd., Paris, Gallimard, 1975, 4 vol., 1944 p., 59 pl. Traduction américaine par Herbert Mason de la 2e éd., The Passion of al-Hallâj, Bollingen Series XCVIII, Princeton University

في العام ١٩٠٨ ، فهذه التجربة الفنطازية والغرائبية ، والتي هيمنت على مخيلته وهو أسير مقيد بالسلاسل ومحكوم عليه بالموت من قبل الضابط العثماني حازم بك ، ومطروح على ظهر باخرة عثمانية على ضفاف نهر دجلة ، هي التي حددت مهمته فيما بعد ، فهي من جهة تجربة إشراق روحي حدثت له وهو ينازع الحمى الشديدة التي تمكنت منه في أرض غريبة عليه بالكلية ، غريبة وعدوانية أيضا ، وهي من جهة أخرى تجربة ذات بعد فنطازي أو رؤيوي ، فقد تحدث عن تعرفه ذلك اليوم على سر الحلاج عبر حمامة أخذت تهدل على قضبان نافذة سجنه ، ومن ثم منحته السر الأبدي وسر الحلاج ، بوصفه شهيد الحب الإلهي والمصلوب مثل المسيح في الثقافة الإسلامية ، ويستجلى هذا السر الأبدي بعد فترة وجيزة في تجربة صوفية وعرفانية محمومة ومشبوبة قادت حياة هذا الأسير البائس فيما بعد ليسهم إسهاما فعالا في تقرير مصير هذه الأمة ، وقد تحدث عنها في كتابه الذي أطلق عليه «العهد La parole donée»[(١)] .

وقد وصف ماسنيون هذه اللحظة في العام ١٩٥٩ أي قبل وفاته بثلاثة أعوام بالتالي :

«بعد دراستي اللغة السنسكريتية (ومخطوطات آنغور) شرعت بدراسة اللغة العربية والبلدان المسلمة ، ورحلت طوال أعوام عند تخوم الصحراء

(١) من المستحسن ترجمة عنوان هذا الكتاب بالعهد ، فالترجمة الحرفية هي الكلمة الممنوحة La parole donée يقصد ماسنيون بالعهد هو حين تعطي العربي عهدا عليك أن لا تنكثه ، فقد شعر ماسنيون بأزمة ضمير كبيرة ، ذلك لأن الغرب نكث العهود مع العرب ، ويعتقد أن أكثر المشاكل في الشرق الأوسط تنتمي إلى عدم إيفاء الغرب بتعهداته مع العرب والمسلمين . انظر بهذا الصدد :

Jean Mourion, Louis Massignon, op.cit. P14-15-16

العربية في أفريقيا وآسيا ، وخضت هناك صراعات عديدة ، وفجأة تملكني نور الوحي والإلهام ، ومع أنني كنت متخفياً ووقعت ضحية الأسر على تخوم الصحراء وحقول الأرز في العراق ، فما كان بمقدوري أن أتخلص من ضربة الشمس عند الظهيرة ، والحفاظ في الوقت نفسه على الومضات الخفيفة عند الفجر لتلك الأساطير الشعبية السلفية . وفضلاً عن ذلك ، عادت هذه الأساطير الشعبية حية في ذاكرتي حين اكتشفت في الإسلام رموزاً دينية مماثلة للثقافة التقليدية عند الفلاحين ، وخاصة في إسلام بلدان الرياح الموسمية الممتدة من الجزيرة العربية ذات البخور إلى إندونيسيا ذات التوابل» .

**

ولأن ماسنيون ، على خلاف مدرسة الاستشراق الفرنسي ، لم يكن يعتقد بوجد أي طلاق أو فراق بين الوحي والحداثة والغربية فقد أشعلت تجربة الموت الزائف في بغداد حياته الروحية الداخلية ، فهذه التجربة كما يذكر ذلك مرارا هي التي قادته إلى تجربة الإشراق ، وحولت حياته التي كانت عدماً néon أو عبثا absurd ، كما ذكر ذلك عدة مرات ، إلى بول كلوديل نحو أفق جديد .

لقد شعر ماسنيون بعد هذه التجربة بأنه عثر على سر وجوده وكينونته ، وعثر في هذه التجربة غير المكتملة والمعبرة بفجائيتها وصدفتها وبزوغها الفوري عن الكوجيتو الناقص في داخله ، على الخط الواصل بين ثقافتين وحضارتين مختلفتين ومتعارضتين تقريبا ، ومتواجهتين أكثر المرات ، وأجادل أن الحلاج الذي كرس ماسنيون لدراسته والبحث عن فكره ومؤلفاته وحياته كل حياته تقريبا – مع أنه شخصية عائمة في

التـراث الفكري والفلسـفي الإسـلامي[١]- هو خط واصل بين الثـقـافـة العربية والغربية ، ونقطة التقاء بين الإسلام والمسيحية ، ويطور ماسنيون من هذه النقطة فكرة جديدة حول العالم الروحاني في الإسلام :

فطالما رفض الإسلام فكرة الافتداء المسيحي ، وهي نقطة الافتراق بين المسيحية والإسلام ، ارتضى الحلاج بفكرة الافتداء وتقبل الصلب المشابه للصلب المسيحي ، فالإسلام الناقص -كما يرى ماسنيون- والذي كان يعاني من الجدب الروحي والقحط قد اكتمل ، وعبر عن نزوعه السامي في قبول الفداء وتقديسه . وفضلا عن تحدث الحلاج بوصفه «الحق» الذي يتجسد بالله ، وهو نوع من أنواع التجسد المسيحي أيضا ، أي أنه البشري والمقدس في مكان واحد ، فإنه يعبر عن مفهوم الإبدال ، أي أن تجربة الحلاج الإسلامية تتماثل مع الحياة الصوفية والغنوصية المسيحية الأوربية ، رغم المسافة الجغرافية التي تفصل بينهما[٢] .

**

(١) اختلف المسلمون في أمر الحلاج ، بعضهم يجله ويقدسه ، وبعضهم يصفه بالدجل والاحتيال .

(٢) يقدم إدوارد سعيد مقالة ماسنيون «التجربة الصوفية ونماذج النهج الأدبي» المكتوبة في العام ١٩٢٧ مثلا على هذا التقارب ، حيث يقارن ماسينون بين التقنيات اللفظية لكتاب أوربيين من أمثال إكارت والقديس جون الصليب وكلوديل ، وبين تقنيات الشعراء المسلمين المتدينين ، ومن الجدير بالذكر ، أن ماسنيون لا يرى هذه التشابهات كائنة في التعبيرات اللفظية حسب ، بل ويبين لنا على نحو جلي كيف أنها متطابقة في الدلالة ، وأنها متقاربة بصورة دقيقة ومحكمة ، على الرغم من «تمايز» الظروف الجغرافية الفاصلة فيما بينها . وإن ماسينون ليحافظ ، حتى في تحليلاته للمواجهات الصوفية الأوربية والمشرقية مع المقدس ، على ما يطلق عليه بورطته في دراسة الرموز : إذ إن اهتمامه بالتشبه الكامل -الذي يتشبهه الإنسان بالله- لأقل من اهتمامه بالصراع الباطني بين الإنسان والله وبين الإنسان والإنسان ، صراعاً يغامر فيه الإنسان بفقدان تطابقه ==

إن الرؤية التاريخية تتكون وتتشكل-نسبة إلى ماسنيون- من حزمة هائلة من التقمصات والرؤى والمشاهدات المبعثرة والمتناثرة في العالم ، وهي تتشكل سواء في الشرق أو في الغرب ، ولا تكتمل إلا بعد أن تنوب واحدة مكان الأخرى ، فمفهوم الإبدال هو مفهوم رئيسي في فكر ماسنيون يقرب به الأديان من بعضها ، حيث يعتقد بأن هناك سلسلة متواصلة ومستمرة من الإبدالات والتعويضات بين الإسلام والمسيحية ، وهنالك شيء دائما يمكنه أن يحل محل غيره بشكل ثابت ، فالإسلام هو بدل ناقص للمسيحية في الشرق ، وناقص بمعنى أنه لا يعوض المسيحية كليا بالرغم من أن كلتا الديانتين هما ديانتان إبراهيميتان ، وأن وجود الحلاج وأمثاله من حين إلى حين يصنع نوعا من الإبدالات المتكررة ، فالإسلام والمسيحية يتبادلان عملية الزحزحة فيما بينهما ، وبالرغم من أن الإسلام يستمد جوهره من مقاومة التجسيد المسيحي ، ويستمد صلابة موقفه من رفض هذا التجسيد ، لأنه عنصر هدام ومقوض لفكرة التوحيد ، إلا أن ماسنيون انجذب بقوة نحو الإسلام بالرغم من صلابة مسيحيته التي تستمد قوتها مما رفضه الإسلام ، في التجسيد ، وقد كرس كل عمله الفقهي في سبيل أن يجعل من الديانتين تتبادلان عملية الزحزحة بينهما ، بل أفسح مجالا لتقترب الديانتان من بعضهما ، مع بقائهما منفصلتين كي تحل الواحدة محل الأخرى بشكل مستديم وأبدي .

**

طرح اسم الحلاج المصلوب والمدفون في قبر مطل على نهر دجلة من

== مع الله . انظر L. Massignon, L'experience mystique et les modes de stylisation littéraire, Opera Minora, p. 371

انظر : Edward Said, The world, the text, the critic, Harvard Press, 1983. p285

جهة الكرخ أمام ماسنيون أوقيانوس التجربة العرفانية بكل غموضها وتشعبها . لقد شعر ماسنيون بنفسه وهو يقبض على المطلق في المجال اللامرئي من هذه التجربة الكونية التي عاشها في مجال الإسلام ، وركز فيما بعد على البعد المبهم والكوني في هذه التجربة ، ليمنحه نوعا من الخلاص ، فماسنيون كان يعاني من حصارين ، الأول : شعوره بالفناء لحظة حكم الإعدام عليه ، وعلى أطراف الصحراء العربية ، وكان غريبا ، ومصابا بضربة شمس ، والثاني : شعوره باليأس من أوربا التي كانت تعاني من انحسار روحي شديد كما سنرى في رسائله .

لقد مدته هذه التجربة بثراء روحي وغمرته بفيض خاص ، وجعلته بعد عودته إلى باريس ينذر روحه لتجربة مزدوجة ، الأولى تجربة قراءة ، أي قراءة الشرق مثل طرس أملتها عليه تجربة حياتية في الأسفار والسياحات الجغرافية وهي تجربة غير مستنفدة على الإطلاق ، الثانية هي تجربة كتابة ، لقد جسد ماسنيون كل حياته ، واستنفدها بعمل كتابي جبار ، وبأسلوب قل نظيره في الثقافة الفرنسية ، أسلوب متقطع ومبتور ، وكان يدخل في ثناياه تجسيدا لتناوب الفكرة بين حضورها وغيابها ، ومفارقة في الرأفة والانكفاء عنها ، وقبول الغريب وإيوائه أو استبعاده ، وفي الصلاة الكرنفالية والحب الرؤوف والرحيم ، الذي يدعو إليه هنالك نوع من المبادلة بين المسيحية والإسلام ، في الجذب والرفض ، وهنالك في صلب عمله الجبار مفهوم التكريس الرحيم والبديل بين آلام المسيح والإبدال في الإسلام(١) .

**

إن هذا الاستحضار الديمومي لتجربة الحلاج هو الذي جعل ماسنيون

---

(1) Edward Said, op.cit. p 286

ينفلت من بنية فيلولوجية كاملة ، بنية موصفة وخاضعة لتمركزات ثقافية وسياسية متنوعة ، وإن أي مستشرق في زمن ماسنيون يقترب من دراسة التصوف الإسلامي ، سوف يصطدم بعائق فيلولوجي كبير سنته المدرسة الاستشراقية الفيلولوجية الفرنسية منذ آرنست رينان .

إن آرنست رينان هو الذي سن ، وأسس فكرا كاملا ومنتهيا في النظر إلى الإسلام بوصفه دينا خارج القداسة ، وخارج المؤسساتية الروحية كما هي عليه المسيحية ، بل خارج الأصالة التقليدية للوحي : فلا سر ولا معجزات ولا قدسية ولا نساء ، كما قال في كتابه «محمد وأصول العقيدة الإسلامية» ، هذا الدين الذي جاء متأخرا هو عقيدة آنية ومحينة ، ولذا فلا مستقبل لها على الإطلاق لأنها عاجزة وعقيمة وغير قادرة على تجديد نفسها ، وستندمج وتتلاشى تحت تأثير العلم الغربي الحديث .(١)

إن تلاشي الإسلام هو شيء أكيد في التراث الفيلولوجي الذي ورثه ماسنيون ، فالإسلام المناقض للعلم ، والمناقض للفلسفة ، والمرتبط ارتباطا أكيدا باللغة ، قد قطع كل علاقة مع المفهوم الأساسي للقدسية والحياة الروحية والعلمية والثقافية ، وقد كف كليا عن التحول والتطور والتغير ، بل حتى اللغة العربية التي أطلق عليها ماسنيون «اللغة الطقسية للإسلام L'Arabe langue liturgique de l'islam»(٢) كانت نسبة لرينان لغة

---

(1) Ernest Renan, Oeovres completes,1:621-622

وللتوسع في هذا الموضوع انظر : Pierre Lasserre, La Jeunesse d'Ernest Renan, Histoire de la crise religieuse au xix siecle3vol, Paris,Garnier frères, 1925

(٢) كتب ماسنيون في هذه المقالة «أن اللغة العربية تغطي وتكثف بتصلب فولاذي الفكرة التي تعبر عنها دون أن تخضع لقبضة الفاعل المتكلم الذي ينطقها ، فهي لغة سامية تحتل موقعا توسطيا بين اللغة الآرية واللغات الإدغامية» انظر :

L. Massignon, L'Arabe langue liturgique de l'islam, Opera Minora, tom3, p543

عقيمة من الناحية العلمية ، وتجسد الكراهية الحقيقية للعقل وللفلسفة العقلانية ، كما أن لغة الإسلام ليست باللغة الملائمة لتغذية العلم . إن الإسلام ولغته العربية ، يجسدان نسبة لرينان الكراهية للعقل ، ونهاية الفلسفة العقلانية ، وعداوة متواصلة للتقدم ، وكان الإسلام ضاراً على الدوام ، ذلك لأنه حوّل البلدان التي حكمها إلى ميادين مغلقة ، فهو بدائي ومنغلق دون حدود ، ومشكلته التاريخية طبقا إلى رينان أنه ارتبط بعصر ما قبل اليهودية والمسيحية حتى وإن جاء بعدهما ، أي أنه ارتبط بعصر ما قبل الوحي والإلهام اليهو مسيحي الفياض والمفعم بالحيوية ، ففقد نزوعه المخصّب ، واندفع في عقمه ، وضعف إرادته وانكفائه عن العصر الحديث(١) .

في حين أن ماسنيون يعتقد أن الإسلام ، باتخاذه اللغة العربية لغته الطقسية ، فإنه فضّل الحدّ الأقصى للتصلب المتماسك والكثيف من هذا التجرد العظمي الذي تتسم اللغة العربية به ، ففي العربية يقول ماسنيون وليس بالعبرية ولا في الآرامية ، اتخذت السامية ضميرها من أصالتها النحوية ، ذلك لأن الصوامت الثلاثية ترسخ الجذور ، والتركيب اللفظي

(١) يعتقد سعيد أن المغالطة العجيبة في صميم رؤية رينان للإسلام لا تجد لها حلاً إلا حين نفهمه بأنه يستبقي الإسلام حياً لكي يباشر تهديمه في نصوصه الفقه-لغوية ، ذلك لأن رينان يتعامل مع الدين الإسلامي بوصفه دينا يعاني من الجدب والقحط في جوهره الروحي ، وأن الإسلام مهم نسبة للعالم الفقه-لغوي بوصفه حاشية للأديان السماوية التي هي بالأساس حواش ملحقة بإلهامات لم تعد موجودة ، وهكذا فإن الإسلام هو حاشية الحواشي ، أو أثر لأثر آخر ، وهو بهذا لا يعدو أن يكون في وجوده وكينونته المعاصرة إلا تحديا لأي فقيه-لغوي يدافع عن الثقافة الغربية ، فعلى الأخير أن يبرهن اللامبالاة المتواصلة للإسلام بالعلم والثقافة ، وهو الأمر الذي يعتقد سعيد بأن رينان كان يعود عليه مرة إثر مرة ، وفي كل كتبه . انظر : Edward Said, op.cit. P281 .

يعود على الفعل وليس على العامل النحوي[1] ، ويعتقد ماسنيون أن اللغة البشرية هي نداء شخصي يبرز إلى الوجود كي يحررنا من أنفسنا ومن بلادنا ومن تربتنا ، وليذهب بنا باتجاه الحب ،[2] فماسنيون يحاول ردم الهوة الثقافية من خلال تعلم لغة الآخر ، ويظن أن هذا الاكتشاف هو نوع من الدمج الروحي لأفقين متفارقين وغير متساوقين ، أفق الثقافة الوطنية والقومية وثقافات الآخرين ، فهو دمج رمزي للمسافات الجغرافية والأزمنة المتفارقة والهويات المتقاتلة ، وأنا أستعير هنا عنوان كتاب لأمين معلوف ، فالوحي يعبر عنه بشكل صادق من خلال الكلمة المصوّتة ، أي العبارة المنطوقة ، ويرى سعيد بحق أن ماسنيون فضلا عن مهمته كفيلولوجي أصيل ، فإنه يبحث عن الكيفية التي تظهر فيها النصوص في لغة أجنبية ، وكيف تتضمن ذلك الحضور الإلهي في كل لفظة من ألفاظها التي تنطقها هذه اللغة ، كما أنها تحمل شهادة على هذا الحضور[3] .

**

إن التحول الهائل الذي يحدثه ماسنيون في صميم عمله الفيلولوجي هو تجاوز الحدد أو العنصر الأساس الذي يتحكم بالدراسات الفيلولوجية من جهة عقد الصلة بين دراسة اللغات دراسة فيلولوجية ، مقارنة مع الحقب التاريخية التي تمرّ بها ، ذلك لأن ماسنيون كان أسيرا على الدوام لكشفه الذوقي والإشراقي بالتجول في أزمنة اللغات وحقبها التاريخية دون عوائق حقيقية ، بينما يتركز عمله الفيلولوجي في التقريب بين اللغات بوساطة

---

(١) انظر : Opera Minora, tom3,P543

(٢) انظر :

Waardenburg, L'islame dans le miroir de l'occedent, Mouton and co, 1963, P529

(3) Edward said, op.cit. P280

ردم الهوة الجغرافية والتباعدية والمكانية بينها ومن منظور فيلولوجي أيضا ، طالما المهمة الفقه-لغوية (الفيلولوجية) المقارنة تحدد التحولات الصرفية والمورفولوجية والتركيبية للغة ، بمقدار نشأتها في إقليم أو مكان محدد أو في جغرافيا خاصة ، ولذلك فإن مهمة الفيلولوجي ، كما تؤشرها كل أعمال ماسنيون ، هو التقريب والدمج وردم الهوة وتجميع الوحدات المنفصلة في وحدات متصلة ، والوعي النحوي الكلي كما طرحه لايبنتز في لغات كلية أو عالمية هو ذاته الوحي الذي ينظم الأطراف المتباعدة بين الديانات التوحيدية الثلاث في صلاة إبراهيم مثلا . . والتي هي تمتمة في النهاية ، واستحضار لغوي لما هو غائب ، والشهادة هي تعجيل لحضور الغائب في الفكر الإسلامي ، حيث يحضر ما هو غائب عبر اللغة ، وهذه اللغة تتحدد بطابع مكاني ، ولذا يكون الإسلام ظاهرة يمكننا الشعور بها حينما تنبثق من المكان الذي أنتج لغتها لا في مكان آخر ، ومهمة الفيلولوجي هنا هو تقريب هذه المسافات بين العالم الإسلامي وأوربا المسيحية ، عبر إضاءة النصوص في تقاربها المميز والجلي والظاهر أيضا .

**

إن تفحص الإسلام هنا يتم عبر تأكيده كصورة معبرة للجمع بين ما يمكن أن نطلق عليه الشبيه المختلف ، وإن عمل ماسنيون كفيلولوجي باحث في النصوص التاريخية يقلص المسافة لا بين الحاضر والماضي حسب إنما بين الإسلام والمسيحية ، بين الغرب والشرق ، وهذا العمل لا يتم عبر الشفقة والرأفة المسيحيتين اللتين كان ماسنيون يؤمن بهما إنما من المدرسة الجمالية الرمزية لملارميه وبروست كما يرى إدوارد سعيد[1] ، حيث يتعايش على الدوام داخل النص ذاته الشيء وغيابه ، وتجسد اللغة لعبة

(1) Ibid, P281

المبادلات بين الشيء ونقيضه ، أو المختلف عنه ، وهي قريبة دون شك من رؤية المستشرق الألماني س اتج بيكر ، التي تنبعث من رؤية الإسلام كمثال نوعي لينابيع الحضارات القديمة ، فبيكر ينظر للإسلام بوصفه استمرارا حتميا للمسيحية والهيلينية ، وهي نظرة شمولية شبيهة بنظرة هاملتون جب ، والذي يركز على القوى التي تميل إلى الإسهام في عملية الدمج الروحي والثقافي بين ضفتي العالم ، فالعالم الإسلامي وأوربا نسبة إلى هاملتون جب هما شطران للعالم الغربي ، ولا يمكن للإسلام أن ينكر أسسه ، فهو ينتمي إلى المجتمع الغربي الأكبر حجما وجزءا لا يتجزأ منه ، بل هو تكملة للحضارة الأوربية وموازنة لها ، وإن ما يحدث بينهما يمثل عودة إلى التكامل بالنسبة للحضارة الغربية ، وهي التي قد تناثرت بطريقة زائفة مصطنعة إبان عصر النهضة ، ثم هي الآن تؤكد وحدتها من جديد في قوة ساحقة(١) .

**

لقد انتزع ماسنيون من التراث الفيلولوجي ، الذي كان يستند بالضرورة إلى تراث مؤسسي في سوء الفهم ، أفضل ما فيه منذ آرنست رينان ، وقد ميز إدوارد سعيد في فقرة شيّقة الفرق بين التراث الفيلولوجي الذي سنّه آرنست رينان وبين التحول الذي حدث على يد ماسنيون ، فالمهمة الفيلولوجية هنا وهي تكمن في قلب الثقافة الفرنسية ، قد تعرضت بشكل جلي إلى نوع من الهدم والتقويض على يد ماسينون ، بل أخذت مدرسة الاستشراق تتعامل مع روح مميزة مندمجة مع خبرة عميقة ؛ لأن تماثلاتها ودعاماتها الثقافية الجليلة -على حد تعبير سعيد -كائنة في

(1) H.A.R. Gibb, The influence of Islamic culture on medival Europe, Joun Ryland Library Bulletin, 38, no1, sep. 1955, 98.

جمالية سيكولوجية ، وما هي بالمؤسساتية والأكاديمية كما كانت عليه الحال لدى رينان . ويستطرد سعيد في تحديد النقاط الهامة التي تمكننا من فهم ماسنيون ، فيعتقد أن هذا الأمر كائن في قراءة مالارميه ورامبو أكثر مما هو كائن في قراءة سيلفيان ليفي ، ومع أن النظرتين متماثلتان في بنية سياسية وثقافية واحدة قادمة من هيمنة وسلطة فرنسا على العالم الإسلامي ، وهي سلطة ثقافية وسياسية وكولنيالية ، غير أن الاختلاف يجلى جلاء واضحا في قلب المهمة الفرنسية في العالم الإسلامي والتي تتحدد عند رينان بموقف ورأي ومعرفة يتحدد ابتغاؤها في البطش بالعالم الإسلامي ، بينما كانت لدى ماسنيون تتحدد بوجوب تفهمه والرأفة به والشفقة عليه عن طريق التجاوب مع أحزانه وحاجاته وورطته القدسية[(١)] ، فموقف رينان يستبنى على فعل فضح وتعرية وكشف وإصدار أحكام ، بينما يستبنى موقف ماينون على التقارب الحميمي والتمازج والالتحام .

**

---

(١) انظر بهذا الصدد العديد من المقالات التي كتبت عن علاقة ماسنيون بالعالم الإسلامي أو حول الحوار الذي كان ينشده ماسنيون بين الثقافة الغربية والثقافة العربية الإسلامية ، أو دور ماسنيون في تفعيل هذه الحوارات ، وأخص بالذكر :

1- Louis Massignon et le dialogue islamo-chrétien, par George Anawati, in Présence de Louis Massignon. Hommages et témoignages, 1987

2- Louis Massignon et Saint Marie de Dar-el-Salam, par Xavier Eid, in Présence

أما المقالات التي كتبها ماسنيون حول العالم الإسلامي من طرف علاقته بالغرب ، أو علاقة الإسلام بالمسيحية فقد جمعها يواكيم مبارك في كتاب :

L.Massignon, Orera Minora, vol.1

كتب ماسنيون أكبر موسوعة إسلامية في التصوف عبر كتابه الضخم «وجد الحلاج» ، ومن خلال مصادر قليلة جدا خلفها الحلاج ، قدم ماسنيون كتابا قل نظيره حول التصوف الإسلامي ، والإسهام الأكبر هو البيبلوغرافيا التي تمخض عنها عمله ، والتي تعد إسهاما كبيرا في التراث البحثي الإسلامي ، وفضلا عن التصوف الإسلامي والتطور الروحي للحلاج درس ماسنيون بشكل معمق البيئة الاجتماعية والسياسية لبغداد في ذلك الوقت ، وتتبع تكون الحلاج الروحي عبر مذهب التدرج في المعرفة وهي نور العقل ونور الإيمان وبصيرة الذات المقدسة ، وتابع أثر سهل التستري (٨١٨/٨٩٦) عليه ، وتقديم مذهبه القائم على الاجتهاد : التوبة ، والإيمان ، وأثر مذهب الجنيد البغدادي ، والذي يتضمن الميثاق أو (العهد) الذي تقطعه الأرواح على نفسها قبل دخولها الأجساد ، وذلك بالتزام الإخلاص ، والتسليم إلى الله ، وإن جوهر الفرد مقدر ومكتوب من قبل مشيئة الله .

ومن ثم يتابع ماسنيون تأثير النوري (٩٠٧) على الحلاج عن طريق تعليماته ، ودفاعه عن معتقداته لدى مواجهة الخليفة ، وأثر أبي بكر الفوطي ، المتوفي (٩٦٩) ، والشبلي المتوفي (٩٤٥) ، وابن عطاء المتوفي (٩٢٢) ، بوصفهم ملهمي الحلاج ، ويرسم صورة تفصيلية عن دفاع ابن عطاء عن الحلاج أثناء محاكمته وموته متأثرا بعد المحاكمة مباشرة ، ويعتقد ماسنيون أن الحلاج يعتقد بفكر ابن عطاء في تقديمه للشكر لله ، بوصفه الطريق الذي يوصل الإنسان إلى الكمال . ويترسم ماسنيون خطوات الحلاج أثر انشباكه مع منظومات سنية متشددة في مكة ، فيعتقد أن الحلاج كان متأثرا بدوائر ثلاث ، الأولى الحياة الجمالية التي عاشها في مكة ، والتخيل الصوفي ، وأزمة الضمير التي كان يعيشها ، والتي كانت

تتفاعل مع الأحداث ، مما جعلته يمر بحالات ونفحات ، ثم يسمع كلمات مقدسة يهتم بها ويلحظها ويجعلها معيارا للعبادة .

**

يشير ماسنيون في كل فقرة من فقرات كتبه وهو يعالج التاريخ الإسلامي الذي مر وضاعت لحظاته بين المتون والمخطوطات وهوامش المتون ، إلى الحدث التاريخي وكأنه يعيش في اللحظة الآنية ، لا بانفعاله الشخصي حسب ، إنما بالحكم الناقد للحدث أيضا ، حين يتحدث عن محاكمة الحلاج ، كان يحين ويوقع كل لحظة من لحظات التاريخ ، كان يطرح اللحظة بكل تعرجاتها وامتداها وامتلائها بين يديك ، وكأنك تقف بين داود الظاهري والصوفي المعزول .

«إن كل شقاق لا يعني اللعنة بالضرورة»(١) كتب تزيفتان تودوروف في كتابه (الإنسان المغترب) وهو يعلق على جملة للورنس كان قد كتبها عن تجربة «إن كل من يعيش بين ثقافتين يضيع روحه» ، في الواقع كان تودوروف هو الآخر يتحدث في إطار تجربة شخصية حقيقية ، كان يتحدث عن كل الذين يعيشون التمزق الخطير بين هويتين وعالمين وثقافتين ، وعن التأثير المقلق لثقافة الآخر ، وربما يدهشنا في إطار التجربة المختلفة لماسنيون قدرته الهائلة على إزاحة هذا القلق الخطير ، وعدم شعوره بالغياب المرهق لهويته ، الناجم عن المنافسة العنيفة مع ثقافة أخرى ربما كانت أقرب مثالا وأشد تطابقا مع مزاجه الآسيوي ، بل يدهشنا هذا الإلحاح على ثقافة الآخر في الزمان والمكان ، وهو يكرر الأنماط المتمازجة بين الشفرة الحقيقية التي تنطوي عليها ثقافته الأولى والشفرة المكتسبة من ثقافة الآخر ، هذا الامتزاج الحنون والمتعاطف ، والذي رسم في داخله العالم بتفاصيله

(1) Tzvetan Todorov, L'Homme dépaysé, Edition du seil, 1996, P73.

الصغيرة والعابرة ، عالما موسعا ومتصالحا ويوتوبيا أيضا ، وما من شك فإن هذا العالم كان حقيقيا ، حتى وإن شعر ماسنيون بخيبة كبيرة إزاء السياسات الكولنيالية غير المتصالحة في بلده ، إلا أنه ظل طوال حياته يهتم بالفهم والإدراك الواسعين تحت إرشاد اللحظات التاريخية الكبرى والحركات الفكرية المتميزة ، ويعبر أمام أزمة المواجهات الاستعمارية مع الثورات السياسية التي لا تحصى عن نفوره المشمئز ، واحتقاره الشديدين للعنف والاكتساح الفوري والمباشر للثقافات الأخرى .

**

لقد كان كتاب «وجد الحلاج» هو ذروة أعمال ماسينيون ، إن لم نقل أكبر انسكلوبيديا استشراقية في موضوعة محددة هي التصوف الإسلامي ، وقد قطره ماسنيون في شخصية الحسين بن منصور الحلاج ، وفي الوقت ذاته دفع الحياة الشخصية للصوفي القتيل إلى التاريخ الشامل للإسلام في الاجتماع والعقائد والفقه والفلسفة والتاريخ ، ويعد هذا الكتاب بحق أضخم كتاب كتبه ماسنيون بعد كتابه (رحلة إلى بلاد الرافدين) بجزأيه (قصر الأخيضر) و(بغداد نقوش وطبغرافيا) ، والذي يمكننا إن وضعنا على الطريقة الاستشراقية الموازاة بين عملين مختلفين ، فهو حالة من التهيؤ الشخصي لفهم الشرق واستيعابه (في الوقت الذي كان الاستشراق يركز على ضرورة فهم الغرب للشرق واستيعابه لضمه والسيطرة عليه) ، وقد تم بإيحاء هذين الكتابين إنتاج عدد أوفر من الكتب والمقالات النقدية والبحثية عن الغنوصية الإسلامية ، والقرامطة ، والنصيرية ، ومباحث هائلة عن الوقفيات والمقابر والخطط الإسلامية لفاس والأخيضر والكوفة والبصرة وبغداد ودمشق ودمياط والقاهرة والمدينة المنورة والقدس ، وبحوث في الفقه والشريعة وعلم الكلام في الإسلام ، ومجموعة ضخمة من الشخصيات

الإسلامية مثل : فاطمة ، سلمان الفارسي ، التستري ، ابن سينا ، الفارابي ، الجنيد البغدادي ، ابن الفارض ، روزبهان البقلي ، ومن ثم التحول الكبير نحو القضايا الراهنة ، فكتب عن موقف الإسلام من الغرب ، عن الحداثة في العالم الإسلامي ، والتحولات الداخلية للإسلام المعاصر ، عن اللقاء الثقافي ومستقبل الإسلام ، وعن الشخصيات والصداقات في العالم الإسلامي مع الملك فيصل ، ومحمود شكري الآلوسي ، والحاج علي الآلوسي ، والأب أنستاس ماري الكرملي ، وعلي عبد الرازق ، وكتب بوحي من الشرق عن أغناص غولدتسيهر ، وفنسنك ، وهانرش بكر ، ومارسيه ، وغاندي ، وكلوديل ، وهويسمان ، وماريتان ، والأب دو فوكو ، وكان العامل الحاسم هو اختلاف ماسنيون القطعي عن كل مدرسة الاستشراق الفرنسي ، بدءا من سلفستر دو ساسي ورينان - وهما اللذان كرسا الاستشراق التقليدي وأسسا مدرسة الاستشراق الفرنسي- وحتى أساتذته مثل سيلفيان ليفي ، الذي درس ماسنيون السنسكريتية في مدرسة اللغات الشرقية ، والفرد دو شاتليه ، الذي خلفه فيما بعد ماسنيون على كرسي علم الاجتماع الإسلامي في الكولج دو فرانس ، وانتهاء بجاك بيرك ، وهنري ماسيه ، وموريس غارديه وغيرهم .

**

لقد انتقل ماسنيون بالاستشراق من الإخلاص النسبي للموضوعة الشرقية إلى الطموحات البنيوية الشاملة في إطار البحث عن العلاقات التي تكرس النظام الكوني بصورة كلية ، وتحول ماسنيون نحو العقيدة التي تبحث عن الإنسانية بمعناها الكوني والشمولي ، ولم يستطع تجاوز القدر النسبي للتسامح مع الشرق كما طرحه بوستل في الثقافة الغربية ، إلا أنه تخلف عن بوستل بقبول الفصل الاستشراقي النهائي للعرقين الآري

والسامي ، لقد تخلف ماسنيون بالرواسب التي علقت بعمله ، وهي رواسب الخطاب الديني الشعبي والفلكلوري أكثر مما هي رواسب الخطاب الاستشراقي (يركز الخطاب الاستشراقي التقليدي على هذا الفصل العرقي) وهو اشتهاء رومانتيكي أيضا في قبول الحكاية التوراتية بالوعد الإلهي المبرم مع إبراهيم ، بأحقية إسحق بالوعد وطرد إسماعيل منه ، وإسقاطها على تحليل كل صراع في الشرق الأدنى ، وإن بقيت هذه المنظومة التي تفسر على نحو فاعل تاريخ الشعب المصاب بالجذام الميتافيزيقي ، والدين المتورط على أساس هذا الوعد الإلهي ، فإن ماسنيون عاد ليقيم في صلاة إبراهيم نوعا من الوحدة بين الديانات السماوية الثلاث ، وجعل من محمد بطل المطالبة بالحق الإبراهيمي كما سنرى لاحقا .

لقد اتبع ماسنيون هذه المنظومة التي حددت طابع الخطاب الغربي في الانشطار ، والذي مر عبر مراحل متنوعة ومتعاقبة ، وهو نوع من تأشير التحول الخاص بالخطاب الغربي ذاته ، وتأثره العميق بالتنوع الظرفي داخل الثقافة الغربية ذاتها أكثر مما يحدث داخل ثقافة الآخر ، وهو نوع من الانتقال من الكوسموغينية الدينية إلى الكوسموغينية السياسية ، حتى جعلت الاستشراق وهو المعرفة الخابرة بالشرق من أجل توصيفه وتحديده ، ومن ثم السيطرة عليه وتدجينه وضمه ، صورة عن التمركز الإثني الغربي ، ولذا نجد انفلات ماسنيون واضحا وجليا لأنه لم يخضع إلى مفهوم الشرق القلق ، ولم يكن بحاجة إلى عملية طرد ونبذ ولعن الجزء الشرقي الذي في داخله ، وإن استطاع الانفلات من الاختزال الذي أصبح نوعا من التهديد ، فإنه لم يستطع الانفلات من التمركز الميتافيزيقي إنما خففه بمفهوم آخر وهو الكوننة .

**

لقد كانت فكرة الاندماج الكوني ماثلة في الثقافة الغربية منذ بوستل في القرن السادس عشر، وقد دفعته حماسته الدينية إلى أن يدرس الإسلام في كتابه (وصف سوريا في العام ١٥٤٢) ، وكتابه (جمهورية الأتراك في العام ١٥٦٠) ، وكتابه (التطابق بين القرآن والأناجيل في العام ١٥٣٣) ، وقد كانت الرغبة الكبيرة تدفعه إلى التوفيق الديني بين الإسلام والمسيحية ، وهذا هو- ربما- ما دفع سيمون جارجي أن يربط بين ماسينيون وبوستل في مقدمة كتاب الإسلام والإصلاح(١) ، وربما ذهب ماسنيون مثل بوستل في الذهاب إلى الأصول لمعرفة الآخر ، وكان مثل بوستل لا متبحرا ورائيا ومتصوفا ، إنما كان مواطنا كوزموبوليتانيا ، ينوي أن يعيد بناء عالم من الكاثوليكيين والإغريق واللاتين والمسلمين بصورة موحدة ، وهذا يقترب أيضا من إيمان بوستل بأن المسلم يمكنه أن يعلم المسيحي درسا بفضل ممارسته الدينية وورعه ، وربما كان التبشير الاستعماري لدى ماسنيون في تلك السنوات يقترب من مفهوم بوستل ، وهو دخول الإسلام في كوزموبوليتية مسيحية متجددة(٢) ، وكانت رغبة ماسنيون إنسانوية أكثر مما هي عرقية ، ولكن مصالح فرنسا كانت تطغى على كوزموبوليتيته ، ومع ذلك نجد أن الرغبة في احتواء الاختلافات كانت تتم لديه داخل تناغم كوني ، ولكن هذا التناغم سيكون بطبيعة الأمر ، من معزف الأقوى ، سيكون هذا التناغم محددا بمن يملك الآلة والأداة لتكميم الآخر وإخراسه ، وهذا ما حدث في ميسلون والقدس ، وكان ماسنيون شاهدا

(1) Simon Jargy, Préface ? Victor Segsvary, L'Islam et La réforme, Genève, Labor et Fides, p7 et p9.

(2) Thierry Hentsch, L'Orient Imaginaire, La vision politique occidentelle de l'est méditerranéen; Les Edition de Minuit, 1988, 102.

على ذلك الأمر بطبيعة الحال[1] .

في الواقع كان ماسينيون يريد أن يعيد للعالم وحدته الأولى ، الوحدة البدائية ، الوحدة البكر لا في الصراع بين العقائد والطوائف والاختلافات القارية والحضارية ، التي تنطوي على الاختلاف في الهوية الثقافية بالضرورة ، إنما من خلال الخضوع إلى البحث عن المدنيات الأقدم ، عن اللحظات المؤسسة التي يمكن للتأريخ تثبيتها ببساطة ، وهي التي تحصل على قوتها الدافعة لا من خلال التبجيل إنما من خلال حقيقتها حتى وإن كانت حقيقة مرغوبة ومشتهاة بعمق .

**

من الطبيعي أن نجد في نشأة ماسينيون العوامل والعناصر المتنوعة ، والفقرات المختلفة التي رسمت حياته بشكل حاسم ، وربما يمكننا أن نعثر بشكل واضح على المكونات التي أسهمت بشكل فعال في صياغة حياته الروحية حتى قبل زيارته لبغداد ، فمن المعقول أن تكون ثمة تقريرات وتيارات وفصلات ملهمة شكلت طابعا روحيا واستعدادا فطريا للحياة الروحية قبل تجربة السجن في السفينة ، التي رست قبالة طاق كسرى جنوبي بغداد ، والتي حددها ماسينيون بوصفها الخضوع الأول للتنوير الذي اخترق حياته ، وهيأه للخدمة الروحية والتكريس بفضل الزيارة الكشفية للحلاج وحلوله فيه .

وسنحاول أن نورد بعض فقرات حياته لتكون نقاطا دالة على الخلفية الفكرية لأعماله وممارساته الفكرية والمعرفية ، ومن ثم سنستخدم هذه الأخيرة لإضاءة رسائله للأب أنستاس ماري الكرملي .

---

(1) L. Massignon, Opera Minora, Tome 2 , 423.

٢- ماسنيون والاهتداء الصوفي عبر الحلاج

«علي أن أؤدي واجبا قهريا نحو هويسمان ، فبفضله كنت استعدت صوتي ،

وهو يصلي من أجلي شاردا خلال آلامه وعذابه ،

هويسمان الذي كان يحمل نظرة نزاع الموت الأخير في والدي ،

هو الذي عرفني على دانيال فونتان ،

هو الذي نقل إلي سر الحب الأخوي لرفاق العمل ،

وسر الخاطئ الذي ارتد إلى الإيمان عبر التصوف ،

ومشاركته لآلام أخيه الماضي في ذنوبه ،

وهويسمان هو الذي نقل إلي هذا السر لأمنحه إلى الآخرين» .

L. Massignon

Opera Minora Tom 3

ولد ماسنيون في العام ١٨٨٣ في نوجان سور مارن ، وكان ابنا لنحات شهير اتخذ لنفسه اسم بيار روش ، وقد تمتع بشهرة لا بأس بها بسبب الأعمال الفنية الغريبة والشاذة التي نفذها في باريس ، بالرغم من تواضع موهبته .

عمل بيار روش تحت إشراف جول دالو ، الفنان الفرنسي الشهير في القرن التاسع عشر ، وهنالك مجموعة من النصب والمنحوتات والتماثيل تدل على عمله . وقد ذكر ماسنيون في رسالة إلى الأب الكرملي مؤرخة في ١٨/تموز/١٩٠٨ أن كنيسة سان برو في الموغمارتر عزيزة عليه لأن البراويز السفلية للأعمدة والمحراب والأروقة كان صنعها الده بيار روش ، كما أن هذا النحات مشهور أيضا بتنفيذه نصب اللوكسمبورغ ، وهو أيضا صاحب نصب هنري فوكيه في مقبرة باسي ، واشتهر بنصفية الروائي الفرنسي الشهير جوريس كارل هويسمان ، وهناك منحوتة جصية له ، مزركشة بالألوان ، جمع فيها عبر أسلوب جديد يتميز بخطوطه المحددة ، بين حياة الزهور والحشرات وحكايات فرنسا الشعبية وفق المنهج الفني الياباني .

إن كل معاصري ماسنيون يعلنون أن بيار روش الأب كان مطبوعا بغرابة خاصة ، هذه الغربة ورثها ماسنيون الابن دون شك ، غير أن الأخير فاقه كثيرا بتميزه ونبوغه وضخامة عبقريته ، وإن كان بيار روش قد صقل أسلوبه بدراسة الفن اليوناني والإغريقي وعصر النهضة ، فإننا نستنج من

هذا أن ماسنيون الابن كان محاطا منذ طفولته بعالم المدنيات القديمة ، لا مدنية روما وأثينا اللتين صنعتا الروح الاستطيقية للغرب الأوربي ، إنما مدنيات العصور الوسيطة ، التي كانت تنتعش بفن في غاية الشذوذ والغرابة ، وتنتعش بما كان يطلق عليه في ذلك الوقت بالفن الشرقي .

**

في الواقع إن الروح الاستطيقية التي كان يتمتع بها ماسنيون منذ طفولته تفسر بحثه الدؤوب عن الخلاص بواسطة الفن ، ولا سيما الفن الشرقي ، فقد حررته الروح الشرقية الغنوصية والعرفانية والنبوئية والأسرارية من الانحباس الضيق ، الذي كانت تفرضه الثقافة الغربية على الغربيين ، وما كانت تعاني منه هي أيضا بسبب طغيان روح الثقافة اللاتينية واليونانية على التعليم الأوربي ، ويرى ريمون شواب في كتابه الرائع (النهضة الشرقية) أن التجربة الشرقية طرحت أمام الغرب الخلاص من المحددات والأطر الضيقة ، ومكنته من الانفلات من المحددات التربوية والبيداغوجية اللاتينية-الإغريقية ، وفتحت له المجال أمام عالم أوسع أطلق عليه شواب بالتجربة الشرقية ، فقد كان العالم الغربي في تلك الفترة ينجذب إلى الشرق تعويضا عن إيمانه المفقود ، وهكذا كان بيار روش الذي فقد الإيمان المسيحي يعتقد اعتقادا جازما بظهور العذراء لجان دارك ، فالصور الغرائبية ، والروحانية الشرقية ، والصوفية ، ومظاهر الحلول ، والتنبؤ ، والرؤى الحلمية ، والاستباقية ، عاشها ماسنيون في منزله قبل تحوله الديني في بغداد ، واستمرت هذه المزية فيه طوال حياته ولا سيما إيمانه بـ«الكشف الذوقي» وهي إحدى وسائل المعرفة عند المتصوفة(١) .

---

(١) فقد ذكر بأنه أخبر الملك الحسن الثاني «ملك المغرب» في لقاء لهما حين كان الأخير منفيا ، بأنه سيعود إلى العرش بعد ستة أشهر ، وقد عاد الملك إلى العرش بعد هذه ==

ولكن لم تكن هذه النزعات سوى مقدمات أولية تبين استعداد ماسنيون وتقبله الفطري للنزعة الروحانية والغنوصية ، غير أن الأثر الكبير الذي أثر به قبل وصوله إلى بغداد هو لقاؤه مع كارل جوريس هويسمان[1] ، وهو روائي فرنسي من المدرسة الرمزية ومن أصدقاء زولا وبروست ، فقد تأثر ماسنيون بروايات الأخير مثل رواية (الهناك) و(الطريق المعاكس) ، وهما روايتان مكتوبتان تحت ضغط التجارب الفوطبيعية ، والتجارب الصوفية ، وعبادة الشيطان ، وقانون الشر والخير ، والتي كانت شائعة جدا في ذلك العصر ، ثم خط في العام ١٩٠١ حياة قديسة من القرون الوسطى كانت تعاني من آلام هائلة مصحوبة بأفراح ومسرات ونشوة غريبة ، وجمع مستندات حول عبادة الشيطان ، والنزوع الفطري إلى الشر ، والنشوة الصوفية التي ترافقها ، وقد أثرت اهتمامات هويسمان دون شك بماسنيون ، ولا سيما الربط بين عبادة الشيطان والنشوة الروحية والصوفية ، وتكشف هذه الرسائل التي بين أيدينا عن اهتمام ماسنيون بالعلاقة بين الصوفية والديانة اليزيدية في العراق ، وهي ديانة تشير طقوسها إلى عبادة الشيطان وتقديسه ، وكان موضوع اليزيدية من المواضيع التي تثير فضول ماسنيون واهتمامه ، وقد دافع عنها أمام التشويه الذي لحق بها على يد الكرملي حين كتب عنها مقالته الشهيرة في مجلة الأنتروبو ، ولم تعجبه نزعة الكرملي الحاقدة والكارهة للديانة اليزيدية ولعبادة

= المد ، وقد ردد ماسنيون هذا الأمر أكثر من مرة ، وهو الدليل على اعتقاده الجازم بهذه القوى الروحية وإيمانه بالمعرفة الغنوصية والكشفية ، التي طبعت حياته بطابعها حتى وفاته .

انظر حسن سبح ، مجلة المجمع العلمي في دمشق ، تموز ١٩٨٤ ، ص٦٨٢ .

(1) L. Massignon Opera Minora, Tome III, 733.

الشيطان ، وهو موضوع خلاف كرسته العديد من الرسائل بينهما .

**

يصور ماسنيون في كتابه العهد «La Parole Donee» بلغة شفافة وعالية أثر اللقاء بينه وبين هويسمان في باريس في العام ١٩٠١ ، والذي كان صديقا لوالده النحات في تلك الفترة ، فقد بعثه والده في مساء أحد أيام الشتاء إلى موسيور لزيارة الروائي الغريب الأطوار ، الذي كان يعاني من آلام مبرحة ونزاع قاس ومعذب مع الموت ، وقد كتب هويسمان نفسه عن هذا اللقاء الغريب ، ووصف ماسنيون بالزائر غير المنتظر الذي وصل في قطار المساء ، والذي سلمه رسالة من بيار روش يقدم فيها له ابنه ، ومنذ ذلك التاريخ انعقدت بين الاثنين-ماسنيون الذي كان بعيدا عن العقيدة المسيحية وهويسمان الذي كان يعاني من صراع روحي عنيف ، علاقة وطيدة لم تنقطع إلى أن أسلم هويسمان الروح في العام ١٩٠٧ إثر معاناة وآلام كبيرة ، وكتب ماسنيون بعد سنوات واحدة من أجمل الفقرات في كتبه عن هويسمان :

«علي أن أؤدي واجبا قهريا نحو هويسمان ، فبفضله كنت استعدت صوتي ، وهو يصلي من أجلي شاردا خلال آلامه وعذابه ، هويسمان الذي كان يحمل نظرة نزاع الموت الأخير في والدي ، هو الذي عرفني على دانيال فونتان ، هو الذي نقل إلي سر الحب الأخوي لرفاق العمل ، وسر الخاطئ الذي ارتد إلى الإيمان عبر التصوف ، ومشاركته لآلام أخيه الماضي في ذنوبه ، وهويسمان هو الذي نقل إلي هذا السر لأمنحه إلى الآخرين»[١] .

(1) Ibid. p 743

وهذا الأخير الذي كان مستشرقا خلفه ماسنيون على كرسي علم الاجتماع الإسلامي في الكوليج دو فرانس بد العام ١٩١٩ حتى وفاته .

لقد اكتشف ماسنيون في ذلك الوقت بالضبط الإسلام من خلال رحلة قام بها إلى الجزائر، وكانت عائلته ترتبط ارتباطا وثيقا بالجزائر عبر مجموعة من الشخصيات التي أثرت تأثيرا هاما على حياة ماسنيون، وكان منهم دكتور كينوا عراب والدته، وجورج فافرو، والكولنيل هنري دي فيالار، والكولنيل هنري دو كاستري، والحاكم الفرد دو شاتليه، وبعد عودة ماسنيون إلى فرنسا لمتابعة دراسته حصل على إجازة في الآداب قدم فيها بحثا عن هنري دورفيه الفنان الحساس لغرام سيلادون واستريه، وكان يتابع في الوقت ذاته دروس السنسكريتية مع سليفيان ليفي[١]، ثم درس عصر الطوائف في فاس، فرحل إلى المغرب، وهناك قام برحلة من أجل صياغة وتصميم ألبوم يعده للدراسات العليا، وعنوانه (اللوحات الجغرافية في بلاد المغرب في الخمسة عشر عاما الأولى من القرن الثامن عشر طبقا لليون الأفريقي) فتعرضت قافلته التي كانت تقطع الصحراء إلى هجوم من قبل البدو، ونهبت القافلة، بعد أن تآمر عليه مرافقه ودليله ومترجمه العربي الذي تحدث بالعربية مع السلابة دون أن يفهم ماسنيون ما يدور بينهم، وبعد أن اتضحت له الخديعة وشعر بأنه كاد أن يفقد حياه جراء جهله باللغة العربية، قرر ذلك اليوم تعلم هذه اللغة وإتقانها.[٢]

**

حين عاد إلى باريس كرس نفسه سنوات لدراسة اللغة العربية، فحصل في العام ١٩٠٦ على دبلوم في اللغة العربية وآدابها، وحصل على دبلوم آخر في اللغة المحكية من مدرسة اللغات الشرقية، ثم انعطفت حياة ماسنيون سريعا، وتحولت بوصلته بشكل حاسم وسريع نحو الإسلام، فقد

---

(1) L. Massignon Parole Donnée, op.cit. , P63.

(2) Ibid, P66.

تابع دروسه في جامع الأزهر في القاهرة ، وتعرف هناك على المستشرق الألماني غولدتسيهر الذي كان يرتدي ملابس إسلامية ، وبعد عودته في الصيف إلى باريس في العام ١٩٠٧ ، كلفه الجنرال دوبيلي القيام بمهمة تنقيبية عن الآثار جنوبي بغداد ، وهكذا أبحر ماسنيون من مرسيليا إلى بيروت ، وبعد ذلك دخل دمشق ، ومن دمشق وصل إلى عاصمة بني العباس على رأس بعثة رسمية كانت مهمتها الرئيسية هي التنقيب عن الآثار ، وهناك في بغداد التي سماها الأرض الموهوبة في إحدى رسائله إلى الكرملي عاش ماسنيون حياة متقشفة ، متخفيا بملابس ضابط تركي ، ومحميا من قبل العالمين محمود شكري الآلوسي والقاضي علي نعمان الآلوسي .

في بيت الآلوسي ذاق ماسنيون طعم الضيافة العربية ، بل أصبح مفهوم الضيافة مفهوما مركزيا في تفكيره ، وحدد به مواقفه من المنطقة العربية ومن الغرب ومن الإسلام ومن سياسة بلده ، وفي رسالة مؤرخة في ٢٥/تموز/ ١٩١٤ كتب ماسنيون إلى الأب الكرملي :

«لا أخبار لدي عن شكري أفندي ولا حاج علي وهذا يحزنني قل لهما إني أحبهما كثيرا وأذكرهما أمام الله لعظمة الطيبة التي منحوني إياها ، والثقة التي غمروني بها ، أنا الغريب الضيف» .

لقد عرف ماسنيون الحياة هناك خلال صداقة حميمة مع محمييه آل الآلوسي في بغداد ، ومن المرجح أنه من خلالهما قد تعرف على قصة الحلاج ، الذي عذب وصلب وأحرق وذر رماده في دجلة بعد كشفه سر الحب الإلهي ، وبعد أن ذهب ماسنيون في غارة الصحراء إلى الجنوب من بغداد للبحث عن قصر اللخميين قصر الأخيضر ، رفض أحد الفرنسيين دفع كفالة مستحقة عليه بتحريض من مجموعة من الموظفين الرسميين ،

فاشتبه بماسنيون من قبل أحد الضباط الأتراك ، وألقي القبض عليه بتهمة التجسس والاشتراك بالمؤامرة الماسونية على السلطان عبد الحميد ، وعذب وحكم عليه بالموت ، واقتيد عبر سفينة في دجلة إلى بغداد مارا من طاق كسرى ، حيث يرقد هناك الصحابي سلمان الفارسي الشاهد المسيحي على ولادة الإسلام ، وفي السجن وعبر القمرة الصغيرة التي تفصله وأثناء تراقص موجات الماء المرتعشة فوق السقف ، رأى ماسنيون حمامة محنية تهدل فوق شجرة نخيل ، ومن ثم أخذت تهدل بصوتها العذب قرب نافذته ، وبعد صمت قليل أدرك «حقيقة العفو وهي تخرج عبر التعويذة التي حطمها» ، وتخرج «عبر الاسم الذي تلفظه وهو الحلاج» ، لقد أدرك ماسنيون وهو يمر من الطاق ، وعبر مرآته الداخلية ، الغريب الذي زاره ، مثلما زار قبل سبع سنوات هويسمان ، فاختفى الغريب وراء ملامحه و«وقف الكفن الشفاف بينهما وهو يتقزح أمام عبارته الخلاقة» ، لقد تعرض ماسنيون إلى تحول روحي كبير ، بينما كان آل الآلوسي يبذلون جهدا كبيرا لإنقاذه وكفالته أمام حازم بك(1) .

لقد تعرض ماسنيون «إلى وجد كبير» ، كما كتب في كتاب العهد ، وقد استفاق وهو يتأمل في ذاته خاشعا أمام النار الداخلية التي أخذت تحاكمه وتحرق فؤاده ، وكان لفوكو أو الأب فوكو الذي تعرف عليه في الجزائر أكبر الأثر في ذلك التحول ، وبعد أن تمكن علي الآلوسي ومحمود شكري الآلوسي من كفالته وإطلاق سراحه ، عاد إلى منزل الآلوسي لمداواته وشفائه ورعايته حتى زالت جميع أعراض التعذيب عنه ، فقاما بمرافقته حتى بلغ مكانا آمنا ، ومنحاه خاتما مكتوبا عليه (عبده محمد ماسنيون) ، ومن هناك رافقه الأب الكرملي إلى سوريا ، ليذهب الكرملي

(1) Ibid, P67.

إلى روما وماسنيون إلى باريس .

لقد بقي هذا الخاتم بيد ماسنيون وهو يمهر به رسائله العربية إلى نهاية حياته .

وفي رسالة إلى محمود شكري الآلوسي كتب ماسنيون :

«تمسكت منذ سنين بتقوى الله وأداء فرائضه ، وبورع وحلاله وحرامه ونويت الإخلاص لله تعالى في جميع أعمالي ، وقمت القيامة فيه راجيا من غفرانه الواسع كل عفو ورحمة .

هذا وتقبلوا أخلص احترامي وأطيب سلامي وأشد دعائي عند خالقنا السميع البصير .

من الفقير إليه سبحانه

عبده محمد ماسنيون

يوم الأربعاء ٢٥ تموز ١٩٢٣ يوم عرفات ١٣٤١» .(١)

**

مثلما تعرف ماسنيون على حقيقة الإسلام من خلال الآلوسيين ، فقد تعرف على المسيحية من خلال الأب دو فوكو راهب الصحراء ، فقد التقى بالأخير في العام ١٩٠٦ حينما كان يقوم بإعداد اطروحته عن ليون الأفريقي ، وتعرف عليه من خلال هنري دو كاستري ، وبعد عدة أشهر غادر الأب دو فوكو إلى بلاد الطوارق في أعماق الصحراء .

كان الأب دو فوكو يبحث عن صديق يقاسمه حياته المتقشفة المكرسة للعبادة ، كما يقول ماسنيون في كتاب العهد ، وبعد غارة الصحراء وتحول ماسنيون ارتبط به بالمراسلة ، وحين زار دو فوكو ماسنيون في باريس

---

(١) جميع رسائل ماسنيون إلى محمود شكري الآلوسي ، وعلي الآلوسي موجودة في دار صدام للمخطوطات في بغداد .

في العام ١٩٠٩ أخذه في ليلة باردة ظلماء وأجلسه على الأرض للتعبد والتهجد كي يصلا عبر التحول إلى القبر المقدس ، وهناك افترق الاثنان ، «لقد عبرت إشارة الله بيننا كالسيف» كما قال ماسنيون ، لأن الأخير رفض الذهاب إلى الصحراء مع الأب لمقاسمته حياة العبادة والتقشف وحياة الوحدة ، وعاد إلى العائلة والزواج والبحث ، ووجد نفسه في العمل العظيم بين البشر ، وانقطع لكتابة أطروحته عن الحلاج ، وكتابة كتابه الضخم (بعثة إلى بلاد الرافدين) بجزأيه .

**

لقد وجد ماسنيون في سنوات حياته الأخيرة في غاندي تعبيرا كاملا وممثلا على نحو بارع لأفكاره ، ومثلما وجد في حلاج الإسلام مسيحيته وجد في المهاتما غاندي ، وفي نزاعه السلمي مسيحية تتعلق بتاريخ شامل ومتكامل للإنسانية ، وبالتالي يكتمل هذا الثالوث الروحي المؤثر في مسيرة ماسنيون الروحية من تشارلز دو فوكو إلى الحسين بن منصور الحلاج إلى المهاتما غاندي .

لقد كان دو فوكو والحلاج من الشفعاء الممنوحين من الله والذين قدموا العفو لماسنيون من حكم الموت الذي طاله في العام ١٩٠٨ في بغداد ، وقد استبدت به رغبة كبيرة أول الأمر في أن يكون منذورا للخدمة الروحية في الزهد والتقشف مع دو فوكو في صحراء الجزائر ، غير أنه سرعان ما عدل عن هذه الفكرة الصعبة وانتهى إلى الزواج والتزام مهنته العلمية ، وكان لارتباطه بجمالية فنية ذات طابع شرقي أكبر الأثر في تطوير مهاراته الروحية وبناء عالمه الرمزي ووجهات نظره الأخلاقية ، مع هذا ، بَقيتْ الصلة قويّة جداً بين ماسنيون ودو فوكوْ ، ولا سيما في الأعوام التي سبقت الحرب العالمية الأولى . وكانت مهمة تشارلز دو فوكو الروحية

تنحصر بتجديده للبُعد المَنْسي في الرسالة المسيحية لتصويب أعمال البشر ، وتكريس التأمل في حياة العائلة المقدّسة في الناصرة . غير أن هذه المفاهيم لم تتوقف عند تخومها الدينية والروحية ، إنما كانت تدفعه نحو الالتزام العملي والبراطيقي بالسياسة الاستعمارية الفرنسية ؛ وقد وجد فيها فرصةً وواجبا لتحويل المسلمين إلى المسيحية الكاثوليكية ، لقد وحد بشكل عملي مهماته الدينية مع مهماته السياسية ، وربما وجد فرصة أيضا في تذويب المفهوم الكلاسيكي للبعثة الدينية في سياق التحالفات الاستعمارية .

لقد كان دو فوكو ضابطا في الجيش الاستعماري ، وقد علقت بعض من الحياة العسكرية في روحه حتى نهاية حياته ، وهو أمر واضح وجلي من رسالته التي أرسلها إلى ماسنيون في الحرب العالمية الأولى في ديسمبر/كانون الأول ١٩١٦ ، لقد بارك دو فوكو قرار ماسنيون في الانخراط في جبهة الحرب ، وأعلن عن رغبته في سؤال الله عن موته وموت أصدقائه في الجبهات ، واعتبر الحرب الاستعمارية حربا كاثوليكية مقدسة ، وهي منح روح عاشقة من أجل الله والجار ، وبارك شرف الاستشهاد والخطر والمعاناة فهي بذل في سبيل الله والاتحاد بالقربان المقدس ، وفي اليوم ذاته الذي كتب به هذه الرسالة ، والتي كتب فيها بأن الموت في الحملة الاستعمارية هو واجب نحو عروس الروح ، قتل دو فكو على يد شاب مسلم من الطوارق كان دو فوكو يريد تعميده وتحويله إلى الكاثوليكية . وحين عرف ماسنيون بموت دو فوكو اعتبر أن صديقه وجد الطريق وأنجزَ الهدف ، فقد ماتَ كضيف ورهينة من أجل الطوارق المسلمين ، وقد قارن ماسنيون دو فوكو لاحقاً مع الحلاج ، مفترضا بأن قبول الأخير وجود الأسلحة في صومعةِ الناسك ، هو إعلان عن شرعية موته ،

فقد استشهد بيد هذا المجاهد دون أن يحمل الأخير مسؤولية قتله . وعلى الشاكلة ذاتها مات الحلاج بأقواله وأفعاله ، التي انتهكت رسالة الشريعة فأعطى العذر لقَتْله ، ومات عاشقا للأمة وصلاحها . وقد اعترف ماسنيون لاحقاً بأنّه تَطوّعَ في الجبهة للتكفير عن ضميره في عدم ذهابه مع دو فوكو إلى الصحراء .

**

في الواقع ثمة صلة وتناظر بين حَفْر ماسنيون في المفاهيم الروحية الإسلامية الأساسية وحياته الروحية المسيحية ، خلال دِراساتِه وتأملِه في الصوفية ، فالمجاهدة بالروح ، وهي التعبير الإسلامي للزهد ، والنزاع هو طريق القداسةِ واتباع السيد المسيح ، ووجد مفهوم الفتوة والفروسية في الإسلامِ يناظر مفهوم قسمِ الصليب لاسْتِعْادَة القدس ، والمربوط قريبا من مفهوم صليب الفرسان ، ومفهوم الزاهد والمتصوف الذي يعيش المجاهدة بالروح نظير للراهب الذي يَعيش النذور الإنجيلية ، وثمة تناظر بين الحجِّ الإسلامي في مكة المكرمة والحجّ المسيحي إلى القدس ، أو مفهوم التكريس الطقوسي .

إن أصلَ الحج الإسلامي والمسيحي واحد ، ومصدرَه هو إبراهيم الخليل ، ومن السهل لدى ماسنيون عقد مقارنة بين إبراهيم الخليل وعلاقته مَع إسماعيل ومكة المكرمة ، بعلاقتِه بإسحاق والقدس . لقد وجد ماسنيون في وحدة الشهود في الإسلام الطريق الباطني لمقابلة الله ، والهجرة والاتحاد الروحي مع الله ، وعرض النفس كتضحية ، ولذا وجه ماسنيون نقدا حادا للغنوصية الإسلامية في الصوفية ما بَعْدَ الحلاجية ، خصوصاً في شخصِ ابن عربي ومفهومه عن وحدةِ الوجود ، فقد عدها نوعا مِنْ انطواء ذاتي نرجسي ، ووجه نقدا حادا للحضارة الغربية التي

رفضت العلاقة مَع الله نتيجة للإلحاد وتحريف عقيدةَ التجسيد ، بسبب العبادة النرجسية للجسد في الحضارة الغربية وانغلاقها أمام الاتحاد بالله المتعالي ، وعدم قبولها الضيف والغريب ، ورفض الجهاد الإسلامي المسلح الذي يعد مشرعا أخلاقيا في المعركة ضد الكولنيالية ، وذلك لأنه يؤدي إلى نوع من التوتر والاحتكاك مع المسيحية ، والتي ستحاول هي الأخرى أن تستخدم الحرب المقدسة للدفاع عن مصالح الحضارة الغربية باسم المسيحية .

**

لقد وجد ماسنيون في غاندي روح الحلاج ، فالحلاج الذي قال أنا الحق كان يكافح من أجل الحقيقة عن طريق المجاهدة بالروح واللاعنف ، وأراد أن يمنح لحياتِه الروحيةِ وشهادتِه بُعدا اجتماعيا ، فلم تكن شهادته تتعلق بالتماهي مع النخبة ، إنما كانت تنتسب إلى التطور الروحي في الحياة الاجتماعية وهي تتقدم نحو العدالة ، فكشف عن ولايته الروحية التي شكلت تهديدا لمجتمع بني على الشريعة ، وبالمفهوم ذاته ، مثل غاندي تهديدا للمجتمع الكولنيالي والنظامِ الطوائفي الهندوسي ؛ وقد اغتيل غاندي بسبب ندائه للتعايش الباسيفيكي والاحترام المتبادلِ بين كُلّ الهنود : الهندوس والمسلمين معا . وذَكرَ ماسنيون بأنّ هناك بعض الطوائف في شرق البنغال ترتبط بالحلاج بوصفه سيد الحقيقة ، وقد أصبحَ هؤلاء الناسِ فيما بعد أتباعًا متحمسينَ تالينَ لغاندي ، وهكذا وجد ماسنيون في غاندي صورة لدور النخبة الروحية في المجتمع الإنساني وإمكانية اختراق دائرة الجماهير ، فقد كان يريد أن يرفع دور الجماهيرِ إلى مستوى النضج الروحي الواعي ، ولم يستخدمهم لأجل السلطة ، إنما أراد إيصالهم إلى الحَقيقة ذاتَها .

لقد أراد ماسنيون أن يجعل من الصلة الروحية امتدادا بين الحلاج وشارل دو فوكو والمهاتما غاندي في تجربته الروحية والسياسية ، ورأى في البعد الروحي وتجربة الحلاج الوجودية دورا في حياة الأمة الإسلامية ، ووسع ماسنيون من خلال تجربة الحلاج مشروعه السياسي ونظريته عن التأريخ ، فهو يعتقد بوجود سلسلة الأبدال وهم الذين يضحون بحياتهم فيَدْفعون الحركةَ التاريخيةَ الروحيةَ ويَدْفعون ثمنَ تَحييد الذنبِ ، ويَبْنون الوحدةَ الروحيةَ للبشر .

**

في العام ١٩٠٧ في بغداد العاصمة التي بناها بنو العباس في الثالث والعشرين من تموز من العام سبعمائة واثنين وستين ميلادية ، تحت شعار برج الأسد ونجم القوس ، كان اللقاء الأول بين المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون والحلاج الصوفي الإسلامي الذي حكم عليه ، بعد محاكمة استمرت سبعة أشهر ، بالإعدام لهرطقته وإلحاده ، والتي انتهت بجلده وتعذيبه وقطع رأسه وإحراقه ونشر رماده في دجلة ، وسواء كان تعرف ماسنيون على الحلاج ، من خلال قراءته لفريد ادين العطار الصوفي الإسلامي الفارسي ، الذي ظل يلهمه طوال حياته ، أم من خلال الآلوسيين ، فإنه في واقع الأمر كان قد توصل عبر تجربة روحية مريرة وقاسية إلى الشهيد الإسلامي المصلوب ، واستطاع أن يصل بفضل هذا التنوير الذي أصابه بعد الحكم عليه بالموت إلى حسين بن منصور الحلاج ، وربما كانت استعدادته النفسية والأدبية (ولا سيما الجمالية منها) قد هيأته معا لقبول هذا الرمز الصوفي الإسلامي ، فقد كانت شخصية الحلاج في غرابتها وشذوذها مهيأة أكثر من غيرها لإعجاب الفرنسي الذي ألهمته الرمزية الفرنسية من مالارميه إلى بول كلوديل ، فقد درس الحلاج بإشراف

الصوفي الفارسي الشهير سهل التستري ، وعاش تلميذا لواحد من أهم أركان التصوف في التراث الإسلامي هو الجنيد البغدادي ، ثم ما لبث أن تخلى عن اللباس الصوفي بعد الحج إلى مكة ليعظ الناس في بلاد فارس ، وعند عودته إلى بغداد أثارت مواعظه التي جذبت الناس إليه عداء السلطة ، لكنه سرعان ما تمكن من الفرار ، وبعد مدة أعيد إلى بغداد ، في القرن العاشر الميلادي واقتيد إلى عمود التشهير ، ومن ثم تم صلبه بطريقة شبيهة بالطريقة التي صلب بها المسيح .

لقد آمن ماسنيون بكل غريب وشاذ ومختلف ، وكانت نزعته الروحية ومزاجه الشخصي يتوافقان كليا مع حياة الشخصيات التي حققت فرادتها وتميزها من خلال كسر التوافق مع المجموع ، مثل : (المسيح ، ماري انطوانيت ، جان دارك ، سلمان الفارسي ، الحلاج ،) . . . ولأن الوقائع التاريخية لحياة الحلاج كانت تتطابق سرديا وسيرويا مع حياة المسيح ، اختار ماسنيون الحلاج بوصفه البدل الناقص للمسيح ، كما أن المكان الذي ألهمه وقدم له هذه التجربة الروحية فرض عليه أن يرتبط بالتراث الإسلامي عبر وسيط يؤمن بصورة أساسية بإمكانية الحب الإلهي ، وبإمكانية الاتحاد بين الله والمخلوق الإنساني إلى حد إعلانه لجملته الشهيرة أنا الحق ، ذلك لأن حلول الخالد في روحه قد حول شخصيته إلى طابع آخر ، كما لو أن الإلهي قد توحد بالإنساني فلا وجود لتناقض جوهري بين «المخلوق» = الإنسان ، و«الله» = الخالق ، وهذا التوحد الإنساني بالإلهي يدلل على أن الخالق لم يبتعد أو ينفصل عن مخلوقاته وإلا لانتفى وجوده ، وقد كان ماسنيون يبحث عن الحلاج الذي لا يشكل قط حالة شاذة ، إنما يمثل النموذج الكامل للميول الصوفية التي برزت في الإسلام خلال القرون الأولى ، بفضل قراءة القرآن والتأمل فيه واستبطان

الحياة الثقافية المتقدة البسيطة ، إن هذا التوحد في الحياة بين الحلاج الذي مات ملعونا ، وبين المسيح الذي حكم عليه باسم القانون ، هو المحرك الأساس لكل ما قام به ماسنيون من تراث بحثي حول الحلاج .

لقد حاول ماسنيون عبر حدس فردي بأبعاد روحية متعددة ، أن يكرس نفسه كليا وعلى مدى سنوات (منذ أن غادر بغداد في العام ١٩٠٨ وحتى العام ١٩١٤) لدراسة حياة الحلاج ، والإقرار بخصوبة التجربة الروحية في الحياة العملية للمسلمين ، وربما يدهشنا الآن وأكثر من أي وقت مضى التشابك المعقد ، والذي لا يخطئه الإدراك بين حياة الحلاج وحياة ماسنيون الشخصية ، وربما يدهشنا أيضا تنوع ماسنيون ذاته عبر تتبعه المتحول والمتغير للقدر الروحي والثقافي للحلاج وفي ميادين متباينة بشكل حصري ، بل ومتذبذبة بشكل جذري من المعرفة الصوفية الدينية إلى المعارف الأدبية والدنيوية في الثقافة الإسلامية ، بل إن ماسنيون لم ينقطع طوال حياته من تتبع موقع الحلاج في التراث الصوفي الإسلامي .

**

لم يعجز ماسنيون يوما من الأيام عن أن يجد الوسائل والطرق المتنوعة التي تكشف بطرف خفي عن قدره الشخصي ، للبحث عن عقائد وشيع وملل كانت تتبع الحلاج ، حتى وإن كانت تنتمي وبشكل موحد إلى تصوراته التي خلقها بإعجاز عن الحلاج ، أكثر مما تنتمي إلى الوقائع القائمة فعلا على الأرض ، بل استطاع بكل خلفيته الصوفية وثقافته الدنيوية ؛ وهي بالنتيجة ثقافة جمالية أخلاقية أدبية وفنية عالية ، أن يصوغ من الحلاج رمزا وحده بحيوات وثقافات متنوعة ، وحاول أن يجعل منه وليا له أتباع ومريدون ، على الرغم من هامشيته في التراث الإسلامي ، وإننا لنعجب كيف كان ماسنيون يدقق في كل فقرة أو اسم يقترب من الحلاج

لكي يثبت فيه فاعلية الحلاج واستمراريته في التراث التديني الإسلامي حتى التقليدي منه ، لم يكن ماسنيون يريد أن يتخلى حتى عن نفاذ هذا الرمز إلى الطوائف والأديان والمعتقدات الأخرى ، فهنالك رسائل متعددة يسأل فيها الأب الكرملي عن أثر الحلاج في الديانة اليزيدية ، كما في مقالته (يزيديّو جبل سنجار ، عبدة إبليس)[١] ، وحاول أن يتلمس هذا الأثر عبر المصادر الإسلامية ذاتها ، وفي رسالة مؤرخة في الخامس من تموز في العام ١٩١٠ جاء فيها :

«إني ممتن لك كثيرا لما أمددتني به من معلومات عن عبادة اليزيديين للحلاج ، فهي في غاية الأهمية وقد انتابني شك في ذلك منذ اطلعت على حياة سيد أحمد البدوي من طنطنة ، فهو لم يزر من مقامات الأئمة سوى مقام الحلاج ، ومقام عدي بن مسافر ، يبدو أن الشيخ عادي ذكر في مكان ما في كتب اليزيدية بأن الحلاج كان قدوته» .[٢]

وكان من جانب آخر يحاول ، وهذا ما تبينه رسائله ، أن يجد أثرا للحلاج بتأثيره على بعض الطوائف الإسماعيلية في الهند عبر شخصية محمد حسين خان الهندي :

«بخصوص بومباي فقد توصلت إلى اكتشاف جاليتين بالقرب من بومباي -إلى الشمال من كوزانه- تمتهنان الندافة وصناعة الألبان ، وهاتان الجاليتان بعد أن اهتديتا للإسلام اختارتا الحلاج رئيسا لها ، وتسميان حتى اليوم بالمنصوريين تيمنا به ، أو بالمهديين ، يأتي أعضاء هاتين الجاليتين

(1) L. Massignon. Opera Minora, Tome II, P29.

(٢) ومن هنا نجد قسوة الحملة التي قادها ماسنيون على الأب الكرملي حين كتب مقالة عن اليزيديين في مجلة انتروبو الألمانية ، وكان غير متعاطف معها بالمرة ، مما جرح هذا الأمر معتقد ماسنيون وتقديره للديانة اليزيدية ، وذلك بعلاقتها المتصورة مع الحلاج . انظر الرسالة المؤرخة في الحادي والعشرين من شباط في العام ١٩١١ .

للحج إلى قبره الواقع شرق قبر زبيدة كل عام ، وقد عثرت على نقش موجود على قبر الحلاج في العام ١٩٠٨ ، كتب بيد محمد حسين خان مدير محجر الكاظمين ، وهكذا فقد كان هذا الهندي يظهر ورعا من نوع خاص للحلاج ، أفلا يكون أصله من إحدى هاتين الطائفتين المأخوذتين من غوزرات ، وهما (دوف لاس) و(بنجاراس) ، إن كانت هنالك من وسيلة لمعرفة هذا الأمر حقا سأكون ممتنا لك» رسالة في ٣٠/كانون الثاني/١٩١١ .

وفي رسالة مؤرخة في الثامن من تموز من العام ١٩٠٨ :

«إن الحلاج المثير للفضول حقا ، وجدت له أثرا في وثائق عربية بحروف عبرية ، جمعها عنه اليهود الموجودون في العراق ، إن التقيت ببعض الحاخامات في بغداد ، أيكون بإمكانك أن تتحقق منهم على نحو خفي لا يثير حفيظتهم ، إن كانت ما زالت بعض هذه المقطعات موجودة في بغداد» .

**

لقد كان ماسنيون على الدوام مشغولا بروح الحلاج وتأثيرها الفوري عبر الزمان على المكان الإسلامي في تركيا وبلاد فارس والهند والعراق ، وكان يوحد في دراسته للحلاج بشكل واضح وجلي بين معرفته الفلولوجية للتراث العربي الإسلامي (وهو أمر واضح من خلال التدقيق في المخطوطات التي يطلبها من الكرملي ، ومن خلال نقدها الحصيف في تتبع الظاهرة وبيانها وعرضها) ، وبين معارفه المتنوعة ومصادره المختلفة مثل سوسيولوجيا الأديان ، الدراسات الانثروبولوجية ، التحليل النفسي ، علم النفس ، وقد مزج المعرفتين معا ، وقد أثر في مسيرة الدراسات الاستشراقية لأسباب عديدة ، منها قدرته الباهرة على التحليل والتدقيق وتفكيك

النصوص ، ألمعيته وقدرته على تتبع الظاهرة وتقليبها من كل وجوهها ، استخدامه بلاغة ملتهبة ، وفصاحة خلابة ، وتركيبا لغويا متقنا ، تمكنه من المزج البارع لمعارفه الدينية بالدنيوية ، واعتماده على وثائق متنوعة وشهادات ومخطوطات وسير نادرة ، كل هذه البانوراما تخلق لدى المتلقي نوعا من الصدمة ، وتجعله يسلم دون شروط لهذا الشبوب الكتابي ، فبمقطع واحد نصل مع ماسينيون إلى صورة نادرة مقتطعة من التاريخ ومقدمة لهذه اللحظة التاريخية الآنية .

**

لقد حاول ماسينيون أن يخلق لنفسه حضورا فعالا في الحياة الاجتماعية العربية ، والعلاقات السياسية التي تربط أوربا بالعالم الإسلامي ، وكان مهيئا لذلك ، لأنه استطاع بفضل منهجه في الاستبطان الروحي أن يتجاوز الميثادولوجية الاستشراقية الضيقة ويقترب من فهم العالم العربي والإسلامي ، وجعل من تكريس النفس والاستبطان بديلا عمليا عن المنهج الاستشراقي ، الذي كان يصر على تكديس الوثائق الخاملة واستنطاقها بصورة ميكانيكية ، وبهذا المنهج-الذي تعرض إلى نقد شديد من قبل المستشرقين-استطاع تجاوز المناهج الخاملة والسكونية ، والتي تنتج على الدوام أفكارا نمطية ، وبفضل هذه الموسوعية تحول الحلاج عبر ماسنيون ، إلى دراما شيقة وممتعة في الثقافة الغربية ، ولا تخلو بطبيعة الأمر من الحس المأساوي العالي الذي يميز الدراما ويتوجها ، ومن خلال ماسنيون ، أصبح النفاذ إلى التاريخ الإسلامي من خلال التقدم البطيء والاكتشاف الهادئ واجبا ، لا في أحداثه العظيمة والظاهرة على السطح ، أو في حركاته الكبرى التي أثرت على التاريخ الإسلامي والعالمي ، إنما أصبح هنالك نوع من البحث عن الأحداث العرضية والهامشية ، والتي

توصف فيما سبق على أنها غير جوهرية .

وربما تكشف الرسائل التي بعثها ماسينيون إلى الكرملي- ولا سيما رسائل العام ١٩١١ ورسائل العام ١٩١٢- عن ولع ماسنيون الموسوس بالتفاصيل الصغيرة والفرعية ، وبحثه الدؤوب عن التجربة المتميزة التي تميز الشخصيات الهامشية والفرعية والثانوية ، وإن عالج ماسنيون وبتجربة فريدة ومذهلة معا ، العبقرية الأسرارية للتصوف الإسلامي ، فإنه يدهشنا على نحو متواصل بالمعالجات التفصيلية والمركزة التي جمعها بصورة دقيقة من المخطوطات ، تصل إلى حد استشارة كمية ضخمة من المخطوطات العائمة والمهملة ، وهذه هي عظمة إنجازه لا في دقة النتائج التي توصل إليها ، فإن أية نتيجة ستكون في النهاية خاضعة إلى التقييدات الذهنية والمذهبية معا ، ولكن في براعة الأسلوب والجهد المثابر لتوثيق الفصلات الغائبة في التراث الإسلامي ، وتجميعها لتشكيل صورة قائمة بذاتها بعد أن كانت معرفتها شظايا في تراث هائل وضخم .

**

يعتقد ماسنيون اعتقادا جازما أن التجربة الصوفية لا تظهر إلا في المجتمعات الثرية بالنفوس الصادقة والمتبصرة والحكيمة ، وقد بحث عن ما يشده بالإسلام فوجد التراث الصوفي في التاريخ العربي والإسلامي ، فقد كان الحلاج مثاليا لأنه سعى إلى نقض الأسس الجماعية المتعارف عليها في الإطار الديني التقليدي الذي كونها ، وبحث عن مفهوم الافتداء أو التضحية المسيحية التي رفضها الإسلام رفضا قاطعا ، وقد كان التمثل الشهودي للإسلام والمشخص بالنبي ؛ قد رفض عمدا الفرصة التي أتيحت له لعبور الهوة التي كانت تفصله عن الله ، ولذا فإن الحلاج الذي قدم نفسه للموت قد حقق وحدة أسرارية بالله من جهة ، ومن جهة ثانية

قد حقق تطورا مضادا للطبيعة النظرية للإسلام ، والتي كانت عائقا لوحدته مع المسيحية .

كتب ماسنيون في رسالة إلى الأب الكرملي مؤرخة في الخامس عشر من أيلول :

«لا تنس كتابي عن الحلاج ، سوف أرسل لك نسخة من أدلتي عن مسيحيته ، إن كان بإمكانك أن تصوغها لي بعربية جيدة ، وأن تنشر عنه مقالة بخط يدك في مجلة المشرق سأكون سعيدا بذلك ، ألم أقنع الأب شيخو بذلك» .

وفي رسالة مؤرخة في السادس عشر من أيلول من العام ١٩٠٩ :

«لم أنته بعد من عملي عن الحلاج أرغب بأن أضع مبادئه حول إلوهية المسيح غير المتوقعة في الإسلام تحت الضوء ، هذه المبادئ التي ولدت لديه من حاجة إلى مرشد معصوم ، يمتلك امتلاء روحيا كي لا يظل في الطرق الصوفية ، إنها مبادئ مُثابة من قبل موت مشعٍّ على الصليب ، من الواضح إنها كانت مشتهاة . . الخ»

لقد كان ماسنيون ، كما هو واضح ، يعتقد اعتقادا جازما بأن ثمة عطشا روحيا ووجوديا في الدين التقليدي الذي لا يتبع العقيدة الصوفية ، ذلك لأن الله لا يتم إدراكه إلا عبر الغياب ، ويشكل هذا التذبذب بين الحضور الإلهي وغيابه نوعا من التردد في المعرفة الإلهية ، لأن الحضور هو نوع من الامتلاء الروحي لا يحققه إلا الصوفي ، فالمؤمن لا يدرك حضور الله إلا عبر غيابه ، ومن هنا تتشكل لديه فعاليات لتخطي هذا التجاوز الإلهي الفائق ، والخوف من الإشراك به ، ولا يكمن موضع هذه النزاعات إلا في القلب الورع ، الذي يمكنه وهو في لحظة هذه الإشهاد أن يتقد بشبوب إلهي ، وهكذا يجد ماسنيون أن المسلم ينبغي عليه أن يحقق مرات

متعددة إما بوساطة الشهادة أو عن طريق الحب الأسراري لله وحدانية الله وتجاوزه للكينونة البشرية .

ومن الواضح أن ماسنيون يتخذ من الاتجاه الأسراري في الإسلام صورة تتجاوز المعتقدات التقليدية والجامدة ، وكان لنزوعه الأدبي وطابعه الشخصي ، والعناصر المكونة لشخصيته ، أكبر الأثر في هذا الخيار وتكريس هذا الاتجاه الروحي ، وكان اعتداله واقترابه من الدين الواحد ، وفق العقيدة الإبراهيمية ، جعلته يقدم المحبة والشفقة المسيحية الحانية والرأفة ، بدلا من العداوة والكره والتقزز الذي مارسه بعض المستشرقين وحدد نزعاتهم فيما بعد من الإسلام ومن المنطقة العربية ، وبالنتيجة فإن هذه الراء المشبوبة والمحمومة ، التي دافع عنها ماسنيون حتى نهاية حياته ، جعلته أكثر تعاطفا وانهماكا في القضايا الإسلامية ، وكان ذا صداقات لم تنقطع مع المثقفين المسلمين والشعوب الإسلامية ، من الحكومات ومن الأفراد ، وقد كتب إبراهيم مدكور : إن ماسنيون هو أكبر مسيحي بين المسلمين ، وأكبر مسلم بين المسيحيين .

٣-الهداية الكولنيالية في رسائل ماسنيون من العام ١٩١٧ إلى العام ١٩١٩

«فيما يخص مستقبل العرب ، علينا أن نضعه

في قضية السامية . ففي عمق مشاكل العرب ،

هذه المشاكل الدرامية ، هنالك الكراهية

القاتلة بين الأخوة يعقوب وإسماعيل»

Massignon

"sur Les Arabes" Dialogue

Opera Menora

**

«أنت تعلم بأن الحكومتين في فرنسا وإنجلترا مكلفتان سوية بالقضية العربية ،

إن حكومة فرنسا لديها مصالح خاصة في الجزيرة

وفي سوريا وهي مصالح معترف بها في المواثيق ،

ويقع على عاتق فرنسا أن تضمن إلى الحكومات العربية المستقلة

التي ستتشكل في هذه المناطق بعد الحرب الاستقرار والأمن والحضارة ،

إن البعثة السياسية والتي يترأسها السيد جورج بيكو

مكلفة بالتحضير لهذه المسائل . . .»

لويس ماسنيون

رسائل العام ١٩١٨

في الواقع ثمة فجوة كبيرة في حياة ماسنيون وفي عمله الفكري بسبب مزاولته للعمل السياسي ، تظهر هذه الفجوة على نحو جلي في الرسائل التي أرسلها إلى الأب أنستاس ماري الكرملي ، وتتحدد بين العام ١٩١٤ والعام ١٩٢٠ ، فعمله في السياسة وضع بصمة واضحة على تراثه البحثي والعلمي والأدبي ، ولم يصدر بين هذين العامين أي مؤلف أو أي بحث أو رسالة ، ولكن في العام ١٩١٩ وبانتهاء الحرب العالمية الأولى وبعودته إلى باريس ، خلف أستاذه ألفرد دو شاتليه على كرسي علم الاجتماع الإسلامي في الكوليج دوفرانس ، وأخذ نشاطه الثقافي يتجدد في الاستشراق والبحوث الثيولوجية الإسلامية ، والتراث الشرقي ، والآداب الشرقية ، ولا سيما الشعر الصوفي الفارسي والتركي والعربي ، وأخذت بحوثه منحى آخر في تتبع ظاهرة الفلسفة الغنوصية من إيران إلى تركيا ، ومن البلاد العربية وشبه الجزيرة إلى الهند ، ومن أذربيجان حتى أفغانستان ، وتؤشر الرسائل هذا الخط الفاصل في مهنته ، فقد انقطعت الرسائل التي كان يبعثها ماسنيون بانتظام شديد إلى الأب الكرملي عقب اندلاع الحرب الكونية الأولى مباشرة ، باستثناء بعض الرسائل التي بعثها من الجبهة بعد تطوعه للقتال لصالح الحلفاء ، وحل محل رسائله المتبحرة بالعلوم الإسلامية والآداب الشرقية ، والتصوف الإسلامي ، الخطاب السياسي الجديد لماسنيون ، وهو خطاب ذو طابع تبشيري كولنيالي ، كان

يطرحه الغرب عقب اندلاع الحرب الكونية الأولى .

**

لقد كانت هذه السنوات تشهد ، على نحو جلي وواضح ، التقلبات الكبيرة والحاسمة التي شهدتها حياة ماسنيون على نحو خاص ، والانعطافات التي حددت فيما بعد حياته ، لا بوصفه مستشرقا متبحرا بالعلوم الإسلامية والعربية حسب ، إنما الداعية السياسية ، والخبير المفوض في الخارجية الفرنسية بشؤون البلدان العربية والإسلامية ، والمستخدم على نحو عملي العلوم الاجتماعية الإسلامية في رسم السياسات الغربية ، فكان جهده في تلك الفترة ينصب على مطابقة براطيقية بين فهمه للتراث وللتاريخ وللثقافات القديمة ، وحضور هذا الفهم في العملية السياسية التي كانت تجري أوانذاك ، حيث جعل ماسنيون من نفسه أحد أطرافها الرئيسيين ، فالبحث العلمي والحضور البلاغي للتصوف ، والأنساق التتابعية للتاريخ ، وأشكال الثقافة الموروثة ، والتحول المورفولوجي للغة ، كلها تتضافر لتبلور فكرة محددة ، تتطابق بشكل تام مع المصالح الستراتيجية لبلاده ، فتحول صاحب أكبر موسوعة عن العلوم الدينية والثيولوجية والفكرية للحضارات الشرقية والأدب الكلاسيكي إلى داعية كولنيالية ، وحاول أن يوفق بين تعاليم الكتاب المقدس والخريطة الاستعمارية الجديدة ، التي فرضتها نظم السياسة العالمية والمصرفية والمصالح الاحتكارية للدول الغربية .

في الواقع تأثر ماسنيون برؤية شارلز دو فوكو ، الذي طابق بين المشروع الاستعماري والتبشير الكاثوليكي في الجزائر ، وشكل هذا المفهوم بنية ثقافية واجتماعية وسياسية قلما انفلت منها أحد من النخب المثقفة في ذلك الوقت ، غير أن نزعة ماسنيون كانت مختلفة كليا عن النزعات

السياسية ذات الطابع الاحتكاري أو ذات الطابع الديني الغزوي لمعاصريه ، كان يعتقد أن الغرب يمكنه أن يقدم الأمن والحداثة والحضارة للمجتمعات الإسلامية ، وكانت نزعته الكولنيالية مخففة بنزعة إنسانوية وعقلانية ، وملطفة بشفقة دينية حانية كما سنرى ذلك في رسائله .

**

إن آخر رسالة تقليدية تؤشر خطا فاصلا في حياة ماسنيون من الناحية البحثية والعلمية والتقنية في مجال الاستشراق ، هي الرسالة المؤرخة في الخامس والعشرين من شهر تموز في العام ١٩١٤ ، وقد ظهرت المرحلة التي تلت هذه الرسالة مختلفة تمام الاختلاف ، فقد خلت تماما من الجهاز الاصطلاحي الصوفي والفيلولوجي ، والاستخدام العملي والتقني للمخطوطات القديمة ، وهذا التخلي له أسبابه بطبيعة الأمر ، منها الظروف غير المستقرة والمقلقة للحرب ، تحولات ماسنيون السياسية ، تطوعه في جبهات الحرب وتنقله من مكان إلى مكان ، ولذا فإن الرسائل المحصورة بين العام ١٩١٧ والعام ١٩٢٠ ، تؤشر تراجع اهتمام ماسنيون المؤقت بالتصوف وبالفلسفة الغنوصية وبالتاريخ الإسلامي القديم ، واهتمامه اهتماما شديدا بالوضع السياسي في بلده ، فقد كان في تلك الفترة منشغلا انشغالا تاما بالستراتيجيات السياسية الموضوعة للمنطقة ، وبالتنافس الاحتكاري والعسكري في الغرب ، وتقسيم أملاك الإمبراطورية الإسلامية ، وتحرير البلقان ، وهنالك ما هو أهم : تحويل الاستشراق من معلومات ومادة علمية وتحليلية إلى نظام موجه بصورة حاسمة للمادة المدروسة ، وهي شعوب المنطقة العربية والإسلامية ، أي من خطاب محايد للمعرفة العلمية إلى أداة سيطرة وتسلط ، دون أن يعرف ماسنيون وهو المشغوف بإزالة الفقر من الشعب المطرود من الوعد الإلهي ، بأن هذه الشعوب ألحقت بالاحتكارات

الضخمة المعززة بالسلاح والآلة العسكرية ، وتحولت الإمكانات العلمية والتقنوية وسيلة للسيطرة الفورية والزحف المباشر .

**

من الملاحظ أن رسائل السنوات التالية قد قلت على نحو كبير ، فلم يتلق الأب الكرملي من ماسنيون سوى رسالتين في العام ١٩١٧ ، رسالة مؤرخة في السابع والعشرين من حزيران ، ورسالة مؤرخة في الخامس من تشرين الأول ، ورسالة واحدة في العام ١٩١٨ ، مؤرخة في السادس عشر من أيار ، وثلاث رسائل في العام ١٩١٩ ، رسالة مؤرخة في الثاني والعشرين من كانون الثاني ، ورسالة مؤرخة في الثاني من تموز ، ورسالة مؤرخة في الرابع والعشرين من كانون الثاني ، أي أنه لم يكتب أية رسالة في العامين ١٩١٥-١٩١٦ ، وقد بعث ست رسائل في الأعوام الثلاثة الأخرى ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسائل الست كانت مختلفة تماما عن جميع رسائله ، فقد خلت تماما من أي شيء يخص الحلاج أو التصوف الإسلامي ، أو المعارف والعلوم العربية والفلولوجيا والمخطوطات ، وانشغلت انشغالا كليا بالحرب العالمية الأولى وبالثورة العربية ، ولكن من طرف مصالح فرنسا ، وطرح فيها أفكاره عن العمل السياسي والعسكري الذي انخرط به أثناء وبعد الحرب ، وكانت الرسالة الأولى التي تلقاها الكرملي من ماسنيون مؤرخة في السابع والعشرين من العام ١٩١٧ ، أي بعد الاحتلال الإنجليزي لبغداد وتعرض الكرملي شخصيا لبعض المخاطر ، منها نهب مكتبته الكبيرة في ذلك الوقت ، بسبب أحداث الشغب والعنف والسلب والنهب التي رافقت عملية تقهقر خليل باشا قائد الجيش العثماني ، وانسحابه من بغداد ودخول الجيش الإنجليزي بقيادة مود ، وهي رسالة عاطفية وإنسانية لا تتخلى عن الجانب الشخصي وحب الصداقة

التي أولع بها ماسنيون منذ زيارته للشرق ، وفيها معلومات مهمة عن وجوده في مصر في الوكالة الدبلوماسية لفرنسا ، وهي الوكالة التي أخذت على عاتقها مصالح فرنسا في المنطقة العربية ، وشكره للرب الذي جعله يشارك في آلام الزمن الحاضر ، ويعتقد ماسنيون أن هذه المشاركة مباركة ، وهي الفكرة ذاتها التي طرحها شارلز دو فوكو في رسالته الشهيرة إلى ماسنيون ، والتي بعثها له من الجزائر ، أي في اليوم ذاته الذي قتل فيه الأخير على يد شاب طوارقي من المجاهدين الجزائرين ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر .

أما رسالة ماسنيون للكرملي فيقول فيها :

«الحمد لله على الخبر السعيد لخلاصكم الذي نقل لي في روما وأكدته نسخة من رسالتك في السادس من نيسان أرسلتها لي والدتي ، لا بد أنها قد روت لك تقلبات حياتي في العامين الماضيين ، حاليا أنا منفصل في بعثة في الجبهة العربية مع ميناء القيد في القاهرة ، الوكالة الدبلوماسية لفرنسا ، إنه أمر مهم ولعله مفيد حتى ، إني أفتقد رفاقي في الفيلق السادس والخمسين للمشاة الكولنيالي ، والذين تعلمت معهم تأمل الموت ووجود الله ، فليسمح الله يا أبتي العزيز وصديقي لأنه أجاز لنا أن نشارك شخصيا في آلام الزمن الحاضر- وأن يمنحنا طرفا من صليبه المبارك» . وقد اختتم ماسنيون رسالته على النحو التالي :

«صلواتي الموقرة لك يا أبتي العزيز جدا وفي المشاركة المقدسة للكنيسة المناضلة . . .» في الواقع هذه هي المرة الأولى التي يستخدم فيها ماسنيون توصيف الكنيسة المناضلة في رسائله أو في مقالاته أو أبحاثه أو كتبه .

**

إن تقلبات حياة ماسنيون في العامين الماضيين كما قال للكرملي ، كانت واضحة كل الوضوح ، فقد جرت تعبئته في الجيش الشرقي وفي كتيبة المشاة في ١٥ من آذار من العام ١٩١٥ ، وتعبئته وتجنيده في الزواوي الأول (جندي فرنسي بلباس أهل المغرب والجزائر) وألحق بحملة الدردنيل العسكرية ، ثم عين ضابطا مترجما ونائبا للرئيس في المكتب الثاني في القيادة العامة للفرقة السابعة عشرة ، ثم نقل بناء على طلبه إلى الجيش وعين برتبة ملازم في فرقة المشاة السادسة والخمسين في ١٦ تشرين الأول ١٩١٦ ، وقد حصل على تنويهين ، وعلى وسام صربيا الذهبي تقديرا لشجاعته .

ولكن ماسنيون لم يبعث إلى الأب الكرملي أية رسالة إلا بعد أن ألحق بوزارة الشؤون الخارجية بصفة ضابط مساعد في المفوضية الفرنسية العليا في سوريا وفلسطين وكليكلة ، في الفترة الممتدة من ٢٧ آذار ١٩١٧ و٢٨ نيسان من العام ١٩١٩ ، أي في الفترة التي عاد فيها للاهتمام العملي بالمنطقة العربية الإسلامية ، ولاسيما بعد أن رقي إلى رتبة نقيب ودعي للمساهمة في المهمة الفرنسية البريطانية مهمة (سايكس- بيكو) .

**

إن السؤال الذي يفرض نفسه هذه الأيام ، وبسبب الاتهامات الكبيرة التي لحقت بالمستشرقين ، وبالدور الذي لعبوه في صياغة الستراتيجيات والسياسات الغربية إزاء الشرق الأوسط ، هو :

هل كان بمقدور ماسنيون أن ينفلت من البنى المهيمنة والمتحكمة في ثقافة عصره؟

هل كان بإمكانه أن ينفلت من المعرفة الروحية والأخلاقية للعالم ، والتي هي بالنتيجة ذات طابع استبطاني غنوصي ، ومن المعرفة الفيلولوجية

القائمة على سلطة عقلانية كرستها بشكل ثابت جميع الجهود الثقافية الغربية ، ابتداء من كليفيوس وحتى أرنست رينان؟

إن الاستشراق لم ينتج من حاجة سياسية فقط ، إنما أنتجته حاجات بنيوية وإرادة سياسية ومتطلبات سوسيولوجية وفنية وثقافية ، وكان ماسنيون يدرك ما سيؤول إليه الوضع العالمي منذ العام ١٩١١ ، وهذا ما جعله يصرح في واحدة من رسائله المهمة ، مستعينا بالأسرار على الصراع :

«إن الوضع العالمي يزداد تفاقما ، فلم تعد المعاهدات تؤخذ بنظر الاعتبار من قبل الموقعين عليها ، والصراعات المغربية الطرابلسية تهدد بانفجار كل الأوضاع ، إن الوضع المعنوي في بلدي المسكين يتحسن ببطء ، وتزداد عدد الصلوات فيها . ولكن هل ستكفي جميع صلواتنا لإبعاد الخطر المتزايد الناجم من عدم الانضباط ، والفاحشة ، والدعارة ، وانعدام الشفقة؟

فالدولة عاجزة متخاذلة ، أو متواطئة ، ولم يعد بالإمكان سوى الاعتماد على الأسرار»[١]

لقد كان ماسنيون يحاول جاهدا ومنذ العام ١٩١١ ، بمساعدة بعض الفلاحين والبحارة المتقاعدين ، أن ينظم نوعا من الوحدة للوصول إلى الأسرار لدفع خطر حقيقي كان قد استشعره في نفسه ، وكان يشعر على الدوام بعد أن (طهر الداخل) بأنه سيكون بإمكانه أن يمنح نفسه للآخرين مثلما يمنح الرب نفسه (لنا)[٢] ، فهو لا يعتمد على الأسرار لتطهير روحه حسب ، بل كان يعمل بين الناس ، وكان يندفع بشكل متسارع نحو الآخر وبصورة واضحة ، ولكن البنية الثقافية والاجتماعية والسياسية في الغرب

(١) رسالة ماسنيون موجهة إلى الأب الكرملي في ٩/تشرين الأول/١٩١١ .

(٢) الرسالة ذاتها .

في ذلك الوقت هي التي حولت غول المصالحة في داخله إلى داعية كولنيالية ، وحولت اهتداءه الصوفي إلى هداية كولنيالية ، وحولت الدين إلى نوع من المصالحة الكولنيالية والتبشير بها .

**

في الواقع ، كان لويس ماسنيون حزمة من التناقضات والاختلافات والتغيرات والتحولات ، وقد تحولت حياته كثيرا وامتلأت باللحظات التدشينية ، وكان الأسراري الديني يتعرف على نفسه في إطار خريطة استشراقية تقليدية من أرنست رينان وسلفستر دوساسي وحتى غولدتسيهر وآسين بلاثيوس ، وكان كاتب أكبر سيرة روحية للمتصوف الإسلامي الحلاج ، يتحول إلى خبير بشؤون الشرق الأوسط ، وسكرتير لجورج بيكو والداعية المتحمس لهداية شعوب الشرق الأوسط والإسلام للدخول في العملية السياسية في ذلك الوقت لصالح الحلفاء ، ومنذ العام ١٩١٧ أخذ خطابه يأخذ وجهة أخرى :

«فليسمح الله يا أبتي العزيز وصديقي لأنه أجاز لنا أن نشارك شخصيا بآلام الزمن الحاضر- وأن يمنحنا طرفا من صليبه المبارك» .

لقد تصور ماسنيون أن الصراع كان في ذلك الوقت هو صراع ديني ، وأن مهمته الكنسية تدفعه للنضال ضد الفاحشة التي اجتاحت العالم ، وكان تطوعه في الجيش هو جزء من مشاركة الناس في آلام الزمن الحاضر ، فكانت مهمة اجتماعية ، وواجبا أخلاقيا ، ولذا فإنه ينهي رسالته بالكلمات المعبرة التالية :

«صلواتي الموقرة لك أبتي العزيز وفي المشاركة المقدسة للكنيسة المناضلة» .

لقد خلط ماسنيون نزعته الدينية مع نزعته السياسية ، ووحد الطابع

الأسراري لنزعته الدينية مع الطابع الاستعماري والاستثماري والصيرفي المفضوح في بلده .

**

في الواقع ، لم يكن هناك طوال القرنين الفائتين من مستشرق مثل ماسنيون ، كان قد اختصر على نحو متواصل ، الفاصل الزمني - الذي يمتد على مدى أربعة قرون من تاريخ التصادم بين الشرق والغرب- (منذ بوستل تقريبا) ليعلن بإرادة حقة عن قرن التصالح بين الشرق والغرب ، دون الشعور بمفارقة ، أو بعقدة الذنب ، وإن كانت هنالك على المستوى السياسي والثقافي في الغرب إرادة شديدة ، ورغبة جامحة للدمج المباشر وتمييع الخواص ، وتفكيك الهويات ، وإزالة الفروقات والاختلافات بشكل قسري وعنيف ، وبوساطة العلاقة المأزومة على الدوام بين المركز الغربي والهامش ، فإن ماسنيون كان يتحمل كل خطايا الكولنيالية ، كان يشعر على نحو واضح أن المصالحة يمكن أن تتم من خلال النقل المتبادل للمجتمعات المختلفة ، عبر الإرادة الروحية ، والفهم العميق والمتواصل ، ومن هنا خلفت لديه هذه الفكرة نوعا من الأزمة الصارخة بين ما كان يؤمن به وبين ما كان يتحقق بالفعل عبر إرادة السلاح ، والتهديدات العسكرية الأكثر عنفا ، والزحف المباشر الذي يواجه بحدة شديدة من قبل العرق المحكوم ، وربما كان الخوف من فشل هذه المصالحة أكثر إيلاما ، لقد كان ماسنيون يعاني بحق من الغرب في حدوده الجذرية ، ومن عصر خربته الإمبريالية ، وهدمت لديه مشروع الوفاق الكوني ، والتسامح الديني على الخلفية الضيقة للنخب السياسية ، التي كانت تملك القرار الحقيقي في تنظيم العلاقة بين الشرق والغرب .

كان ماسنيون خاضعا في هذا الأمر إلى علاقات ضاغطة ، وإلى نوازع

متعارضة ، لم يستطع أن يقيم بينها مصالحة كاملة ، فهنالك مصالح كولنيالية في الشرق لم يستطع ماسنيون أن ينكرها ، وهنالك شرق لم يوجد من أجل فرنسا ، إنما وجد لنفسه ، وهذا الأمر أدركه بعمق وربما أكثر من أي مستشرق آخر ، وهنالك إرادة تبشيرية عارمة جاءت بسبب الطابع الروحي المذهبي العقائدي الذي صاغ حياته ، لكنها كانت مكبوتة ومهددة ومفسرة على نحو عميق في داخله ، لذلك لم يكن يدعو إلى تنصير المسلمين ، بل كان الغرب الذي جاء منه ماسنيون هو أكثر الأماكن في العالم فراغا من الناحية الروحية ، بل هو عالم دمرته الحياة المادية نسبة لماسنيون ، وكما يصرح هو ذاته في واحدة من رسائله إلى الأب الكرملي :

«إن الحياة في باريس لا تسرني على الإطلاق»[1] أو «كنت مبتهجا لبقاء عائلتي معي حتى التاسع من آذار ، بيد أني الآن وحيد وحزين للغاية لأني أعاني كثيرا من أثر عاطفة قديمة ، ما زالت تستحوذ على قلبي حتى اليوم ، وتعذبني في الوحدة التي أعيشها هنا-في عالم أوربي أمقته- بعيدا عن الحياة الدينية التي يعلن لي الجميع عن عدم قدرتي على اعتناقها»[2] . . .

وما يقابل العالم الأوربي الذي يمقته ماسنيون ، كان في الشرق إسلام ، وعالم روحي مختلف ، لم تستطع الحياة الجديدة زعزعته ، ومن جهة أخرى لم يكن ماسنيون ، وهو يشعر بالإسلام وقوته ، قادرا على تمثيل الإسلام بقدر ما كان يريد أن يضع تعاطفه اللامحدود معه ، فلم يكن ماسنيون المستشرق الذي يراكم الحقائق الخاملة ، أو الموسوس الذي يرهن عمله بالتلبس العاطفي بالشرق ، وبآسيا ، وبالإسلام ، على الإطلاق ، بل

---

(١) رسالة في ٩/كانون الأول/ ١٩٠٨ .

(٢) رسالة إلى الأب الكرملي في ١٥/آذار/١٩١٠ .

هنالك نوع من المعرفة الآنية التي لا تستسلم لضغط مشاعره وعواطفه وحواسه ، ولا سيما بعد أن ألقيت عليه مسؤولية كبيرة بعد الحرب الكونية الأولى ، كخبير بشؤون الشرق العربي ، ومستشار لدى جورج بيكو ، وهو أحد طرفي الاتفاق المعروف باتفاق سايكس- بيكو ، والذي تم في العام ١٩١٦ ، وقسمت به أراضي الدولة العثمانية بمشاركة من روسيا القيصرية ، وقد أحيط الاتفاق بكتمان شديد حتى أذيع بعد الثورة البلشفية .

**

لقد وضع ماسنيون كل جهده تقريبا وعلمه ومعرفته كوكيل استشراق ، على حد تعبير أدور سعيد ، تحت تصرف وزارة الخارجية الفرنسية ، وقد كتب إلى الأب الكرملي في العام ١٩١٨ :

«أنت تعلم بأن الحكومتين في فرنسا وإنجلترا مكلفتان سوية بالقضية العربية ، إن حكومة فرنسا لديها مصالح خاصة في الجزيرة وفي سوريا وهي مصالح معترف بها في المواثيق ، ويقع على عاتق فرنسا أن تضمن إلى الحكومات العربية المستقلة ، التي ستتشكل في هذه المناطق بعد الحرب الاستقرار والأمن والحضارة ، إن البعثة السياسية والتي يترأسها السيد جورج بيكو مكلفة بالتحضير لهذه المسائل . . .» وكان ماسنيون وهو في القدس قد تناول القربان رسميا باسم بلده أمام القبر المقدس ، ويختتم رسالته ب :

«أن اللعبة الحاسمة تلعب الآن في فرنسا» .

وهكذا نجد سيرة حياة عملية ترافق السيرة العلمية ، فقد رافق الفرقة الفرنسية في الجيش الإنجليزي(١) الذي احتل فلسطين قادما من مصر ، ثم

(١) أي في الحملة العسكرية التي جردتها بريطانيا لتحرير بلاد الشام من العثمانيين ، وكانت بقيادة الجنرال اللنبي ، وكانت تضم ستين ألفا من الجنود البريطانيين إلى جانب ==

مكث في بيروت مع البعثة الفرنسية في تشرين الثاني من العام ١٩١٨ ، لذا اشتهر بالكابتن ماسنيون ، ولقبته العامة بالصندوقجي[١] لأنه عهدت إليه خزانة الأموال الطائلة التي حملها الجيش الفرنسي لصرفها من أجل التصويت لصالح فرنسا ، وطلب وصايتها على البلاد دون سواها أمام لجنة التحقيق ، التي كان يطلق عليها لجنة كراين الأمريكية المقترحة من قبل الرئيس ولسن ، للاطلاع على رأي أهل البلاد في تقرير المصير بمقتضى المبادئ التي نادى بها في حزيران العام ١٩١٩ ، وهكذا وجد ماسنيون نفسه مرة أخرى ، يواجه- وبصورة مباشرة- القضايا الآنية لنشوب المواجهة الكبرى بين الشرق والغرب ، وكان يشهد على نحو متواصل اندلاع القومية العربية بكل قوتها وعنفها ، لقد عاد العرب مرة أخرى إلى التأريخ بعد قرون طويلة من الاختفاء تحت السطوة والقوة العثمانيتين ، فقد التحق عرب الحجاز بالحلفاء في العام ١٩١٦ ، بعد أن وعدوا بالاستقلال والأمن والحضارة ، ومن ثم احتلت الجيوش الغربية الشرق الأدنى ، وأدى ذلك إلى تفكيك الإمبراطورية العثمانية ، وأصبحت مطالب العرب واضحة وصريحة .

**

لقد اتخذ جورج بيكو ماسنيون مساعدا بوصفه خبيرا بشؤون المنطقة

== فرقة فرنسية لا يزيد عدد جنودها العشرة آلاف ، فضلا عن عشرة آلاف عامل مصري رافقت الحملة في مؤخرتها ، منطلقة من مصر فإلى سيناء وسوريا الجنوبية (فلسطين) ومن حيفا تابعت السير في الساحل حتى بيروت .

(١) أورد اسكندر الرياشي أن ماسنيون كان يعرف العربية جيدا حتى يستطيع التفاهم مع الناس وأنه قبض من ماسنيون خمسين ألف جنيها في سبيل الدعاية لفرنسة ، وطلب وصايتها على البقاع وحاصبيا وراشيا وبعلبك .
انظر تفصيل هذا الأمر في كتاب اسكندر الرياشي (رؤساء لبنان كما عرفتهم) الصفحة ٢١٤ ، وأوردها حسن سبح في المصدر السابق ص٦٩٠ .

العربية والإسلامية (فيما كان مساعداه الآخران هما غاستون موغرا وربير كولندور) وقد أتيحت لماسنيون فرصة أن يرى تأريخ بلاد الإسلام حيا أمامه ، وقد عاد مرة للظهور بشكله الجديد ومطالبه الملائكية والمدينية والنزعة الدينية المخففة ، وقد عقد صداقات لم تنته أبدا مع المطالبين بالحقوق العربية أوان ذاك (التقى أيضا بالأمير فيصل الذي أطلعه على الاتفاق الموقع بالحروف الأولى مع كلمينصو في باريس) ، وقد التقى في الوقت ذاته بمن قرروا مصير الشرق العربي من الغربيين ، لا بالسياسيين المحترفين والعسكريين ، والدبلوماسيين إنما بخبراء بالشؤون العربية ولا سيما التقائه الأول بلورنس العرب ، مؤلف كتاب(أعمدة الحكمة السبعة) ، كان لورنس مستشارا لدى اللورد سايكس مساعد اللورد بلفور لشؤون الشرق ، وقد وقف الاثنان (لورنس وماسنيون) كمستشارين للسياسة الغربية لشؤون الشرق الأوسط والإسلام ، وشهود على مرحلة من أخطر مراحل لقاء الثقافات واحتدامها ، بكل اختلافاتها الدينية والحضارية والمعرفية والثقافية والسياسية والإثنوغرافية ، وربما منذ ذلك اليوم شهدا احتدام صراع لم يهدأ (حتى اليوم) وعلى النقاط والفصلات ذاتها ، وربما يصاب أي مهتم بالدهشة كيف لهذا الاحتدام أن يواصل استمراريته ، وعلى نقاط الاختلاف ذاتها حتى وإن تبدل أشكال الصراع ومظاهره ، وربما يعزز الاختلاف بين الشخصيتين (شخصية ماسنيون وشخصية لورنس) طرفا من الاختلاف التكويني والبنيوي إن صح التعبير في السياسة الغربية ذاتها ، ويمكننا أن ندرك ومنذ البداية أن اللقاء الذي كان بين ماسنيون ولورنس هو لقاء غير مريح بالمرة ، حتى وإن تلبس بالتزويق البلاغي والأدبي ، الذي يطبع خطاب ماسنيون في المرحلة التالية للحرب ، فقد اندهش ماسنيون دهشة كبيرة من رجل إنجليزي حافظ على شبابه ، وتحرر

من كل القيود حتى أصبح مثل واحد من الخارجين عن القانون ، ولم تشفع رقة لورنس ولا خجله الشبيه بخجل فتاة من تلطيف صوته القاسي والمنخفض الشبيه بصوت أسير ، فقد شعر ماسنيون منذ ذلك اليوم أن ما يميزه عن لورنس هو أنهما يصدران على نحو متواصل من تجربتين مختلفتين ، ومن ثقافتين مختلفتين أيضا ، وربما يصدران من استشراقين مختلفين ، يكمن هذا الاختلاف في نمطين من الاستشراق ، وهما الاستشراق الإنجليزي الذي ينطوي على الجانب العملي والبراطيقي للسياسة المطبقة على الأرض ، طبقا إلى مقولة سلفيان ليفي ، والاستشراق الفرنسي الذي يحمل طابعا كليا وإجماليا ، كونيا وتكهنيا ، ويمكننا أن نقول عنه بأنه كان ثقافيا في مجمله(١) .

ونجد مظاهر هذا الاختلاف في جوانب أخرى من الشخصيتين المختلفتين ، ففي الوقت الذي كان فيه لورنس يتبع مصيره وقدره الشخصي كان ماسنيون يندفع شيئا فشيئا بدوره الروحي والثقافي في المجموع التاريخي الأكبر لحياة أمة وثقافة (وهذا ما تكشفه الرسائل بوضوح وجلاء كلين) ، لقد تنكر لورنس لتجربته برمتها بسبب الشقاق الثقافي والانتماء إلى الهوية الأولى والشعور بالضياع بين ثقافتين ، وكان ماسنيون على العكس من ذلك ، يشعر بأن مصيره وقدره يتقاسمان ثقافتين حتى وإن غلب واحدة على الأخرى ، إلا أن الثقافة المغلوبة كانت نافذة بالعمق في تكوينه الروحي والثقافي .

وهذا ما وضحه بشكل جلي الدور الذي لعبه وكيلا الاستشراق كلاهما ذلك الوقت لورنس وماسنيون ، عقب دخولهما إلى القدس مع الجنرال اللنبي ، وإن توحدا بشعورهما الفظيع بالهزيمة بعد أن خرق الحلفاء

(1) Sylvian Levi, Les Parts respective des nations occidentales,op. cit. P116

العهود التي قطعوها على أنفسهم ، فقد تنازل لورنس عن العمل نهائيا وأثبته بتخليه الكلي وربما بفراره وانشغاله كليا بقدره الشخصي[1] ، ذلك لأن لورنس كلف بأن يقنع الملك حسين بأن المدينة ستوكل إليه ، ولكن في الحقيقة جرت بين بلفور واللورد روتشيلد رئيس الوكالة اليهودية مفاوضات فيما يخص تسليم القدس لليهود ، أي أن لورنس كان مكلفا بمهمة خداع الملك حسين ؛ وقد شعر بعد فوات الأوان ببشاعة خرق العهد المعطى للعربي ، فإن ماسنيون كان مثله ذلك الوقت ، وربما أدى الدور ذاته في معارك ميسلون ، وقد أصبح ماسنيون يشعر منذ ذلك الوقت بأن احترام التعهدات المعطاة للمسلمين هي موجب التزام ، ومن هنا كتب كتابه (العهد) والذي يعني ضرورة التزام العهد ، وأن كل شيء يمكن أن يباع سوى الإيمان والعقيدة[2] .

**

بعد هذه الحادثة الفظيعة شعر ماسنيون بأن الغرب هو الذي أوصل الشرق إلى الفراغ الكبير ، وأوصله إلى الفوضى والانتحار[3] . فقد شعر بشكل فوري أن الفراغ الذي يحسه المستشرق بالشرقي ، هو فراغ الغرب ذاته ، وكان يدرك مقدار التدني المعنوي للحياة الغربية أمام شرق هو أقرب إلى نفسه من الناحية العقائدية والروحية معا ، ولذا فإن الشرقي الذي كان يعاني من الانسحاق من التفوق التقني للغربي ، كان في الوقت ذاته يشعر بتفوقه الروحي ، هذه العلاقات المتشبكة والمتعارضة والمتناحرة التي شهد

(1) L. Massignon. Opera Minora, Tome III, op. cit. P226.

(2) Ibid 242

(3) L. Massignon. Opera Minora, Tome II.

عليها ماسنيون ، أشرت الطابع المتناقض والمتصارع في تفكير ماسنيون ذاته ، فهو من جهة يحاول أن ينقذ الشرق من التخلف والانحطاط المادي ، وكان يشعر بأن هذا التفوق المادي هو فراغ لا محدود أمام الحياة الروحية الحية في الشرق ، ومن جهة أخرى كان ماسنيون ضحية المثقف في علاقته مع السلطة ، فقد كان يدرك دوره التنويري بوصفه مثقفا ، ومع ذلك كان خاضعا لدور آخر هو وضع علمه وثقافته ومعارفه بالإسلام في خدمة السياسة الكولنيالية في الشرق . وقد كتب تييري هنتش عنه بحق :(١)

«لم يستطع على الإطلاق أن يعزم على الاختيار بين وطنيته وصداقاته العربية ، كان مأخوذا بنوعين من الأمانة لا تصالح بينهما ، وخضع نتيجة لذلك إلى ضغوط متعارضة طوال حياته ، ولم يكف هذا التناقض عن التوسع أمام السياسة الشرقية لفرنسا ، والتي كان ماسنيون يرى بوضوح مطرد ومع الوقت بأنها لم تكن تنسجم مع الآمال الإنسانوية التي وضعها فيها» .

**

لم يكن ماسنيون بطبيعة الأمر خاضعا لترف معرفي في البحث عن المخطوطات الشرقية من أجل المغامرة التي طبعت كل جيله من المستشرقين ، إنما كان هنالك تصور في الشرق بوصفه الطاقة الحية للغرب لأن يدفعه إلى التسامي على ذاته ، ومع ذلك فإن دور المثقف الذي كان داخله يتعرض إلى تهدم كبير وهو يتابع السياسة الكولنيالية في بلده ، ففي العام ١٩٢٠ وفي ملتقى أدبي بين الشرق والغرب بين الإسلام والمسيحية بين سوريا وفرنسا ، حاول ماسنيون أن يجد في تأريخ الثقافة

(1) Thiery Hintische, L'Orient Imaginaire,op. cit. P233

العربية التي يبحث فيها عن الطاقة لبلده ، أن يروج للجمهور العربي والمثقف العربي سياسة الإذعان والتراخي ، فأورد من مشاهير الإسلام الحسن البصري ، أثناء ثورة الحجاج الثقفي في البصرة الخارج على الوالي الظالم ، فقال الحسن رافضا الاشتراك بالفتنة إن النصيحة واجبة والخروج بالسلاح حرام[١] .

هنالك مفارقة في كل ما كتبه ماسنيون وذلك بتجريده الهائل للحملات الكولنيالية الأوربية في الشرق المتوسط من طابعها الاقتصادي المقيت والمصرفي ، وكان ماسنيون يدرك إلى النهاية التشوه الذي خلفته طوابير الارتزاق الفرنسي في هذا المكان الروحي ، على حد تعبير ماسنيون ، ومع ذلك كان لديه نوع من الطلاق بين المثل الثقافية والفكرية والمعرفية ودور المثقف الذي كان يريده ، وبين مهادنته للسلطات السياسية الحاكمة في فرنسا وللنخب السياسية وكارتلات الاحتكار البغيضة ، وربما هو ذاته الذي جعل الشيخ إبراهيم الزعيم الإصلاحي الجزائري أن يعيب على ماسنيون اتخاذه التصوف قناعا ليمثل خلفه أسوأ عميل للطابور الاستعماري الخامس ، وقد أورد ماسنيون في مقالته الشهيرة (الغرب أمام الشرق) والتي نشرت في (أوبرا مينورا) رسالة من أحد طلابه قال له فيها :

(لن أسامح نفسي لأني أحببتك ، ذلك لأنك جردتني من سلاحي ؛ لقد كنت الأسوأ من أولئك الذين أحرقوا منازلنا واغتصبوا نساءنا وسودوا شيوخنا ، لقد جردتني لسنوات عديدة من حياتي ، وجعلتني أعتقد بأن هناك إمكانية للتصالح والتفاهم بين الفرنسي الذي هو مسيحي وبين العربي الذي هو مسلم» .[٢]

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ، المجلد الأول ص ٢٨ .

(٢) انظر : L. massignnon. Opira Minora, Tome I,op.cit. p208.

وقد علق هنتش على مقالة ماسنيون المفككة بأن تحدث فيها عن جميع الحماقات وسوء الفهم الذي أبداه الأوربيون إزاء العرب ؛ لأنهم لم يكن بإمكان العرب إثراءهم ، ويكتفي بتوجيه النقد إلى الهفوات السايكولوجية للمستعمر بحق المستعمر ، أما فيما يتعلق بالنقد الذي وجه إليه فإن ماسنيون يظهر وببساطة ألمه لأن جهده في فهم الآخر لم يلق ما يستحقه[(١)] .

**

لقد كان ماسنيون مؤمنا ، بالرغم من الخيبات التي طرحتها أمامه فرنسا ، بمهمة وطنية في أرض الإسلام ، هذا الإسلام «الذي سبق لعرقنا أن واجهه -كما يقول ماسنيون- في العصر الوسيط خلال الحروب الصليبية دون أن يحاول فهمه إلا في حالات نادرة ، وعاد ليجده أمامه في القرن الماضي في مصر والجزائر وإن كان يقل عنه في التجهيزات التقنية ، بيد أنه قوي وروحي»[(٢)] .

كانت دعوة الصحراء والأفق الذهني الموسع ، الذي ينتظر من العرق الغربي أن يجدده ، واضحة في ذهن ماسنيون ، وربما تكشف رسائل الأعوام ١٩١٧-١٩١٨-١٩١٩ إلى الأب أنستاس ماري الكرملي هذه الدعوة بعمق ، ومع ذلك كتب ماسنيون مرة :

«ليست الصحراء هي كل ما في أفريقيا ، إنما هناك رفاق الطريق ، ومسلمون ، وطبائع عنيدة وقاسية ، عليك مواجهتها والشعور بها والتغلغل

---

(١) انظر

Thiery Hentisch, L'Orient Imaginaire,op.cit. P243.

(٢) انظر

L. Massignon. Opera Minora, Tome 111,op.cit. P 581.

فيها وفي فهمها ، هذا الإسلام العريق في قدمه والمتخندق وراء نظام الحياة كان بإمكان العرق الغربي أن يتسامى عليه ، وأن يتعلم منه مجهوده للإدراك والتأقلم والتعاطف ، وأن يكون أخيرا أمينا إلى نزعته التاريخية ، شريطة أن يحافظ على إرثه الخاص غير منقوص ، وعلى الغربي - كما يؤكد ماسنيون - أن يتذوق بعض المميزات الرائعة التي لم ينشغل المتغربن بها على الإطلاق ، مثل الرهافة التلقائية لدى استقبال الغريب التي تجعلهم يحيون ضيوف النهار ، كما لو كان مبعوثا من صديق ، وهذا الصبر على الحياة ، وهذا الخشوع بين يدي الله ، وهذا اليقين الصامت واللامادي والرزين بوجود كلي إلهي ، سامي وخفي ، إنه التراث الذي لا يقيم بثمن ، إنه الشيء الوحيد الذي استطاع إبراهيم أن يتركه لابنه إسماعيل وهو يفارقه عند حافة الصحراء ، والذي التزم أحد أخلاف إبراهيم وهو محمد بالمطالبة به»(١) .

**

لقد خلط ماسنيون حتى في رسائله بين النزعتين الدينية والدنيوية ، فهو يقول في رسالة في ٥/تشرين الأول في العام ١٩١٧ :

«كل شيء تم حسابه على نحو رائع من قبل الرحمة السماوية»

وهكذا كانت الجيوش الغازية تتحول إلى رحمة سماوية ، كانت رغبته الحقيقية وإيمانه العميق يظهران في رسالة ٢/تموز/ من العام ١٩١٩ ، وهو الربط بين الاستعمار والبركة السماوية :

«عدت كما هو الحال في كل عام ، ومنذ أحد عشر عاما في رحلة تأمل خاشع ووقور في النعم التي غمرتني بالقرب منك ، وذلك عند

(1) L. Massignon. Opera Minora, Tome 1, op.cit. p11-12

عودتي إلى الكنيسة في حلب وبعلبك وبيروت ، خلال أسبوع القلب الأقدس وهو أسبوع السلام .

أفكر أمام الله بأصدقائنا المسلمين أكثر من أي وقت مضى ، سيصطفون على ما أظن إلى جانبنا عند حصول المحن الأخيرة ، وعندما تصبح الساعة قريبة ، لأنهم مؤمنون ، وهذا الإيمان ليس فضيلة طبيعية من الدين حسب إنما هو أكبر من هذا ، إنه بركة الله وهو يستجيب إلى إبراهيم الحائر :

«لقد سمعت نداءك من أجل إسماعيل إنني أباركه سأجعله خصبا وسأجعله عظيما جدا»

لقد كتب ماسنيون في الرسالة أول الأمر (إنه وعد الله) ثم شطبها وكتب بركة الله ، في الواقع إن هذا الشطب لم يكن شطبا خطيا بمقدار ما كان نزوعا فكريا حادا لدى ماسنيون ، لقد كان ماسنيون يتصور كل الصراعات في الشرق الأوسط على أساس مفهوم الوعد الإلهي في التوراة الذي منح لإسحق دون إسماعيل ، ولكن هاجر التي طردتها سارة إلى الصحراء ستضع طفلها وتدعوه (إسماعيل) وسيكون طفلا مختلفا ، فهو ضد الجميع ، والجميع ضده ، ولكنه سيثبت نفسه أمام إخوته منذ استجاب الله لنداء هاجر ، وحين كانت هاجر تبحث عن الماء لوليدها يقول ماسنيون إن اللغة العربية بدأت من دموع هاجر ، وكانت مهمة محمد نسبة إلى ماسنيون هي استجابة غامضة لصلوات إسماعيل وأبنائه العرب ، فهو الذي رد الاعتبار إلى إبراهيم وقد سماه بطل المطالبة بالحق الإبراهيمي .

٤- مؤلفات لويس ماسنيون

- Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle : tableau géographique d'après *Léon l'Africain*; préf. de L.-G. Binger - Alger : Jourdan, 1906 - XVI-305 p., 30 cartes.; 27 cm.

  En append., tableau généalogique, chronologique de 1400 à 1515 et tableaux de réf. des citations de léon l'Africain. - Contient des statistiques.
- *Mission en Mésopotamie* (1907-1908), t. I Château d'al-Okheïdir, Relevés archéologiques, Le Caire, Mém. 28, Institut FranÇais d'Archéologie Orientale, 1910, VII + 74 p.,63 pl.; t. II Topographie historique de Bagdad. Epigraphie (Mosquée Mirjân), Le Caire, Mém. 31x IFAO, 1912, VIII + 144 p., 28 pl.
- Edition commentée du Kitab al-Tawâsîn d'al-Hallâj, Paris, Geuthner, 1913, XXIX + 223 p. (en arabe).
- Ta'rikh al-istilâhât al-falsafîya al-'arabîya - Cours d'histoire des termes philosophiques arabes : du 25 nov. 1912 au 24 avril 1913 - professé à l'Université égyptienne; Autographié; Le Caire; 123 p. + 5 ind., 2e édition, Institut Français d'Archéologie Orientale (annotée par Zeinab Mahoud El-Khodeïry); Le Caire, 24 + 252 p., IFAO 1983 (en arabe); 28 cm
- Edition des 'Amthâl Baghdâdîya de al-Tâlâqânî, Le Caire, 1913, 44 p. (en arabe).
- Quatre textes inédits, relatifs à la biographie d'al-Hallâj, Paris, Geuthner, 1914, 37 + 86 p. (en arabe).

La Passion d'al-Hallâj, 1re éd. Paris, Geuthner, 1922, 2 vol.,1088 p. 28 pl.; 2e éd., Paris, Gallimard, 1975, 4 vol., 1944 p., 59 pl. Traduction américaine par Herbert Mason de la 2e éd., The Passion of al-Hallâj, Bollingen Series XCVIII, Princeton University Press, 1982, 4 vol., CXIV + 1791 p., 49 pl.

Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane, 1re éd., Paris, Geuthner, 1922~ 406 p.^ 1 pl. ; 2e éd. Paris, Vrin, 1954, 453 p.,7 pl.; 3e éd., ibid., 1968.

Annuaire du monde musulman : statistiques, historique, social et économie - 1re éd. Paris, Rev. Monde Musulman, 1922-23, 358 p.; 2e éd. Paris, 1926; 3e éd. Paris, Leroux, 1 929, 484 p.; 4e éd. (avec V. Monteil), Paris, Presses Universitaires de France, 1955, XVI + 429 p.

Enquête sur les corporations d'artisans et de commerÇants au Maroc, " Rev. Monde Musulman ", Leroux, 1924, Paris, VII + 250 p. Compléments, Rev. Et. Islamiques, 2 (1927)s pp. 273-293.

Recueil des textes inédits concernant l'histoire de la mystique en pays d'islam - réunis, classés, annotés et publiés par L.Massignon - Paris, Geuthner, 1929, VII-259p. - 25cm - Trad. arabe par Mut. Abderraziq, Ma'ârifa, 1931. - Trad. allemande par Schahr, Der Islam, 1931, pp. 61-127.

Diwân de al-Hallâj, 1re éd. Paris, Journal Asiatique, 1931, 158p., 1 pl. et 2e éd. Paris, Geuthner, 1955 (avec texte arabe); 3e éd.,

Paris, Documents spirituels des Cahiers du Sud, 1955, XLVII + 159 p.; et 4e éd., Paris, Editions du Seuil, 1981,161 p. (sans texte arabe). Trad. espagnole de Leonor Calvera, ed. del Peregrino, Rosario (Argentine), 1983~ 159 p. (sans texte arabe).

- Akhbar al-Hallâj, 2e éd. d'un des " Quatre Textes " édités en 1914 Paris, 1936 (avec P. Kraus), Au Calame, et Larose, 112 + 141p., 3e éd., Paris, Vrin, 1957, 217 + 158 p.; 4e éd., ibid., 1975.
- Les Forces religieuses et la Vie politique, I. Islam, II. Israël, Cours à l'Institut des Sciences Politiques de l'Université de Paris 1946-47, Ed. Cours de Droit, Paris, 1947, 83 p.
- En Islam : jardins et mosquées - photogr. Claude Bourquelot - Paris - Le Nouveau commerce - 1994 - 33p. - 22x11cm - Suppl. au cahier n°50/51 du "Nouveau commerce"
- Correspondance Paul Claudel- Louis Massignon (1908-1914) - prés. M. Malicet - éd. Michel Malicet, Paris, Desclée de Brouwer, 1973, 270p. - 22x14cm
- Correspondance Max Van Berchem - Louis Massignon (1907-1919), président W. Vycichl, Leyde, E.J. Brill, 1980, VIII + 112p., 2pl.
- L'Hospitalité sacrée - Louis Massignon, Mary Kahil (correspondance) - Montrouge (Hauts-de-) - Nouvelle Cité 1987 - 482p. ; 20x13 cm

محاضرات جامعية

Cours au Collège de France (1919-1954);

Cours à l'Ecole des Hautes Etudes, Sorbonne (1932-1954);

Les Conférences de l'UNESCO, 1947s pp. 115-131 L'interprétation de la civilisation arabe dans la culture française (Opera Minora, I, p 187).

Cours à l'Université du Caire, 1913 et 1939.

Cours à l'Institut des Sciences Politiques, Paris, 1946-47.

Haskell lectures, 38 conférences aux Etats-Unis et au Canada, en anglais, 1952 (Univ. de Chicago, Columbia, Notre Dame, Ann Arbor, Harvard, Hartford, Yale, Washington, Atlanta, Princeton et Montréal).

أهم المقالات

lusieurs recueils d'articles ont paru :

Opera Minora - Recueil de 207 articles - textes recueillis, classés et présentés avec une bibliographie par Y.Moubarac - Presses universitaires de France, 1969 - 3 vol., 672p., 19p. de planches; 666p., 11p. de planches; 855p., 44p. de planches - 24cm.

Parole donnée - Recueil de 31 articles tirés de diverses revues et publications - précédé d'entretiens avec Vincent-Mansour Monteil - 1re éd. Paris, Julliard, 1962, 446 p., 8 pl. - 2e éd. Paris UGE, coll. de poche 10/18, 505 p., 1970 - 3e éd. Paris, Editions

du Seuil, 440 p., 8p. de planches - 21cm. 1983.

Principaux articles

- La Langue d'Honoré d'Urfé: étude sur l'expression des passions de l'Amour dans l'Astrée, Mém. Sorbonne, 1902, 79 p.
- Mohammerah, Rev. Monde Musulm., 6 (1908), pp. 385-410,8 pl.
- Note sur le Dialecte arabe de Bagdad, Bull. Inst. Fr. Etud. Or., Le Caire, 11 (1912)w 23 p.
- Les revendications islamiques, Rev. Monde Musulm., Paris, 39 (1920)s pp. 1-26. Trad. anglaise " What Moslems expect ? ", Moslem World, 1922. Rev. Monde Musulm., 40 (1921), pp 165-216
- Les Nusayris de Syrie, Rev. Monde Musulm., 38 (1920), pp. 27 1 -280.
- Les Méthodes de réalisation artistique des peuples de l'Islam, Extr. de "Revue Syria", 1921 - Paris : Geuthner, 1921 - 21p.; 29 cm; Trad . turque par B. Toprak, Din ve san 'at, Istanboul, 1937, pp. 17-41; trad. espagnole par E. Garcia Gomez. Rev. de Occid., 114 (1932), pp. 257-284.
- Documents sur les Alaouites, Rev. Monde Musulm., 49 (1922)s 1 -69.
- Eléments arabes et foyers d'arabisation, Rev. Monde Musulm., 1924, pp. 1-1580 avec 10 cartes.
- Etudes sur la notion islamique de souveraineté, Rev. Monde Mu-

sulm., 59 (1925)" 273-317.

Pro Psalmis: défense de l'aspect qu'assume l'idée dans les langues sémitiques, Rev. Juive, Genève, 2 (1925), 164-173.

Les entretiens de Lahore: colloques du prince impérial Darâ Shikuh avec l'ascète Baba la'l Dâs, J. Asiatique (1926)w 285-334 (avec C1. Huart).

L'expérience mystique et les modes de stylisation littéraire, Roseau d'or, Plon n4 (1927), pp. 141-176; le Nouveau Commerce, 52 (1982)^ pp. 23-50.

Edition du Directoire de Charles de Foucauld (avec avert. et ann.), Paris, Orph d'Auteuil, 1928,156 p.; 2e éd. 1933; 3e éd. 1951; 4e éd. Le Seuil, Paris, 1961.

Modem Movements in Islam, m Whither Islam ? de H.A.R. Gibb, 1932^ pp. 75-99

Salman Pâk et les prémices spirituelles de l'Islam iranien, Bull. Soc. Et. Iran., 7 (1934), 52 p.; Trad. arabe par A.R. Badawi, Shakhliyat galigat, Caire, (1946); Trad. anglaise, Umwala, Bombay, t955.

Al-Mutanabbi : recueil publié à l'occasion de son millénaire (L.Massignon, J.Sauvaget, J.Lecerf, R.Blachère)- publié par l'Institut franÇais de Damas - 1936 - 114 p. - ill. - 25cm

Explication du plan de Kufa (Iraq), Bull. Inst. Fr. Arch. Or., Caire, 68 (1935), 24 p. Trad. arabes par T. Maslabi, el-Ushur,

Karbalà, 1938 et par Z. Mubarak, Caire.

- Les origines et la portée du Gnosticisme en Islam, Eranos-Jahrb., Zurich, 1937^ pp. 55-77 ; et 9 autres articles dans Eranos de 1938 à 1950.
- Situation de l'Islam, 6 conf. à la Radio: Cah. Radio Paris, 1939, pp. 392-421; 2e éd. Geuthner (+ 15 pl); 3e éd. Cah. Nouveau.
- The Origins of the transformation of the Persian Iconography by Islamic Theology, in A Survey of Persian Art, A.U. Pope ed. Oxfordo Le " Hadith el-Ruqya ", première version arabe du Pater, Rev. Hist. Retigions, 123 (1941), 57-62.
- Comment ramener à une base commune l'étude textuelle de deux cultures, I'arabe et la gréco-latine, Lettres d'humanité, G. Budé, 2 (1943), 122-141; 2e édition. Rev. du Caire, 1944; trad. turque par B. Toprak, Tercome Dergisi, Ankara, 1946.
- Etude sur une courbe personnelle de vie: le cas de Hallâj, martyr mystique de l'Islam, Dieu Vivant, 4 (1946) 13-39; trad. persane par A.R. Ferhadi, Kaboul, 1951, 40 p.
- L'homme parfait en Islam, Eranos-Jahrbuch, 15 (1948),287-314; trad. arabe par A.R. Badawi, al-insar at-Kamil fil Islam, Caire, 1950.
- La syntaxe intérieure des langues sémitiques et le mode de recueillement qu'elles inspirent, Technique et Contemplation, Rev. Et. Carmélit., 1949, pp. 37-47.

Shushtarf, al-Andalûs, 1949, pp. 29-57 (espagnol); trad. franÇ. ap. Mélanges W. MarÇais, 1950.

Les trois prières d'Abraham, père des croyants, Dieu Vivant, 13 (1949), pp. 15-28.

Soyons des sémites spirituels, Dieu Vivant, 14 (1949), 82-89.

Labbeville, 1949,35 p.; et Parole et mission, Paris, 8 (1959),3-24.

Le mirage byzantin dans le miroir bagdadien d'il y a mille ans, Ann. Inst. Philol. Hist., Bruxelles, 10 (1950), 429-448.

Les VII Dormants, apocalypse de l'Islam, Mél. P. Peeters, 2 (1950), 245 -260.

Notion de l'essentiel Désir, Mél. J. Maréchal, 2 (1950), 263-296.

Documents sur plusieurs Waqfs musulmans..., Revue d'Etudes Islamiques, 1951, pp. 74-120; 1953, pp. 39-42.

Le respect de la personne humaine en Islam et la priorité du droit d'asile..., Rev. Int. Croix-Rouge, Genève, 1952, pp. 448-468.

Les Fouilles archéologiques d'Ephèse et leur importance religieuse : pour la chrétieneté et l'islam - Extr. de "Les Mardis de Dar-es-Salam"- Le Caire : Impr Tsoumas, 1952, 24p., 24 cm.

La futuwwa ou pacte d'honneur artisanal entre les travailleurs musulmans du Moyen Age, Nouvelle Clio, Bruxelles, 1952, pp. 171-198.

Documents sur certains waqfs des Lieux saints de l'isalm : principalement sur le waqf tamimi à Hébron et sur le waqf tlemcéni-

en Abu Madvan à Jérusalem / réunis et annotés par L.Massignon - Paris : Geutner, 1952 - pp.73-120 : cartes; 24cm.; Extr. de "Revue des études islamiques", 1951

- Explication du plan de Basra, Mél. Tschudi, Wiesbaden, 1954, pp.154-174.
- Les VII Dormants d'Ephèse (ahl al-kahf) en Islam et en Chrétienté, Rev. Et. Islamiq., 195, pp. 59-112, et 7 autres articles Rev. Et. Islamiq., de 1958 à 1962.
- La Mubahalà de Médine et l'hyperdulie de Fatima, Ed. Mai.connellve Paric 1giS RS rb
- Elie et son rôle transhistorique, Khâdirîya, en Islam, Et. Carmélit., 2 (1956), pp. 265-284, Paris.
- La poussée de l'Islam, Encyclopédie FranÇaise (dir. Gaston Berger), 20 (1955)~ 19 p.
- La Cité des morts au Caire: Qarafa, Darb al-Ah'mar, Bull. Institut franÇais d'archéologie orientale - Le Caire : brochure IFAO 1958 - P.26-79 p. + 22 pl.
- La Rawda de Médine, cadre de la méditation musulmane sur le destin du Prophète, Bull. Inst. Fr. Arch. Or., Caire, 59 (1960), pp. 24 1 -272 + 5 pl.

٥ - الأب أنستاس ماري الكرملي

«بين يديك صديقك المقر بفضلك ،

أنا ممتن لك يا أبتي ، ومقر ومعترف لك بالجميل ،

وشاكر لك كل ما فعلته من أجلي ، وأصلي إلى الله من أجلك»

L. Massignon

إن الموضوع العظيم الذي كرس أنستاس ماري الكرملي حياته برمتها له ، هو اللغة العربية ، وبصفته راهبا فقد انقطع كليا لدراستها وللكتابة بها والبحث فيها ، وقد أنتج خلال حياته آلاف الدراسات والكتب والأبحاث في شؤونها ، وبسبب الإطار الثقافي والاجتماعي في ظل الدولة العثمانية ، كانت العربية خيارا سياسيا وثقافيا واجتماعيا أيضا ، فقد كان الكرملي ، بوصفه مسيحيا عربيا ، بين طريقين في علاقته مع الأمة تحت تأثير القومية العربية الناشئة ، إما أن يكون جزءا من الجماعة الإسلامية ، وهي رابطة لا يمكنه الادعاء بأنه جزء منها ، أو الجماعة القومية العربية وهو جزء أساس من تكونها التاريخي ، فإن لم يكن يجمعه مع العرب الدين ، فقد كانت تجمعه معهم اللغة ، وإذ نظر الكرملي للإسلام بوصف التجلي الحقيقي لعبقرية اللغة العربية ، فقد كرس كل جهده لخدمتها ، وهذا ما جعل السلطات العثمانية تضيق به ذرعا فنفته إلى مدينة قيصرى في الأناضول بين العام ١٩١٤ والعام ١٩١٦ ، فقد كانت السلطة العثمانية ترى في دعوته لاستعمال العربية تقويضا للتركية في المنطقة العربية .

**

اشتهر الكرملي بصداقاته مع علماء المسلمين في إحياء وبعث العلوم والآداب العربية ، وأوقف حياته برمتها لتيسيرها وتذليل صعوباتها ، كما أنه مازج بشكل عبقري بين آخر منتجات الدرس اللساني العالمي والدرس

الكلاسيكي العربي ، وطبق بشكل ميثادولوجي آخر تطورات العلوم اللسانية في العالم على اللغة العربية ، وكان متبحرا أيضا باللغة الفرنسية والإيطالية واليونانية والإسبانية والإنكليزية ، فضلا عن اللغات الشرقية مثل الفارسية والتركية والسريانية والحبشية والمندائية .

لقد كان الكرملي واحدا ممن صنعوا لنا ثقافتنا في مرحلة حاسمة من تشكل الثقافة والوعي الثقافي العربي أي بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وقد كان أثره حاسما بل طاغيا على جميع الدراسات والأبحاث في تلك الفترة ، وكانت بصماته واضحة وضوحا كليا في أبحاث مجايليه من الكتاب واللغويين ، فضلا عن توفره على عقلية مبتكرة ، فقد شرع أول الطريق بالكتابات النقدية في مجلته (كل العرب) عن طريق باب المشارفة والانتقاد الذي كان يحرره في نقد الكتب الصادرة في اللغة العربية ، أو اللغات الأوربية ، والأبحاث المنشورة في الدوريات العربية والأجنبية ، كما أنه كتب أولى القصص باللغة العربية في العراق ، وكان ينشرها بأسماء شتى ، وفضلا عن اهتمامه باللغة العربية الكلاسيكية ؛ فقد اهتم اهتماما بالغا باللهجات العامية العراقية والأغاني الشعبية والأمثال والمأكولات والقصص الشعبي والبلدانيات والأديان والطوائف والقوميات والآثار والتاريخ .

**

لقد مزج الأب انستاس ماري الكرملي ، بوصفه رجل كنيسة متعلمنا ، بين مذهبه العقائدي وبين الحساسية الجمالية الكلاسيكية في جميع دراساته وأبحاثه ، وقد أشر بانقطاعه الكلي وإخلاصه لعلوم العربية القدرة الخلاقة والفذة للفيلولوجيا في الامتداد ، عبر مساحة كبيرة من الدراسات التي شملت جميع فروع المعرفة في تلك الفترة ، وفضلا عن

أبحاثه المتميزة عن الأكراد واليزيديين والسريان والصابئة ، كانت دراسته الجغرافية بارعة في دقتها وتفاصيلها ، وعبر علاقته بالمستشرقين مثل ماسنيون وغولدتسيهر وشيفريون ومسز بيل ولويس مانكا وغيرهم[1] ، استطاع تصويب عشرات الدراسات المنشورة عن الآثار الإسلامية وما قبل الإسلامية في الدوريات الغربية ، مثل المجلة الآسيوية والأنثربو ودراسات شرقية وغيرها ، وعبر معرفته الفذة في المخطوطات وتصنيفها والاطلاع والوقف عليها ، واستشارتها وتحقيقها ، فقد أصبح واحدا من المتخصصين بها بحق ، وتحوي خزانة رسائله آلاف الرسائل التي وفدته من كل مكان في العالم تستشيره وتسأله عنها ، وعن أماكن وجودها ، ووقوفه عليها ، ومعرفته بها ، فضلا عن امتلاكه مجموعة كبيرة من المخطوطات في خزانة كتبه ، التي تعرضت للنهب بعد الحرب العالمية الأولى ، أي في العام ١٩١٧ ، غير أنه استعاد بعضها وجدد الآخر .

**

كانت ندوته الثقافية في بغداد شهيرة جدا ومؤثرة تأثيرا بالغا في عصره ، فقد كان يتوفر على روح المعلم ، وهي الخصيصة التي تطغى على كل ما كتب أيضا من أبحاث ودراسات ، فعباراته وأفكاره مرتبة بمنهجية

(١) نعكف على ترجمة وتحقيق مجموعة مهمة من رسائل المستشرقين للأب الكرملي ، منها :

رسائل المستشرق دلافيدا ، والمستشرق غولدتسيهر ، وهنري لامنس ، والمستشرق دوروم ، والمستشرق دوغرتي ، والمستشرق دو مورغان ، والمستشرق ريتر ، والمستشرق رينو ، والمستشرق زويمر ، والمستشرق سبرنكلك ، والمستشرق سميث ، والمستشرق سموغي ، والمستشرق ألفونس مانكا ، والمستشرق بكر ، والمسز بل ، والحبر تسيران ، والمستشرق الإنكليزي الشهير هاملتون جب وغيرهم من ضباط وعسكريين انكليز وفرنسيين في المنطقة العربية في بداية القرن المنصرم .

ووضوح ، ومحددة بطريقة تعليمية موجهة ، وينصب جهده العلمي على تسيير العمل العلمي والمنهجي وتذليل الصعوبات أمام الباحثين ، فالوجه الآخر من أبحاثه ودراساته هو تسيير عمل الباحثين والكتاب ، وذلك عن طريق إنتاج نظام جديد للقاموس العربي ، يقارب الطريقة السهلة والميسرة للقواميس والمعاجم الأجنبية ، ومبوبة بصورة جديدة ، مما أثار العقليات التقليدية والجامدة والمتحجرة ضده ، وقام بدراسات كثيرة من أجل تيسير النحو العربي ، وتقعيد بعض الأصول والطرق والأساليب لتعلمه وتعليمه ، وقام بتلخيص عشرات الكتب العربية الضخمة ، من خلال كراريس تحوي ما هو مفيد وهام على الطريقة الفرنسية في كتب Melange ، ومن جهة أخرى انصبت دراساته وأبحاثه على تصويب وتنقيح أعمال ودراسات الآخرين ، أو بيان الأغلاط فيها ، ونقدها وتصويبها والكتابة عنها ، وكان للهجته أثر حاسم في تشكيل دائرة ثقافية تحيط به وتتعلم منه ، وكانت هذه الدائرة من جميع أديان وطبقات العراق ، وكان هو صلة الوصل بينها وبين المثقفين في العالم العربي والمستشرقين في العالم ، ففضلا عن علاقته الحميمة مع أكبر علماء المسلمين في تلك الفترة ، مثل آل الآلوسي ، كانت علاقاته مع الكتاب والشعراء والأدباء مثل الرصافي ، والزهاوي ، ومصطفى جواد ، وكاظم الدجيلي ، وعباس العزاوي ، وإبراهيم حلمي العمر ، أنور شاؤول ، حنا خياط ، داود الجلبي ، رزوق شفو ، رزوق عيسى ، رزوق غنام ، رفائيل بطي ، روبين سوميخ ، سليمان الدخيل ، طه الراوي ، عبد الرزاق الحسني ، الملا عبود الكرخي ، علي الخطيب ، كوركيس عواد ، مير بصري ، هاشم الوتري ، يعقوب سركيس ، يوسف غنيمة ، يوسف مسكوني ، وعلاقاته مع الكتاب العرب ، مثل أحمد تيمور باشا ومحمد كرد علي وشبلي شميل ولويس شيخو ، وعلاقاته مع أكثر

المستشرقين شهرة في العالم في ذلك الوقت .

**

لقد درس اللهجات العامية في العراق ، وقدم بحوثا مهمة في ألفاظها وأصلها واشتقاقها وقرابتها مع اللغات السامية الأخرى ، وكتب في الحكايات الشعبية ، وبحث في الأمثال الشعبية ، ودرس اللهجات العامية دراسة مقارنة ، وذلك من خلال التمييز بين عامية الموصل وعامية بغداد ، وعامية النصارى وعامية اليهود ، وترجم الروايات والقصص القصيرة الفرنسية إلى اللغة العربية ، وكتب على غرارها الكثير الذي نشره في الصحف والدوريات العربية والعراقية ، وكتب أبحاثا كثيرة في الجغرافيا ، ودراسة الخرائط لغويا واجتماعيا وتاريخيا ، وقام بتحقيق المخطوطات القديمة ، وتطوير المعاجم ، ويعد معجمه المساعد المعجم الوحيد الذي يتوفر على منهج جديد في الاستخدام وهو مختلف كليا عن الاستخدام العربي القديم للمعاجم .

**

إن كتابة الرسائل والإجابة عليها واحدة من الخصائص العلمية البارزة في شخصية الأب أنستاس ماري الكرملي ، وتحتوي خزانة رسائله آلافا مؤلفة من الرسائل التي وفدته من مختلف بقاع الأرض ، وتؤشر انهماكه في قضايا عصره ، وعلاقاته مع النخبة المثقفة البارزة في تلك الفترة ، وتشكل محاججاته في هذه الرسائل ركيزة أساسية من ركائز الثقافة الحديثة ، فبفضلها استطاع التواصل مع الأفراد والمؤسسات العلمية والتربوية ، وكان ينشر أبحاثه في أكثر الدوريات العربية رواجا وبشكل مستمر على مدى خمسين عاما تقريبا ، فضلا عن تأسيسه لمجلتي لغة العرب ومجلة دار السلام ، وقد استقطب بهما أكثر الكتاب العرب والمستشرقين شهرة في ذلك الوقت للكتابة بهما ، كان عضوا في مجمع

المستشرقين الألمان ، وعضوا في المجمع العلمي العربي ، والمجمع اللغوي في مصر ، ومن الأعضاء المؤسسين للجنة الترجمة والنشر التي تأسست في العراق ، وكانت الأصل الذي قام عليه المجمع العلمي العراقي ، وكانت لديه رسائل متواصلة مع جميع العلماء العاملين في هذه الدوائر ، فقد كان نشطا نشاطا غير اعتيادي ، وبفضل شخصيته المنظمة والمرتبة والدقيقة ، استطاع أن يجمع علوما متعددة في آن واحد ، وبأدائه الفذ وتنفيذه لجملة من النصوص والكتب والكتابات ، قدم ممارسة تربوية وتراثا في البحث للأجيال التي تلته ، غير أن ما يميزه حقيقة ، هو توفيقه البارع في كل ما كتب بين الجمالية المسيحية بحسها المكرس للتربية النفعية ، وبين العقلانية المدنية التي كان من أنصارها .

حياة الأب الكرملي

ولد الأب انستاس ماري الكرملي في بغداد في الخامس من شهر آب من العام ١٨٦٦ ، تعلم وهو طفل صغير في مدرسة الآباء الكرمليين ببغداد ، وأنهى فيها مرحلة الدراسة الابتدائية ، ثم انتقل منها إلى مدرسة الاتفاق الكاثوليكي ، وأتم فيها مرحلة الدراسة الثانوية وتخرج فيها العام ١٨٨٢ .

بدء حياته مدرسا للعربية في مدرسة الآباء الكرمليين ، ثم غادر بغداد وهو في العشرين من عمره ، أي في العام ١٨٨٦ إلى كلية الآباء اليسوعيين في بيروت ، وعمل هناك مدرسا للعربية أيضا ، وتعلم في هذه الكلية اللغة اليونانية ، كما تثقف الفرنسية وآدابها التي قطع فيها شوطا واسعا حينما كان في مدرسة الآباء الكرمليين ، ثم تحول بعد ذلك إلى بلجيكا ، وسافر إلى بروكسل في العام ١٨٨٧ ، وانتمى كما هو واضح من سيرته إلى الرهبانية الكرملية في دير شيفرمون (chevermont) قرب مدينة

ليبج Liége ، وقد عرف في هذه الفترة باسم : «أنستاس ماري الكرملي» بعد أن كان اسمه «بطرس ميخائيل المارين» .

غادر أنستاس ماري الكرملي بعد ذلك إلى مونبيلية (Montpellie) ودرس هناك العلوم العالية في الفلسفة واللاهوت ، وفي العام ١٨٩٤ رسم قسيسا باسم أنستاس ماري الكرملي ، ثم غادر فرنسا إلى إسبانيا بغية الاطلاع عليها وعلى معالمها التاريخية ، فطوف في إسبانيا الإسلامية ثم عاد منها إلى العراق ، فاضطلع بإدارة مدرسة الآباء الكرمليين طوال أربع سنوات ، وكان يعلم فيها العربية والفرنسية .

شغل الأب بالعربية وعرف بمجلته الشهيرة لغة العرب ، وأصدر مجلة أخرى هي مجلة دار السلام ، وحقق الإكليل للهمداني الجزء الثامن ، وتذكرة الشعراء ، وقطعة من معجم العين ، ونخب الذخائر في أحوال الجواهر ، وبلوغ المرام في شرح مسك الختام ، لقد اهتم الأب انستاس الكرملي باللغة ، والتاريخ ، والأقوام ، الملل والنحل ، البلدان ، وبعد نفيه خلال الحرب العالمية الأولى إلى مدينة قيصرى في الأناضول ، قام برحلات عدة فزار مصر وسورية ولبنان والأردن وأقطارا أوربية أخرى ، وعهدت إليه حكومة الاحتلال البريطاني بعضوية مجلس المعارف .

**

كتب الأب أنستاس ماري الكرملي مقالاته في أكثر من اثنتين وستين مجلة وصحيفة عربية في القاهرة ، وبغداد ، وبيروت ، والقدس ، والموصل ، والنجف ، وزحلة ، وحريصا ، وصيدا ، وطرابلس ، وحيفا ، وعبية ، فضلا عن استنبول ، وأميركا ، والنمسا ، وباريس ، ولا سيما مجلة Anthropoالتي كانت تصدر في فينا ، ومجلة Marie Immaculé التي تصدر في باريس ، وقد ترجمت أعماله إلى الفرنسية ، والإنجليزية ،

والألمانية ، والروسية ، والإيطالية ، والإسبانية ، والتركية ، ابتداء من مجلة الآثار التي أصدرها عيسى اسكندر المعلوف في العام ١٩١١ في زحلة ، و«الإخاء» التي كان يصدرها سليم قبعين في القاهرة ، ومجلة «الاعتدال» التي كان يصدرها محمد علي البلاغي في العام ١٩٣٣ في النجف ، و«البلاد» التي كان يصدرها روفائيل بطي في بغداد ، و«البيان» التي كان يصدرها إبراهيم اليازجي في العام ١٨٧٩ ، و«الثقافة» التي كان يصدرها أحمد أمين في القاهرة ، و«الجوائب» التي كان يصدرها أحمد فارس الشدياق ، و«الحياة» التي كان يصدرها سليمان الدخيل ، و«الرسالة» التي كان يصدرها أحمد حسن الزيات ، و«الزان» التي كان يصدرها توفيق السمعاني ، و«الزهراء» و«السيدات» ، و«الرجال» ، و«الشرق» ، و«الصفاء» ، و«صوت الحق» ، و«الضياء» ، و«العرب» ، و«الغري» ، و«الفتح» ، و«المباحث» ، و«مجمع المعلمين» ، و«المرشد» ، و«المسرة» ، و«المشرق» ، و«المقتبس» ، و«المقتطف» ، و«المقطم» ، و«منبر الأثير» ، و«المنهل» ، و«النجم» ، و«نشرة الأحد» ، و«الهلال» .

**

لقد نشر جميع مقالاته التي كانت تخرج عن عرف المتدين الكلاسيكي بأسماء مستعارة مثل «ابن الخضرة» ، «ابن العصر» في «المقتبس» ، «أمكح» ، «بطرس» ، «ميخائي» في «الجزويت» ، و«بعيث الخضري» في المشرق ، و«ساتسنا» في الزهور ، و«المسرة» و«المقتبس» و«المقتطف» ، و«عراقي بغدادي» في «المقتطف» ، و«فهر الجابري» في «الزهراء» و«الهلال» ، و«محب الفجر» و«مستفيد» و«مستهل» و«معتدل» و«منتهل» و«نقيب» ، وقد كتب حوالي ١٣٣٠ مقالة في عموم المجلات والصحف العربية والأجنبية .

٦- مؤلفات الأب أنستاس ماري الكرملي المخطوطة والمنشورة

١-نشوء اللغة العربية واكتهالها-المطبعة العصرية-القاهرة
٢-النقود العربية وعلم النميات - طبع في بغداد
٣-الفوز بالمراد في تاريخ بغداد-طبع في بغداد
٤-أغلاط اللغويين الأقدمين-بغداد ١٩٢٣
٥- خلاصة تاريخ العراق-طبع في بغداد
٦-الفوز بالمراد في تاريخ بغداد ، الجزء الثاني - طبع في بغداد أيضا

المؤلفات الخطية الموجودة

١-أديان العرب :

ابتدأ في ٧ شباط ١٨٩٦ ، كتب منه ٣٤٤ صفحة ولم يتمه ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين .

٢-أسرار الموازين والجموع :

ابتدأ به في ٧ شباط ١٨٩٦ ، كتب منه ٧٧٧ صفحة ولم يتمه ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٣-أغاني بغدادية عامية :

جمعها من أفواه الناس ١٨٩٦ وأغلبها من أغاني النصارى ، تقع في ١٤٩ صفحة .

٤-أمثال بغداد والموصل العامية والنصرانية مع حكايات عامية أيضا .

جمعها في العام ١٩٣٢ وهي في ٢١٨ صفحة نسختها الخطية في مكتبة المتحف العراقي .

٥-الأنباء التاريخية :

وهي تعليقات شرع بجمعها في رحلته إلى مصر والشام واستنبول وديار الإفرنج في أول العام ١٩٠٤ ، بعضها بالعربية وبعضها بالفرنسية ، وفيها كلام عن أبناء الرافدين ، وجزيرة العرب في القديم والحديث ، الكتاب في ١٦٠ صفحة ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٦-بدوات الخاطر :

ابتدأ بها في دير المحرقة في جبل الكرمل في ١٩ آذار ١٩٢٥ ، كتب منها ٤٤٤ صفحة ولم تتم ، نسختها الخطية في دير الآباء الكرمليين في بغداد .

٧-تاريخ الكرد

ابتدأ في ٢٥ تموز ١٩١٩ وهو في ١٠٢ صفحة وهذه محتوياته :

١-كردستان ، حدودها ، منظرها ، هواؤها ، نباتها .

٢-الكرد قبل الإسلام : تاريخهم ، اسمهم ، أخبارهم ، تغلبهم ، ملوك بابل الكوسيون ، عناصرهم القومية ، ديانتهم ، شهادات الأقدمين في حق الأكراد الأولين .

٣- الكرد بعد الإسلام : عشائرهم في مختلف الأماكن ، اللغة الكردية وآدابها اللغوية .

٨-تحقيقات عن الكرد

ابتدأ في ٥ شباط ١٨٧٩ ، وهي في ٤١ صفحة وتحتوي على :

-كردستان (١-١٧)

- سليمان باشا أبو ليلى (١٨-٢٢)
- مكري (شعبة من البابان على رأيهم) : نادرة في الشجاعة والبسالة رواها أحد مؤرخي الفرنسيين ممن سمع بالواقعة في العام ١٦٠٥م (ص٢٣-٢٦) .
- اللغة الكردية (٢٦-٤١)

نسختها الخطية في مكتبة المتحف العراقي

٩-تراجم عراقيين عصريين وغيرهم من المشاهير العرب :

ابتدأ في تموز ١٨٧٧ وهي في ١٩١ صفحة من قطع الثمن .

١٠-ثبت الكتب الخطية المحفوظة في خزانة مبعث الآباء الكرمليين ببغداد :

ألفه في العام ١٩٣٦ وهو بثلاثة مجلدات تقع في أكثر من ١٠٠٠ صفحة . وقد وصف به ١٥٠٠ مخطوطة معظمها باللغة العربية ، وفيها شيء باللغتين التركية والفارسية ، نسخته الخطية موجودة في مكتبة المتحف العراقي (المخطوطات رقم ١٤٣٥-١٤٣٧) .

١١-جمهرة اللغات :

وهو كتاب لغوي في موضوع الأبدال لم يطبع ، ابتدأ به في ٧ شباط ١٨٩٧ كتب منه ٣٨٨ ولم يتمه ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

١٢-حشو اللوزينج :

أدرج فيه بحوثا وتعليقات تاريخية ، يتصل أغلبها بتاريخ العراق ، بعضها مكتوب باللغة الفرنسية ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد ، في ٣٣٣ صفحة .

١٣-خواطر علمية ، وسوانح دينية ، ومنثورات أدبية ، ولغوية ، وتاريخية :

ابتدأ به في ١٠ تموز العام ١٨٩٥ وهو في ١٦١ صفحة بعضه بالعربية ، وبعضه بالفرنسية ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

١٤-ديوان التفتاف :

وهو حكايات ملتقطة من أفواه النساء المسلمات ، ولاقطها يعرف عند العرب باسم التفتاف أو المتفتف ، جمعها على لغتها العامية البغدادية وحفظها بثوبها الذي نسجت فيه ، حرصا على تدوين اللغة العامية الإسلامية البغدادية ، ثم جمعها بهذه الصورة في العام ١٩٣٣ ، ويقع الكتاب في ٦٩٤ صفحة منه نسختان خطيتان في مكتبة المتحف العراقي ، وقد حققه وأعده للنشر عامر رشيد السامرائي .

١٥-ديوان شعراء نجد من العوام العصريين :

جمعه من أفواه نجديي بغداد القادمين من ديار نجد ، بين سنة ١٧٩٥ و١٩٠٠ ، وقد شرح بعضه سليمان الدخيل النجدي المتوفى في العام ١٩٤٥ ، نسخته الخطية في مكتبة المتحف العراقي في ٢٥٣ صفحة .

١٦-الرغائب :

ذكر فيه الصيغ والمعاني التي رغب علماء العربية في أن تفرغ اللغة في قالبها ، ابتدأ به في ٧ شباط ١٨٩٧ ، كتب منه ٤٧٢ ولم يتمه ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

١٧-السحائب :

ذكر فيه قوانين اللغة التي أهملها الصرفيون . ابتدأ به في شباط ١٨٩٧ ، كتب منه ٣٥٦ صفحة ، ولم يتمه ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

١٨-الشفاء من داء الإنشاء :

في اللغة . وقد ألفه سنة ١٨٨٣ باسمه القديم المعلم بطرس ميخائيل

الماريني ، نسخته الخطية في خزانة ميخائيل عواد ببغداد (الرقم ٢١١) .

١٩-الشوارد اللغوية في الأشعار البدوية :

جمعه سنة ١٨٨٦ وهو في ٩٩ صفحة ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين .

٢٠-العجائب اللغوية :

حوى بعضا من غرائب الصرف والنحو واللغة ، كتب منه ٥٧٤ صفحة ، ولم يتمه ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٢١-العرب قبل الإسلام :

لم يتمه . نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين .

٢٢-الغرائب :

حوى شيئا من غرائب الصرف والنحو واللغة ، ابتدأ به في ٧ شباط ١٨٩٧ كتب منه ٤٠٨ صفحة ولم يتم ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٢٣-الغرر النواضر والدرر الزوار :

حوى مواضيع لغوية وتاريخية شتى ، ابتدأ به في ٥ شباط ١٨٩٤ قوامه ٦٦٥ صفحة ، نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٢٤-فهرس ديوان الحماسة لأبي تمام :

صنعها سنة ١٨٩٥ وقد حوت أسماء الأشخاص ، نسختها الخطية في مكتبة المتحف العراقي .

٢٥-فوائد الشرائد أو الشوارد :

ابتدأ بها في دير المحرقة في جبل الكرمل ، في ١٩ آذار ١٩٢٥ ، كتب منها ٣٨٠ صفحة ولم تكتمل . نسختها الخطية في دير الآباء

الكرمليين في بغداد .

٢٦-كشكول المحققين من المؤرخين واللغويين

ابتـدأ به في ٧ أيار وهو في ٨٠٠ صـفـحـة ، ٤١١ صـفـحـة منهـا بالفرنسية ، والباقي بالعربية . نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٢٧-اللمع التاريخية والعلمية :

مجلدان ضخمان ألفهما سنة ١٨٩٥-١٩٠٧ ، صحائفهما ٦٨٤ و٨٥٩ ، نسختها الخطية في دير الآباء الكرمليين .

٢٨-متفرقات تاريخية :

وضعها باللغة الفرنسية في ٢٩٨ ، معظمها في تاريخ العراق وأقوامه ، نسختها الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٢٩- مجموعة من الأغاني العامية العراقية :

أتمها في العام ١٩٣٤ ، وقد جمعها من مختلف أنحاء العراق ، قوامها ٣٣١ صفحة ، نسختها الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد ، وقد حققها وأعدها للنشر الأستاذ عامر السامرائي .

٣٠- المجموعة الذهبية :

ضمنها خواطر فلسفية له ، شرع بجمعها في أول كانون الثاني من العام ١٩٨١ ، وهي في ٤٣٤ صفحة ، نسختها الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٣١- مختارات المفيد :

ضمنها مراسلات مختلفة وتحقيقات لغوية ، ابتدأ بها في ٧ أيلول ١٨٩٤ ، وهي في ٤٨٠ صفحة ، بالعربية والفرنسية والإنكليزية ، نسختها الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٣٢- المراسلات المارينية :

فيها ما دونه من مراسلات منذ صغره حتى سفره إلى فرنسا ، نسختها الوحيدة لدى حنا إلياس صرافة ، وقد صارت إليه بعد سقوط بغداد في العام ١٩١٨ .

٣٣- مزارات بغداد وتراجم بعض العلماء :

بدأ بجمعه في العام ١٩١٣ ، أما المزارات فقد كتبها حسبما سمعها من الناس باللغة العامية البغدادية الإسلامية ، وفيها زيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني ، والإمام الأعظم أبي حنيفة ، والإمام موسى الكاظم ، والشيخ معروف الكرخي ، والسيد سلطان علي ، والشيخ عمر السهروردي ، والشيخ محمد الغزالي ، وغيرها ، وأما التراجم فهي ترجمة كل من : الحلاج ، ومحمد بن عبد الوهاب ، ومشاهير علماء نجد ، والكتاب في ٢٠٣ صفحة ، ونسخته الخطية في المتحف العراقي .

٣٤- المعجم :

وعنوانه المساعد ، ابتدأ بتأليفه في العام ١٨٨٣ ، وظل يعمل عليه حتى العام ١٩٤٦ .

٣٥- معجم في موافقة اللغة العربية للغات الشرقية والغربية :

نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٣٦- معين المحقق ومعين المدقق :

جزءان : فقد أولهما في سقوط بغداد في العام ١٩١٧ ، أما الثاني فقد ألفه في العام ١٩٠٨ في ٨٦٢ صفحة ، وهو يتضمن مواضيع لغوية وتاريخية شتى ، ونسخته في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٣٧- النغم الشجي في أغلاط الشيخ إبراهيم اليازجي :

ابتدأ به في شهر كانون الثاني ١٨٩٩ ، وهو في ١١٢ صفحة ، قال في مقدمته إنه قسمه إلى ثلاثة أقسام :

١- أغلاط الشيخ إبراهيم اليازجي في مقالته (لغة الجرائد) .

٢- أغلاطه في نبذته (أغلاط العرب) .

٣- بعض أغلاطه في ما أفتى وانتقد وكتب .

نسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٣٨- اليزيدية :

وضعه في سنة ١٨٩٥ في ١١٠ صفحة ، وقد أدرج كثيرا منه في مجلة المشرق ، ونسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

٣٩- Pensée Spirituelles

وضعه بالفرنسية وهو في ٧٨٣ صفحة ، ونسخته الخطية في دير الآباء الكرمليين ببغداد .

بعض مقالاته المنشورة :

١- عنقاء مغرب في مجلة المشرق في العام ١٨٩٨ .

٢- معنى اسم البرمكي في مجلة المشرق ١٨٩٨ .

٣- الرخ والعنقاء في مجلة المشرق ١٨٩٨ .

٤- الجروج والجروخ في مجلة المشرق ١٨٩٨ .

٥- نظر في بعض المعربات في مجلة المشرق ١٨٩٨ .

٦- الجكير والجقير في مجلة المشرق ١٨٩٨ .

٧- البلمة أو البلامات في مجلة المشرق ، لفظها اللغوي ، أسبابها ، دلائلها ، معالجتها في العام ١٨٩٨ .

٨- الصليب ، تمهيد تعريف أصلهم ، ديانتهم ، طعامهم ، لباسهم ،

أسلحتهم ، عوائدهم ، وأخلاقهم ، سكناهم ، صنائعهم ، حفلة الزواج عندهم ، الطلاق ، دفن الموتى ، مجلة المشرق ١٨٩٨ .

٩- البيطرة عند الأعراب (منقول عن الفرنسية والأصل لحبيب شيحا) في مجلة المشرق ، ١٨٩٨ .

١٠- لفظ الجيم عند العرب في مجلة المشرق ، في العام ١٨٩٨ .

١١- اليزيدية في مجلة المشرق ١٨٩٩ .

١٢- الكام اليونانية في اللغة العربية في مجلة المشرق ١٨٩٩ .

١٣- العقد في مجلة المشرق ١٩٠٠ .

١٤- أوجه الإعراب عند العرب والأعراب ، في مجلة المشرق ١٩٠٠ .

١٥- الصائبة المندائية في مجلة المشرق ١٩٠٠ .

١٦- المقامات النصرانية لابن ماري في مجلة المشرق ١٩٠٠ .

١٧- الآلات الروحانية في مجلة المشرق ١٩٠٠ .

١٨- الرسالة الفتحية في الموسيقى لمحمد بن عبد الحميد اللاذقاني .

١٩- تفكهة الأذهان في تعريف ثلاثة أديان في مجلة المشرق ١٩٠١ .

٢٠- إطلاع الحضر على أطلاع النور في مجلة المشرق ١٩٠٢ .

٢١- السمندل في المشرق ١٩٠٣ .

٢٢- السجنجل في مجلة المشرق ١٩٠٣ .

٢٣- الدليل المبين في أئمة اللغة من الأقدمين والمحدثين ، مجلة المشرق ١٩٠٣ .

٢٤- اللغات واللثغات في مجلة المشرق ١٩٠٣ .

٢٥- دقائق التعريب في مجلة المشرق ١٩٠٣ .

٢٦- الهكسوس وأداة التعريف في العربية في المشرق ١٩٠٤ .

٢٧- الخيل العراب عند العرب والأعراب مجلة المشرق ١٩٠٤ .

٢٨- النبر أو المد والنصر في مجلة المشرق ١٩٠٤ .
٢٩- أصل التنوين عند العرب في مجلة المشرق ١٩٠٥ .
٣٠- اشتقاق اسم الدويدار والدويدارية في مجلة المشرق ١٩٠٥ .
٣١- الملاهي وأدوات الطرب عند الأندلسيين مجلة المقتبس ١٩٠٦ .
٣٢- اشتقاق اسم القرامطة في مجلة المشرق ١٩٠٧ .
٣٣- معنى حلب الشهباء في مجلة المشرق ١٩٠٧ .
٣٤- شعراء النصرانية في الجاهلية في مجلة المقتبس في العام ١٩٠٧ .
٣٥- أصل لفظة كعبة ومكة وكربلاء في المقتبس ١٩٠٧ .
٣٦- خصائص الموازين العربية وأصل نشوئها في مجلة المشرق .
٣٧- الكلمات الأجنبية والعامية في اللغة العربية في مجلة الزه (١٩٠١)
٣٨- مصطلح آلات الطرب وأغاني العرب في مجلة المقتبس ١٩١٠ .
٣٩- البعبع والوعوع والضبغطري في لغة العرب ١٩١١ .
٤٠- نظر في معجم الحيوان في مجلة المقتطف ١٩١١ .
٤١- قصر الأيضر ورأي العلامة الآلوسي في لغة العرب ١٩١٢ .
٤٢- أنواع الأرز المعروف في العراق في لغة العرب ١٩١٢ .
٤٣- الاشتيام أو الاستيام والمتلمظة والمالطة في مجلة المقتبس ١٩١٢ .
٤٤- اللغة العامية توأمة الفصحى في مجلة المقتطف في العام ١٩١٤ .
٤٥- الكتابة في العراق في لغة العرب ١٩١٣ .
٤٦- اليعاسيب في مجلة المقتطف ١٩١٣ .
٤٧- دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة للرصافي في لغة العرب ١٩١٣ .
٤٨- أصل لفظة التمن بمعنى الأرز في لغة العرب ١٩١٤ .
٤٩- فوائد لغوية في لغة العرب ١٩١٤ .

٥٠- مغامز المعاجم العربية في مجلة المقتطف ١٩١٧ .
٥١- اللغة العربية في العراق ولاسيما في بغداد في مجلة دار السلام ١٩١٨ .
٥٢- شيوع أغلاط الكتاب في رسم الكلم في مجلة دار السلام ١٩١٩ .
٥٣- اللكنة التركية في اللغة العراقية في مجلة دار السلام ١٩١٩ .
٥٤- أبواب مدينة بغداد القديمة في مجلة دار السلام ١٩١٩ .
٥٥- مستقبل اللغة العربية والعالم العربي في مجلة الهلال ١٩١٩ .
٥٦- لغة القرود في مجلة دار السلام ١٩٢٠ .
٥٧- دروس المعربات في مجلة المجمع العلمي العربي ١٩٢١ .
٥٨- الألقاب الرومانية عند قدماء العرب في مجلة المجمع العلمي العربي ١٩٢١ .
٥٩- من حلى البغداديات في مجلة المرأة الجديدة ١٩٢٣ .
٦٠- معنى كلمة العراق في لغة العرب ١٩٢٦ .
٦١- أصل علامات التأنيث في لغة العرب ١٩٢٧ .
٦٢- أصل علامات التثنية في لغة العرب ١٩٢٧ .
٦٣- معنى الميم في أول المشتقات والمصادر ومعنى حروف المضارعة وسبب صيغة المجهول في لغة العرب ١٩٢٧ .
٦٤- الأمثال العامية البغدادية في لغة العرب ١٩٢٧ .
٦٥- جاويس شاويش معنى هذه اللفظة واستعمالها قديما في لغة العرب ١٩٢٧ .
٦٦- الروبيضة ومعناها في لغة العرب ١٩٢٨ .
٦٧- فضل العربية على سائر اللغات في لغة العرب ١٩٢٧ .
٦٨- أصل كلمة إبليس في لغة العرب في العام ١٩٢٩ .

٦٩- أداة التعريف في التاريخ في المقتطف ١٩٢٩ .

٧٠- الدواخل والكواسع في العربية في لغة العرب ١٩٣٠ .

٧١- جمع مفعول على مفاعيل في لغة العرب ١٩٣٠ .

٧٢- الألفاظ اليافثية والهندية الأوربية في لغة العرب ١٩٣٠ .

٧٣- الألفاظ النصرانية في لغة العرب ١٩٣٠ .

٧٤- نقد لسان العرب في لغة العرب ١٩٣٠ .

٧٥- معجم أسماء النبات لأحمد عيسى بك في لغة العرب ١٩٣١ .

٧٦- لماذا أرى اللاتينية من العربية في مجلة الهلال ١٩٣٥ .

رسائل المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون
إلى الأدب أنستاس ماري الكرملي

رسائل العام ١٩٠٨
وعددها ١٣ رسالة

الرسالة الأولى[١]
١٤/تموز/ ١٩٠٨

أبتي المبجل وصديقي

سعيت بحثا عنك هذا اليوم ألتقي بك في فندق (فينون) ، لأن

---

(١) هذه هي أول رسالة أرسلها لويس ماسنيون إلى الأب أنستاس ماري الكرملي (طبقا إلى التأريخ الذي تحمله) حيث كان من المفترض أن يرافق الكرملي ماسنيون حتى باريس ، إلا أنه (أي الكرملي) ذهب إلى استنبول ثم إلى إيطاليا ، ومن هناك كتب رسالة إلى محمود شكري الآلوسي بعد ثلاثة أشهر من هذا التاريخ ، هذا نصها :
«سيدي العلامة وسندي الفهامة ، إني والحمد لله رائع في مروج الصحة والعافية ، وأتمنى مثلها لك بل وأحسن منها ، منذ أيام مديدة كان في النية أن أرافق صاحبنا الأديب ماسنيون إلى الفرانسة ، ثم أعود راجعا إلى الوطن إلا أن الأشغال قضت أن أبقى في ديار الغربة مدة أطول ، ولعلي أبقى فيها خمسة أشهر فقط أخرى . .» رسالة مؤرخة في ٢١/أيلول/١٩٠٨ ، انظر أدب الرسائل ، الرسائل المتبادلة بين الآلوسي والكرملي ، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص٢٣١ .
وقد رد عليه محمود شكري الآلوسي برسالة جوابية ، مؤرخة في ١١/تشرين الأول/١٩٠٨ ، تتضمن ما يلي :
«إني أرجو الألطاف الألهية الفوز بالملاقاة عن قريب ، فاستملي ما شاهده في ترحاله ذلك الفاضل الأديب ، وكنت أود من ذلك الجناب تفصيل ما كان من رحلته على سبيل الإطناب ، وبيان ما كان من أمر ماسنيون إلى أن بلغ مأمنه أتم بيان ، ولي أمل أن أتلقى مشافهة وليس الخبر كالعيان» المصدر السابق ص ٢٣٣ .

الأطباء نصحوني بالمغادرة مع أهلي بأسرع وقت ممكن إلى (بريتانية)[1] للراحة التامة .

كان بودي أن ألتقي بك للتنزه ، وأن أريك صناديق بائعي الكتب وهي ملقاة على الأرض ، وأن نزور كنيسة شارتر[2] معا ، وكتاب هويسمان[3] يقودنا .

ستكون إمكانية الحديث باللغة العربية متحققة ، لأن غياب أي مخاطب بغدادي يكلفني الكثير ، أكثر مما تتصور .

كثيرة هي الأشياء التي أطلبها منك ولدي مواضيع عديدة ولا أعلم أين ومتى سألتقي بك ، إن شاء الله .

---

(١) مدينة تاريخية غرب فرنسا ، وهي شبه جزيرة يحيطها بحر المانش من جهة ، والبحر الأطلنطي من الجهة الأخرى .

(٢) كاتدرائية نوتردام ، وهي صرح عظيم على الطراز القوطي ، شيدت في القرن الثامن عشر في مدينة باريس .

(٣) جورج شارل هويسمان ، كاتب فرنسي ، ولد في العام ١٨٤٨ ، وتوفي في العام ١٩٠٧ ، عاش حياة غريبة ومغامرة ، انتهى به الأمر إلى الإيمان الكاثوليكي والتصوف ، من رواياته (داخل العائلة) ، (الاتجاه المعاكس) كان من أتباع المدرسة الانطباعية حيث قدره زولا تقديرا عاليا ، التقى ماسنيون في العام ١٩٠٧ في باريس ، وكان صديقا لوالده ، وقد انعقدت على الفور بينهما علاقة روحية ، وكتب ماسنيون في العام ١٩٥٧ واحدة من أجمل مقالاته عن هويسمان :

«هويسمان هو الذي نقل لي سر الحب الأخوي لرفاق العمل ، وسر مشاركة الخاطئ الذي ارتد إلى الإيمان مشاركته عبر التصوف للآلام أخيه الماضي في ذنوبه ، نقل إلي هذا السر لإعطائه إلى الآخرين) انظر :

Le temoinage de Huysman et l'affairede Van Haeke. Opera Minora, Texetes Recuillis, classe et presentes Par Y. Moubarak, Presses Universitaires de France, 1969, Tom III, P743.

والكتاب المقصود هنا هو كتاب (الكاتدرائية) الذي كتبه هويسمان في العام ١٨٩٨ .

قل لي إن لم يكن المسمى محمد بن سالم الزقاقي اليافائي[١] قد سبب لك الكثير من المتاعب .

تفضل بقبول تحياتي ومشاعري الرقيقة والمخلصة .

لويس ماسنيون

باريس

في ١٩٠٨/٧/١٤

الرسالة الثانية
١٨/تموز/١٩٠٨

الأب أنستاس ماري (من إلياس القديس) الكرملي البغدادي

أوتيل كازيت ، ٢٩

أي ، كازيت باريس

أبتي المبجل وصديقي

اسمح لي أن أعرفك على صديقي المحترم السيد لويس برلن[٢] ، وهو من نوتردام الصليب أيضا ، سوف يطلب منك كتابين باسمي هما (الفهرس ، ودليل المخطوطات العربية . .) وستكون سعيدا بمعرفته .

---

(١) الصوفي البصري ، تلميذ سهل التستري ، نشأ عنه مذهب السالمية الصوفي .

(٢) كتب ماسنيون في هذا اليوم رسالة إلى لويس برلن هذا نصها : « سيدي وصديقي ، كنا وصلنا أنا وأمي وشقيقتي بسلام إلى برتانية لكي أحصل على قليل من الراحة ، فلم أحصل عليها ، ولكني سأحصل عليها كما أعتقد . إن صديقي الأب أنستاس مري من دون سان إيلين ، وهو راعي بعثة بغداد ، يقطن الآن في باريس لعدة أيام في ٩٢/كازيت بفندق يحمل الاسم ذاته ، وسأكون سعيدا لو كنت طلبت منه خدمة يرسلها لي ، كما أنك ستتعرف عليه ، إن مراسلي وصديقي شارل دو فوكو هو الآن في واحات ==

الاسم المستعار Malachie[1] بماذا يجعلني أفكر؟ إنها مسألة غير مطروقة على الإطلاق.

كتبت هذا الصباح إلى الآلوسيين[2] في بغداد، فهما اللذان جعلاني أفكر بالحلاج[3].

== الصحارى (ليباركه الله) سأكتب له هناك كما أظن، ولكني أريد أن أعرف إلى أي نظام ينتمي.

كيف أعرف ذلك؟

ثانيا: صدرت في روما الطبعة الجديدة من (الفهرس) وقد وعدني الأب أن يرسل لي منها نسخة، وهنالك أيضا (دليل المخطوطات العربية والغربية) وهو جد مفيد وممتع نسبة إلى مستعرب مثلي.

احتراماتي وتحياتي لك».

عثرت على هذه الرسالة في مجموعة رسائل الكرملي، وقد وضعها كوركيس عواد مع رسائل ماسنيون إلى الكرملي ظنا منه أنها مرسلة إليه.

(١) لم أهتد إلى هذا الاسم.

(٢) وهما محمود شكري الآلوسي وعلي الآلوسي، كان الأول عالما وأديبا ومؤرخا، ولد في بغداد في العام ١٨٧٥ وتوفي فيها في العام ١٩٢٤، وله مؤلفات كثيرة منها (أمثال العوام في مدينة السلام)، (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب)، طبع في بغداد ١٨٩٦، (تاريخ بغداد) طبع في بيروت ١٩٨١، (المسك الأذفر) طبع في الرياض ١٩٨١، (تاريخ مساجد بغداد وآثارها) طبع في العام ١٩٢٧، (تاريخ نجد) طبع في العام ١٩٢٥، ولديه الكثير من التراجم والرسائل مثل ترجمته لسليمان بك، وترجمة الملا قاسم، وترجمة الأصمعي، ورسالته الشهيرة بالرد على رسالة المطران إيليا، والآخر هو علي بن علاء الدين بن نعمان بن محمود الآلوسي، وهو قاض فاضل، ولد في العام ١٨٦٥ في بغداد، وتوفي في العام ١٩٢٢، كان صديقا حميما لماسنيون فهو الذي كفله ورعاه عند الحكم عليه بالموت من قبل السلطات العثمانية في العام ١٩٠٨.

(٣) الحسين بن منصور الحلاج البيضاوي (٨٥٨-٩٢٢) ولد في الطور قرب البيضاء (فارس) وهو عالم صوفي، قضى سنوات خلوته مع التستري والجنيد، ثم طاف في البلدان داعيا إلى الزهد، اتهم بالزندقة والقول بالحلول، فحكم عليه وسجن ثمان سنوات في ==

وإليهما يرجع الفضل بمعرفتي للحقيقة . . . إنها الحقيقة .

أيمكنك أن تذهب إلى كنيسة سان برو الإيفانجيلية[١]؟ إنها أكثر الكنائس في باريس شبابا ، تقع في مونمارتر ، وهي عزيزة علينا لأن البراويز السفلية للمحراب وللأعمدة والأروقة كان قد نحتها والدي[٢] .

شكرا على إجابتك السريعة على رسالتي في الرابع عشر من تموز ، وبالله التوفيق[٣] أليس كذلك ، إني أطمح إلى الراحة هنا مع والدتي ، ذلك لأن الريف جد لذيذ . . .وأخضر بالكامل ، يذكر بلبنان الذي رأيناه معا ، والبحر بزرقته الهانئة أكثر صفاء من البحر المتوسط ، إنه المحيط بعينه ، المحيط الحقيقي .

لا تغادر قبل الحادي والثلاثين من تموز .

= بغداد ، ثم عذب وصلب وأحرق وذر رماده في دجلة ، أنشئت الحلاج مذهبا في الفقه وعلم الكلام والتصوف ، وثار حوله الجدل : فقدسه البعض وكفره غيرهم ، وتعد دراسة ماسنيون عنه (وجد الحرج) فتحا في الدراسات الشرقية والغربية عن التصوف :

La passion d'al-Hallaj, martyr mystique de l'Islam,Par Lois Massignon, Paris, 1922.

(١) كنيسة تقع في مونمارتر ، في قلب باريس ، أنشأت في القرن التاسع عشر الميلادي .

(٢) والد ماسنيون هو بيير روش (١٨٥٥-١٩٢٤) كان رساما ونحاتا ، عمل تحت إشراف النحات جل دالو ، ومن أعماله تمثال البرونز المعروف باسم الجهد المنصوب في اللوكسمبورغ ، وصرح هنري فوكيه في مقبرة باسي ، وقد اشتهر بالمنحوتات النصفية ، ومن بينها التمثال النصفي لكارل جوريس هويسمان ، وقام في ١٨٩١ بابتكار نوع من الجبسوغرافيا ، وهي الخطوط الجصية المزركشة بالألوان وقد جمع فيها عبر أسلوب جديد يتميز بخطوطه المحددة بين حياة الزهور والحشرات وحكايات فرنسا الشعبية وفق المنهج الفني الياباني .

(٣) عبارة وردت بالعربية .

سأعود إلى باريس هذا اليوم ، وسوف نمضي بعض الأيام معا .
والسلام
إن شاء الله[١] .

قصر الحبر
مدينة إيفيك
لويس ماسنيون
١٩٠٨/٧/١٨

الرسالة الثالثة
٢٢/تموز/ ١٩٠٨

لافيك-إيفيك
بروديك
الجانب الشمالي
(أود أن ترسل لي البطاقة المرفقة بهذه الرسالة إلى الأب بيير[٢] من فضلك)

أبتي المبجل وصديقي

إني مسرور وأنا أراك قد تأكدت من الانطباع الذي تركته لديك نصوص ملاشي الزائف ، إنه لأمر مثير للفضول حقا ، كنت أفكر بالنص الإنجيلي الذي اقتبسته منه .

أرجو أن لا تظن بأني أنتمي إلى هذا الجنس الأدبي الذي يطلق عليه

(١) عبارة وردت بالعربية .
(٢) أحد الآباء الكرمليين في بغداد .

بالأدب النبوءي ، إنه يسليني ، بيد أني لست مولعا به ، وهو أمر يحصل بالضرورة .

إن أمر الكاتدرائية لا يستحق نقاش مؤلفها ، ولكن كاتدرائية (القديس لدونيس) ربما تعجبك أكثر .

أمي تتوسلني[(١)] أن أرسل إليك دعوة موجهة منها لقضاء بضعة أيام معنا هنا .

سنكون سعداء لرؤيتك مرة أخرى ، أنت تعرف جيدا هذا الأمر–وأنت تدرك جيدا أن فترة قصيرة من الإقامة معنا لن تلقي في قلبك الروع!

إني أقترح عليك أن تأتي هنا في الخامس والعشرين من تموز ، ثم تعود معي إلى باريس حيث ينبغي أن أصلها بين الثلاثين والواحد من الثلاثين من تموز .

(باريس/ محطة مونبارناس– قطار الساعة التاسعة صباحا ،

الذاهب إلى السان برنيه (خط بريست) يصل في الساعة الرابعة والربع–

ومن ثم تستقل الترامواي المتوجه إلى السان بريست/ بعد ذلك إلى بورديك)

---

(١) هنالك مراسلات كثيرة بين والدة ماسنيون والأب أنستاس ماري الكرملي ، تدور حول الجانب الروحي والديني لماسنيون ، وجدناها مع الرسائل التي بعثها ماسنيون إلى الأب الكرملي ، وتؤكد والدة ماسنيون فيها على أن الأب هو السبب في تحول ابنها الروحي ، وهو الذي أنقذ روحه من المعصية والخطيئة ، وكانت تنوب عن ماسنيون في الرد على رسائل الكرملي في غياب ماسنيون الطويل ، ولاسيما أثناء الحرب ، ولدي أكثر من عشرين رسالة مرسلة إلى الأب الكرملي ، سننشرها فيما بعد .

سنعتمد عليك

أليس كذلك؟

تقبل عواطفي واحتراماتي القلبية

لويسماسنيون

دار الحبر[١]

في

٢٢/٧//١٩٠٨

الرسالة الرابعة
١/آب/١٩٠٨

لافيك إيفيك

الجانب الشمالي

أبتي المبجل وصديقي

من شهرين وأنا أود أن أقول لك بأن المادموزيل هرميني روسيليون ستأتي لترد لك الزيارة (زيارتنا لها معا في شارع فيرو) .

ستصل غدا صباحا قبل الساعة السابعة وسأكون مسرورا أن تراك .

استلمت بطاقتين من الأب بيير ، واستلمت مخطوطتين من الآلوسي وعيسى أفندي قديس[١] بغداد .

---

(١) وردت هذه العبارة بالعربية .

(٢) أحد الآباء الكرمليين في بغداد .

إن وساطة الجرجاني[١] تحت تصرفك إن أردت أن أعيرك إياها .

يشيرون علي في الوقت ذاته إلى مخطوطة جديدة عن الحلاج ، أليست هي صلة العريب[٢] أظن ذلك ، إنهم ينسخونها الآن ، وهي تعود إلى الشيخ سعيد[٣] .

عليك أن لا تنسى المخطوطات البغدادية ، ولا مخطوطاتي ، أليس كذلك؟

تقبل احتراماتي

لويس ماسنيون

لافيك إيفيك

١٩٠٨/٨/١

سأغادر غدا صباحا

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه في نقد شعره ، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد العزيز الجرجاني ، المتوفى سنة ٣٩٢ .

(٢) العبارة وردت بالعربية ومن المرجح أنها صلة تاريخ الطبري لعريب القرطبي .

(٣) الشيخ سعيد البغدادي توفي في بغداد في ١٢ نيسان من العام ١٩٤٤ ، ولديه مؤلف (الألفاظ العامية البغدادية) وقد ساعده في تأليفه محمود شكري الألوسي ، راجع ترجمته في أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث لمير بصري المطبوع في بغداد في العام ١٩٧١ ، ص٧٨ . وهنالك ترجمة بقلم عباس العزاوي في صحيفة البلاد البغدادية في ٣١/أيار من العام ١٩٤٤ .

من المرجح أن ماسنيون تعرف على الشيخ سعيد بوساطة محمود شكري الألوسي الذي كان صديقا للشيخ سعيد .

الرسالة الخامسة
١٢/آب/١٩٠٨

لافيك إيفيك
الجانب الشمالي

أبتي المبجل وصديقي
أشكرك جزيل الشكر على البطاقة التي أرسلتها في ذكرى فلوريت[١] ، كان بودي أن أكتب لك منذ عدة أيام .
كان بودي ، وكان بإمكاني أن أفعل ذلك لو لم أنشغل بسفر إلى كوبنهاغن[٢] ، سأصل إليها غدا مساء إن شاء الله[*] .
لقد أتعبت نفسي - ذلك بعادة التأجيل المتكرر - هناك أيام كنت أتحسر فيها على اللامبالاة التي كنت أمضيها في الزمن السالف . .
إني لا أعرف كيف يمكنني أن أرتاح ، ولا سيما وأنا أحس بعدم جدواي .

---

(١) كنيسة تعود إلى القرن الرابع عشر ، تقع في باريس .
(٢) ينوه ماسنيون إلى سفره واشتراكه بمؤتمر المستشرقين في كوبنهاغن ، وهو المؤتمر الخامس عشر الذي انعقد في أوربا ، وقد قرأ فيه تقريرا عن رحلته إلى بلاد الرافدين ، تحت عنوان (قصر الأخيضر) :
Le chateau d'al-Okhaider-Acad. Des IBL, CR. Des séance de Lannee 1909, Paris, Picard.
ويعد هذا المؤتمر من أهم المؤتمرات التي شارك فيها أغلب المستشرقين المعروفين آنذاك مثل غولدتسيهر ، وآل ماسبيرو ، وقد شارك ماسنيون قبل هذا التاريخ في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد في نيسان من العام ١٩٠٥ .
(*) العبارة وردت بالعربية .

سوف نتحدث عنك في كوبنهاغن ، لا تنسَ أن ترسل لي أخبارك أليس كذلك ؟

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته[*] .

نصلي معك

لويس ماسنيون

باريس

١٩٠٨/٨/١٢

الرسالة السادسة
١١/أيلول/١٩٠٨

لافيك إيفيك-

الجانب الشمالي

أبتي المبجل وصديقي

كتبت إلى السيد نو

أشكرك على رسالتك التي بعثتها لي .

فيما يخص القديسة تيريز[١] والطفل المسيح والقديسة فار ، فإني أشير إلى الاهتمام الذي كنت أوليه إياها ، وما زلت أوليه لها ، إنه شكر

(*) العبارة وردت بالعربية .

(١) تيريز مارتن الكرملية الفرنسية ، ولدت في العام ١٨٧٣ ، وتوفيت في العام ١٨٩٧ ، دخلت الكرمل في العام ١٨٨٨ ، وقد عرفت بقداستها وموتها المبكر ، لها (تأريخ الروح) ومذكراتها التي صدرت في العام ١٨٩٧ ، يعد قبرها مزارا في ليزو ، عيدها في الأول من أكتوبر .

أدين به ، وأدين للصداقة التي حملتها لي وللعطف الذي أكسبتني إياه .

ينبغي علي أن أصمت في هذه المناسبة ، وذلك بسبب نزقي الأسلوبي والفن ، وينبغي علي أن أصلي بكل بساطة معك ، أنا في الواقع أحب نظمك للشعر وأحب فصاحتك ، وأدين لك بهذه القطعة المطبوعة ، وإن بدت لي ساذجة وتتسم بعبث طفولي ، فإن كنت تحب ما هو مصنوع بيد صانع على حجر الزاوية ، فأنا أستميحك عذرا على هذا التحفظ الذي أحمله أزاءك هنا . هذه أشجار الكمثرى تحصن الأرواح النقية . .بيد أنها تبدو للذي يحيا في العالم مثل فيض عادي للقلب ، شيء مثل رسالة مكتوبة على عجالة ، إذ تبدو كلماتها غير موزونة .

هناك كلمات هذه القديسة الشابة التي أقلقتني ، أو إنه التأويل الخاطئ الذي يمكن للبعض أن يستخلصه منها . (تذكر الأم القديسة تيريز ١٨٩٤) .

إنه حلمٌ حلمَ به المتنبي[١] ، وقد حققته أناشيد آدم للقديس فكتوار[٢] ، أو اللغة العالمية التي يدعو لها توما الأكويني[٣] .

---

(١) أبو الطيب أحمد المتنبي (٩١٥-٩٦٥) ولد في محلة (كندة) من الكوفة ، وقتل أثناء عودته من (فارس) إلى (بغداد) ، شاعر عاش وتربى في العراق ، امتدح سيف الدولة ثم كافورا ثم عضد الدولة البويهي ، ادعى النبوة في صغره (وهذا ما ينوه به ماسنيون هنا) .

(٢) وهو القديس فكتوار الأول الذي توفي في العام ١٩٩ ميلادية ، ويصادف عيده في الثامن والعشرين من تموز .

(٣) القديس الثيولوجي والفيلسوف الإيطالي ، اعتنق المذهب الدومنيكاني في العام ١٢٤٠ ميلادية ، ودرس فيدير مونكاسان في نابولي (حيث تعرف على الفلسفة العربية) ثم درس في كولونيا ، وكان تلميذا للقديس البرت العظيم العالم الثيولوجي ، ثم درس في جامعة باريس في العام ١٢٥٢ ، تعد فلسفته المحاولة الفلسفية المكتملة في العصور الوسطى في إطار التفكير المسيحي ، وقد أسس العلوم الإلهية مستخدما كل =

وقد تقول لي إن هذا العمل من باب تفضيل الأناشيد الشعبية ، نعم أنا مغرم جدا بالطقوس الجامعة ، وإني لأحذر دائما من التفاني الذي ينصاع إلى النصوص الطقسية في صلواتها باللغة العادية ، أو ليس بهذا ضرر!

وبعد . سأكون جد مسرور إن أنت لم تحقد علي وترسل لي حياة هذه القديسة الشابة المكتوبة بيدها ، إن لم أكن أعرف قراءتها بعيون ساذجة ، فاعلم إن أمي سيكون بإمكانها أن تفعل ذلك وهي جالسة قربي .

شكرا على الموعظة في الثالث والعشرين من تموز ، فقد استلمتها مسبقا من إيبيرين .

لا تنس بهذا الخصوص أن تقدم لهم هناك عندما تكتب لهم عن خالص تحياتي وأعمق احتراماتي ، فإن كنت عثرت على حياتي في الصلاة فأنا أدين لهم بذلك ، ولن أنسى لهم هذا الأمر .

لقد استلمت رسالة من السيد رونيه[١] في بغداد ، إن التقارير والحاجات المختومة هي هنا في باريس ، ونعتقد -أنا ووالدي- أن هذه القضية قد سويت تماما .

اسمح لي بهذا الخصوص أن أشكرك عميق الشكر وأن أعبر لك عن التعاطف والثقة التي أوليتني إياها ، إنه الخير الذي منح إلينا جميعا .

= إمكانيات الجدل والأسكولائية الفلسفية ، محاولا الموائمة بين العقل والإيمان ، والمعتقد المسيحي والنظرية الأرسطية متأثرا بالفلسفة العربية وبابن الرشد ، وقد خلق نوعا من المصالحة بين العلوم الإلهية والعلوم الفلسفية .

(١) قنصل في المفوضية الفرنسية في بغداد ، توفي في العام ١٩١٤ ، كان صديقا لماسنيون والأب الكرملي ، وقد أسهم في إطلاق سراح ماسنيون أثناء القبض عليه في العام ١٩٠٨ .

إن الخير يولد الخير ، إنه الخصب الوحيد ، ماذا أقول بعد كل هذا؟

بعد المطر هنالك قوس قزح ، كما يقول الشاعر آدم أودسن مكوسيه (مختارات تمهيدية)[1] المطر يأتي بعد قوس قزح والليل بعد الضياء ، إن العيون التي رأت الضياء ، ضياء الحقيقة تبقى مخلصة لذكراه ، هناك في سورة النور مقطع غريب للغاية ، أغرم به الصوفيون :

«الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة في مصباح ، والمصباح في زجاجة ، كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ، لو لم تمسسه نار نور على نور ، يهدي لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شيء عليم . .»[2] .

الحاج علي الآلوسي كان متأثرا بها كثيرا ، وحدثني عنها ، كان

---

(١) أشهر شاعر بولوني ، ولد في العام ١٧٩٨ في بيرا ، وتوفي في استنبول في العام ١٨٥٥ ، أسس جمعية سرية للطلاب هدفها الرئيس نشر أفكار وطنية ضد الاضطهاد القيصري ، درس في مدرسة كوفنو في العام ١٨١٩ ، كتب قصيدته الأولى (أغنية الشباب) في العام ١٨٢٠ ، أصبح رائدا للمدرسة الرومانتيكية في بولونيا بعد أن أصدر مجموعته (أشعار) ١٨٢٢ ، التي تضم أغاني وحكايات وقطعا أخرى غنائية .
وقد كتب قصائد تاريخية كبيرة ذات طابع فنطازي مثل (عيد الأموات) ، (قصائد لها) وقد كانت تأملاته الروحية مثار إعجاب معاصريه ، تعرف على غوته في فايمر ورحل إلى سويسرا وإيطاليا ثم استقر في باريس في العام ١٨٣٢ ، حيث أصبح الأب الروحي للمهاجرين البولونيين في فرنسا بعد أن كتب ديوانه الشهير (ملاحظات تمهيدية) ، وبعد ذلك درس الأدب السلافي في فرنسا في العام ١٨٤٠ ، وبعد عام عاد إلى استنبول ليواصل نضاله ضد روسيا لتحرير بلاده ، فأصيب بمرض الكوليرا ، ثم مات هناك ونقل جثمانه إلى باريس ، ودفن في بورديل .

(٢) قرآن كريم ، سورة النور ، الآية ٣٤ . ووردت الآية بالعربية في رسالة ماسنيون .

بإمكاننا أن نرى شجرة الصليب من خلال ترجمة الآية من الرسالة الثانية لبطرس الرسول التي تستحق القراءة .

اكتب لي عن أخبارك ما أكتبه عن الحلاج يسير حثيثا .

قلبي معك

لويس ماسنيون

١٩٠٨/٩/١١

الرسالة السابعة
١٥/أيلول/١٩٠٨

بروديك - الجانب الشمالي

أبتي المبجل وصديقي

علمت بمشروع سفرك إلى استنبول ، آمل أن يكون بمستطاعك أن تنجز عملا كبيرا في مكتباتها .

لقد ارتكبت خطأ في إحالة سورة النور ، إن المقطع الذي أشرت إليه في الرسالة الثانية من رسائل بطرس الرسول لا علاقة له بسورة النور ، إن النص الوحيد في الأناجيل المختلفة الذي يقترب من سورة النور هو صلاة الستة التي تطلب من الملائكة حارسة عدن زيتا من شجرة الرحمة لدهن جسد آدم .

لا تنس كتابي عن الحلاج ، سوف أرسل لك نسخة من أدلتي عن مسيحيته ، إن كان بإمكانك أن تصوغها لي بعربية جيدة ، وأن تنشر عنه مقالة لي بخطك في مجلة المشرق[١] ، سأكون سعيدا بذلك .

---

(١) مجلة علمية أدبية فنية ، أسسها الأب لويس شيخو اليسوعي في بيروت ، في العام ١٨٩٨ .

ألم أقنع الأب شيخو[١] بذلك؟

إني أعيش حياتي في اللحظة الحاضرة طبقا لما تمنحني إياه الرحمة ، وأسعى لقبولها .

إن التلف القديم للزمن الذي ينفلت من الأيادي القابضة عليه ، قد وجدته في ظهور القانون الأبدي وانتظاره ، والذي أصبح شيئا فشيئا مثل حمى تحت تأثير بشائر الخلود التي تمنحنا إياه قرابين الكنيسة منذ تأسيسها .

إن الكنيسة لكاملة (مثله) طالما أن حجرها لا يتزعزع ، والعبادة أبدية ، والقربان المقدس أبدي لا يتوقف ، وإن الإعلاء البطيء للكنيسة مع الأزمان يدعو إلى الشعور بالحبلى المنغلقة على الأبدية ، جماعة طائفة القديسين ، بيد أن الانتظار يبقى مع أولئك الذين عليهم الدخول ، إنهم غير موجودين وتبقى باب الزمن مفتوحة قليلا حيث ما تزال تتسرب منها الأهواء .

والسلام عليكم ورحمته وبركاته(*)

صديقك المخلص

لويس ماسنيون

١٥/أيلول/ ١٩٠٨

---

(١) لويس شيخو ١٨٥٩-١٩٢٧ ، ولد في ماردين وتوفي في بيروت ، مؤسس مجلة المشرق والمكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف ، انصرف إلى درس وإحياء الآداب العربية قديمها وحديثها ، فكان من العاملين بنشاط مستمر في ازدهار اللغة ونشر كنوزها ، أشهر مؤلفاته (مجاني الأدب في حدائق العرب) ، (شعراء النصرانية) ، (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية) فضلا عن ٥٢ مجلدا من مجلة المشرق التي كان يحرر قسما لا يستهان به منها حتى وفاته .

(*) عبارة وردت بالعربية .

الرسالة الثامنة
٢١/أيلول/١٩٠٨

لافيك إيفيك
بروديك-الجانب الشمالي

أبتي المبجل وصديقي
(لم أنشر شيئا عن اليزيدية[١])
هذا ما كتبه لي السيد نو[٢]

(١) إحدى الطوائف الدينية في العراق تعبد الشيطان ، وقد اختلفت الآراء في أصولها ، يرجح بعض المستشرقين أصولها إلى الآرية ، والبعض الآخر يرى أنها فرقة إسلامية ارتدت بعد مقتل الإمام الحسين (ع) فعبدت الشيطان خوفا منه لأنه يقود إلى الغواية ، تسكن هذه الطائفة شمالي العراق ، ولا سيما في منطقة سنجار ، وقد اهتم المستشرقون الفرنسيون والألمان بهم كثيرا ، وصدرت العديد من الدراسات عنهم ، وعن معتقداتهم وأصولهم ، انظر تفاصيل ذلك في كتاب(اليزيدية حاضرهم وماضيهم) للسيد عبد الرزاق الحسني ، طبع في مطبعة العرفان ، بيروت ، في العام ١٩٥١ .

(٢) فيردناند نو أو الأب نو (١٨٦٤-١٩٣١) مستشرق فرنسي كبير ، من أساتذة المعهد الكاثوليكي في باريس ، من آثاره (عرب النصارى في آسيا الوسطى وسوريا في القرن السابع) ، (ارتقاء الروح لابن العبري) ، في العام ١٩٨٨ ، (فهرس المخطوطات للأب بولص سباط) ، (الشيخ عادي زعيم اليزيديين) ، ومجموعة وثائق عن اليزيديين أصدرها في كتاب هام في العام ١٩١٨ ، في باريس ، تحت عنوان (جامع نصوص ووثائق عن اليزيدية) .

F. nou, Recuiel de texts de documents sur les yezidis. Paris, 1918

أصدر السيد شابو[١] الصحيفة الآسيوية Journal Asietique[٢] في كانون الثاني-شباط من العام ١٨٩٦، وهي المجموعة التاسعة، الجزء السابع، الصفحة ١٠٣.

إن بطاقة تسجيل السري النباتي[٣] تحمل الرقم الآتي (٣٠٦-١١٧-١٢١)إن رغبت يمكنني أن أحصل لك عليها من ليريس-السحبة الجديدة للمجلة.

أكتب لك هذه السطور القليلة على عجالة، وأرجئ إلى يوم قريب متعة الكتابة إليك، وبرأس مرتاح.

أظن أن فكري يتبعك بإخلاص هناك.

صديقك المخلص

لويس ماسنيون

الاثنين

١٩٠٨/٩/٢١

وصلت هذه الرسالة في ٢٥/ في بيرا استنبول[٤]

---

(١) باتيست شابو (١٨٦٠-١٩٤٨) المستشرق الفرنسي الذي أصدر مؤلفات عديدة في تأريخ الشرق المسيحي والآداب المسيحية العربية منها (تاريخ مار جليح الثالث) (علاقات المغول مع أوربا) صدر في باريس في العام ١٨٩٥، (مدرسة حران الفلسفية) صدر في العام ١٨٩٦، (الأدب السرياني) صدر في العام ١٩٢٧.

(٢) منشور مهتم بالدراسات الآثارية والدينية والسوسيولوجية الشرقية، صدر في باريس في العام ١٨٩٦، ويعد واحدا من أهم المنشورات المهتمة بالتراث الشرقي ولا سيما الإسلامي، وقد نشر فيه أهم المستشرقين في العالم.

(٣) لم أهتد إلى هذا الاسم.

(٤) ملاحظة كتبها الأب أنستاس الكرملي بالفرنسية أسفل الرسالة.

الرسالة التاسعة
٢٢/تشرين الأول/١٩٠٨

أبتي المبجل وصديقي

ها هو البرد يمسك فجأة بباريس ، إذ عدنا توا إليها ، أتمنى أن تكون استنبول أكثر عذوبة نسبة لك .

أنت تعلم جيدا أن أبحاثك الببلوغرافية هناك تهمني كثيرا ، ما أتمناه حقا هو أن لا تحرمني طويلا من أخبارك .

الحاج علي الآلوسي يكتب لي بانتظام رسائل في غاية الحميمية والطيبة ، كما أنها إسلامية جدا .

سأصاب بالدهشة لو عرفت أنك تعرفت على الكرملية العربية الأخت ماري الجزويت (١٨٤٦-١٨٧٩) والتي توفيت في بيت لحم .

لقد قرأت عنها أشياء مدهشة .

مدني بأخبارك وأخبار بغداد ، فلا أخبار لي منها سوى ما يمدني به آل الآلوسي .

أرفقت لك صورة الصليب الذي وضعته على الشاطئ الصخري لروسيتا على شرف نوتردام (فرجيني لكنتوس ، بولص دو كليمو١١٧) (٢٨ تموز ١٣٤٨) (١٣٨٧) (١٣٩١) الحج الشهير في فرنسا في زمن الحروب الصليبية . . إنه نص مستوحى من ثلاثة فرسان للقديس جون قتلوا في عسقلان[١] ، في العام ١١٣١ .

أفكر بالكتابة قريبا إلى القديس السابق في كنيسة العذراء في بغداد

---

(١) عسقلان إحدى مدن فلسطين الكبرى قديما ، كانت موقعا عسكريا في الحروب الصليبية .

(طبقا إلى ما أشرت علي به) .

ينشر أحد المحاربين هذه الأيام ملاحظة حول اليزيدية ، وهي رؤية ملك طاووس لمكة[1] ، المكتوبة من قبل الشيخ عادي[2] ، في مجلة العالم الإسلامي في آب ١٩٠٨ ، من الصفحة ٥٨١ إلى الصفحة ٦٣١ .

نسبة إلى كلمة Meisont فإني لا أعتقد البتة أن هذه الملاحظة تطلعك على شيء مهم . . أتريدها .

لويس ماسنيون

الخميس

١٩٠٨/١٠/٢٢

---

(١) يرى اليزيديون أن الكون وجد من قوتين هما الخير والشر ، فالله هو الخير وقد تغلبت على قوة الشر (الشيطان) ، فطردته من سلطان الملكوت ، وهنا يظهر الشيطان في نظر اليزيدية بصورة ملاك ساقط قديم ، أعيد بعد سقوطه ، وهو خالق الشر ومسببه ، ولهذا يتحاشى اليزيديون ذكر اسمه ويطبقون عليه حكاية آدم والحية والطاووس في التوراة ، ويروون أنه هو الطاووس الذي طرد من الجنة ، انظر كتاب (الجلوة ومصحف رش في عقائد اليزيدية) ، نشرها ماكسمليان بتنر (معجم المطبوعات العربية والمعربة) القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٥٢٧ .

(٢) وهو الشيخ عادي بن مسافر الأموي (ت ١١٦٢/٥٥٧) متصوف كبير أسس الطريقة العدوية ، ولد في لبنان ، وانقطع للعبادة في زاوية قرب الموصل ، غالى فيه أتباعه الذين أضحوا اليزيديين ، ينسب إليه كتاب (الجلوة ومصحف رش) ، وهما كتابان مكتوبان باللغة الكردية ، ومن الكتب المقدسة عند اليزيديين ، ويطلق عليه العوام شيخ عادي ، ويصوره التاريخ زاهدا منقطعا في الأماكن المنعزلة .

انظر في تفصيل حياته(وفيات الأعيان للقاضي أحمد بن خلكان) (ت١٢٨٣/٦٨١) الجزء الأول ، بولاق ١٢٣٨ هجرية ، ص ٤٤٨-٤٤٩ .

(فوات الوفيات) لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤-١٢٨٢) الجزء الأول ، بولاق ١٢٣٨ هجرية ، ص١٢٤ .

الرسالة العاشرة
٢٤/تشرين الأول/١٩٠٨

أبتي المبجل وصديقي

لا أعلم كيف أشكرك على نسخ المخطوطة التي تتناول الحسين بن منصور الحلاج .

لمن تعود هذه المخطوطة؟

إن كان بإمكانك أن تضع يدك على أخبار الحلاج[١] أو على مقابر بغداد[٢] ، لتاج الدين البغدادي ، ابن الساعي المتوفى (٦٧٤-١٢٧٤م)[٣]

== (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) لأبي الفلاح عبد الحي ابن عماد الحنبلي (ت١٠٨٩/١٦٧٨) الجزء الخامس ، القاهرة ١٣٥١ هجرية ، ص٢٢٩-٢٣٠ .

(الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) ، لابن الفوطي (٧٢٣/١٣٢٣) الجزء الأل ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١ هجرية ، ص ٢٧١-٢٧٢ .

Sheikh Adi, Sir Austin Henry Layard, Nineveh and its Remains Vol I Newyork 1849, P137

Sheikh Adi, sanctuaire des adorateurs du diable, Moines et monasteres de proch-orient, Paris, 1958, p 252-266

(١) (أخبار الحلاج) للشيخ تاج الدين بن أنجب البغدادي (ابن الساعي) المتوفى ٤٧٦ ، وقد نشر ماسنيون وبول كراوس هذا الكتاب في القاهرة في العام ١٩٢٦ .

(٢) يقصد كتاب (المقابر المشهورة والمشاهد المزورة) للشيخ تاج الدين بن أنجب البغدادي .

(٣) ابن الساعي هو تاج الدين علي بن أنجب البغدادي خازن الكتب للمستنصر العباسي ، وهو فقيه ومحدث ومؤرخ وأديب وشاعر ، له (الجامع المختصر وتاريخ عيون السير) الذي طبع في بغداد في العام ١٩٣٤ ، و(أخبار الحلاج) الذي أصدره ماسنيون وكراوس في القاهرة ، في العام ١٩٢٦ .

والتي كان قرأها حاجي خليفة في استنبول[1] ، سيكون أمرا لا يقدر بثمن .

أوحد صلواتي إلى صلوات أهلك في عيد القديس روفائيل الأرشيدوق[2] ، ورحمة القديس أريدوس[3] (حارث ورفاقه الثلاثمائة والأربعين ، شهداء نجران العرب في اليمن) .

لنبق موحدين بالصلاة في القلب الأقدس .

المخلص لك

لويس ماسنيون

١٩٠٨/١٠/٢٤

---

(١) مصطفى بن عبد الله أو كاتب جلبي ١٦٠٨-١٦٥٨ كاتب تركي موسوعي ، ولد في استنبول ، عين في وظيفة الخليفة أي المساعد في إدارة المالية ومن هنا لقبه ، له (كشف الظنون في أساس الكتبة والفنون) وهو معجم بأسماء المؤلفات العربية ، ذكر فيه نحو أربعة آلاف وخمسمائة كتاب وأحوال مؤلفيها .

(٢) رئيس الملائكة ، شخصية توراتية من الكتاب المقدس في سفر طوبيا ، حيث يظهر بهيئة ملاك طيب يقف أمام الله بين ستة ملائكة ، عيده في يوم ٢٩ من تشرين الثاني .

(٣) أريدوس ، حارث ، قديس شهيد أحرقه الملك اليهودي ذو نواس في العام ٥٢٣م ، مع رفقائه في نجران ، وقد سماهم القرآن بأصحاب الإخدود ، كما في سورة البروج (قتل أصحاب الأخدود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

الرسالة الحادية عشرة

١٩/تشرين الثاني/١٩٠٨

وصلت هذه الرسالة في بيروت في ٢٥ تشرين الثاني[(١)]

١٩

شارع لانفير يتر

أبتي المبجل وصديقي

سأرسل لك الأربعة وستين فرنكا ، مبلغ الإرسالية التي وصلتني ، وأنا أشكرك بحرارة .

لقد حصلت قبل فترة وجيزة على كتاب (archivedrite)[(٢)] اليوناني ، مانشيت القديس جوليان الذي صدر في باريس ، وهذا سيسمح لي بأن أشكره .

إن مررت يوما بعانة[(٣)] فتلطف علي بجميل هو أن ترسل لي بوساطة صديقك الغشاش ، إن سمحت طبعا عشرة قمصان من تلك القمصان القطنية العادية الخالية من الزخرفة .

تقبل تحياتي واحتراماتي

لويس ماسنيون

١٩٠٨/١١/١٩

---

(١) ملاحظة وردت بالفرنسية بخط الأب الكرملي

(٢) كتاب الطقوس المسيحية .

(٣) مدينة صغيرة غربي العراق ، في محافظة الرمادي ، لها ناحيتان القائم وراوة ، ورد ذكرها منذ العهد الآشوري ، عرفت قديما بعانات ، تقع على نهر الفرات ، تشتهر بنخيلها ونواعيرها ، وتقع على الطريق إلى سوريا ، ومن الواضح أن ماسنيون بعد إطلاق سراحه مر بهذه المدينة إلى سوريا ، ومن هناك اشترى مجموعة من القمصان القطنية غير المزخرفة ظل يطلبها فترة طويلة وهي موضوع لرسائل عديدة .

الرسالة الثانية عشرة
٩/كانون الثاني/ ١٩٠٨

استلمت هذه الرسالة في حيفا ٢٠ كانون الأول[١]

أبتي المبجل وصديقي

لن أنسى -طالما بودك أن أفعل هذا الأمر- أن أشير إليك بكلفة الكراسين اللذين بعثتهما إليك بخصوص اليزيدية ، إن كلفتهما لا تساوي إلا بضعة فرنكات .

أشكرك على رسالتك الأخيرة ، أنت تعلم مقدار مسرتي عندما أستلم أخبارك ، ثمة احتمال ضئيل بمغادرتي إلى القاهرة قبل الخريف ١٩٠٩[٢] ، سأبقى على الأرجح هذا الشتاء في باريس ، وسأقضي عطلة طويلة ، إنه أمر يعود بالمسرة على أهلي ، بيد أن الحياة في باريس لا تسرني على الإطلاق ، أنت تحدثني عن القديسة العظيمة العذراء ، كيف يمكنني أن أتحدث عنها بكبرياء؟

إن ما يبعث البساطة من القلب هو أن أميز عذوبة مساندته ، إنه شيء غير التملك المفاجئ للرحمة التي تضرب وتنزع وتفجر دموع الحسرة والبهجة .

---

(١) وردت هذه العبارة بالفرنسية بخط الكرملي .

(٢) كتب محمود شكري الألوسي رسالة إلى الأب أنستاس ماري الكرملي في ١٤ تشرين الثاني ١٩٠٨ ، جاء فيها (ما شرحتم به أحوال صاحبنا لويز ماسنيون الباريزي ، وقد أخبرنا هو أيضا بمثل ذلك ، وإنه ذكر لنا إنه يقضي فصل الشتاء في باريس ثم سيسافر إلى الشرق ، ولعله قصد مصر ، وفقه الله لما يحب) .
أدب الرسائل ، الرسائل المتبادلة بين الألوسي والكرملي ، ص ١٣٦ .

إنها رحمة مخففة ومعدلة ، إنها الرحمة الأقل قبولا وأكثر نجدة ، إنها انعكاس تربيته ، إنها مفاجأة جديدة للنفس المعذبة ، ليس هنالك حقا ما هو أكثر غرابة وتشويشا للقادم الذي كان عبدا لشره ، حيث يشعر في لب نفسه بهذا الشعور ، وبهذا التبخر المفاجئ للإغواء الذي يشوش عليه .

من دقيقتين قبل الآن كيف كان الاعتراف بالضعف؟

حيث كان الفشل يضطرب عبثا في علاقات كانت تضيق حتى تأتي فكرة ، فتسقط العلاقات وتأتي رحمة السلام المستعاد ، وتعود كاملة إلى قلب يرتجف من رغبات الماضي .

أوحد صلاتي إلى صلاتك في الصليب

المخلص

لويس ماسنيون

١٩٠٨/١٢/٩

رسائل العام ١٩٠٩
وعددها ١١ رسالة

الرسالة الأولى
١٣/آذار/١٩٠٩

١٩ شارع الجامعة

أبتي المبجل وصديقي

إن كنت تحتفظ عني بذكريات طيبة ، كما آمل منك فأغمض عينيك كلتيهما كما طلبت منك كي لا ترى هذه الخدعة من هذا الناسخ ، فمن الأروع أن تدفع دينك مرتين بدلا من مرة واحدة ، طالما أني لا أستطيع إرسال الإيصال الذي يثبت بأني دفعت دينه .

فلنتجاوز هذه الإدانة من فضلك .

سوف تؤلمني لو أنك استخدمت القسوة مع هذا الناسخ .

ما كتبته أعلى ظهر الصفحة أسعدني كثيرا ، أيمكنني أن أتمنى أن يكون إصدار مخطوطاتك في القريب العاجل؟

لم أستلم مجلة المشرق منذ ثلاثة أشهر-وهذا ما أربكني ، إن سنحت لك فرصة إيصال كلمة إلى الأب شيخو عن هذا الأمر سأكون معترفا ومقرا لك بالجميل .

أنت تحدثني عن الحرب الروحية ، بالتأكيد فأنا أعرفها وكم عانيت منها منذ السقوط ، إن الحرب ستكون حربا مظفرة لصالحنا إن نحن فكرنا في آلام الصليب ، إن ثبات المعتقد لا نكسبه إلا ببطء ، كانت لي أيام

عصيبة ، عزلة تامة في الليل- حيث يستمر الشر يجذبني إليه ، رغم معرفتي ببشاعته ، بينما يفنى الخير ويهرب مني .

هذه الروح التي صلى لها الكثيرون ، إنه الطبيب الأعظم .

كيف أرد إلى الله جميله عن كل ما غمرني به؟!

إن الحماسة عقيمة ، ونحن نحلم بما هو ليس واجبا في الوقت الحاضر ، كل واحد من أصدقائي يكتب لي ، إن من السهل كما يبدو لي أن نفكر كل يوم به ، إن الأفكار التي تسلينا تأتي لترمي بنفسها عن المعبر ، وهي إما جد ضعيفة أو جد عابثة .

فلندعها تجدد فينا روح الاستقامة بلا حدود ، معترفين بقلوب متساوية بالجميل الذي تمنحنا إياه يده الأبدية ، إن كان يمكننا ذلك .

إني أصلي لله بأن يغمرك بالرحمة ، فاسمح لي أن أوحد صلاتي المتواضعة مع صلاتك للمسيح .

لويس ماسنيون

السبت

١٩٠٩/٣/١٣

باريس

الرسالة الثانية
٢٤/آذار/١٩٠٩

١٩ ، شارع الجامعة

أبتي المبجل وصديقي

إن رسائلنا قد تقاطعت ، أعتقد بأنك انتهيت إلى استلام الرسائل التي كتبتها لك بعد الثالث عشر من آذار ، رغم اضطراب البريد الذي

سينتهي قريبا بتنازل الحكومة .

إن مؤتمر القاهرة لم يكن مخصصا للمستشرقين ، إنما للآثاريين[(١)] .

إن أصدقائي آل ماسبيرو[(٢)] أخبروني بأن جان ماسبيرو سوف يلقي هناك بحثا عن آجرة فيلاي[(٣)] ، ولكنني لن أحضر هذا المؤتمر .

السيد فييت[(٤)] جد سعيد بعد أن طلب إجازة ، ذلك أنه سيحل محلي في غضون هذا العام في القاهرة ، وسوف أستعيد محلي في الخريف طبقا إلى القرار الشخصي الذي اتخذه الوزير ، أيكون بإمكاني أن أنفذ هذا؟

---

(١) المؤتمر العالمي للآثاريين الشهير ، والذي تم عقده في القاهرة في العام ١٩٠٩ .

(٢) أسرة من المستشرقين والآثاريين ، منهم جان ماسبيرو الذي ولد في العام ١٨٨٧ وتوفي في العام ١٩١٥ في باريس ، ابن جاستون ماسبيرو ، تخرج من مدرسة الدراسات العليا ، عين عضوا في المعهد الفرنسي في القاهرة ، قتل أثناء الحرب العالمية الأولى ، صنف بمعاونة جاستون فييت كتابا بعنوان (جغرافية مصر) صدر عن المعهد في القاهرة في العام ١٩١٤ ، ونشر الجزء الثاني منه في العام ١٩١٩ ، وله كتاب شهير أيضا هو (فقه قدماء المصريين) صدر في العام ١٩١٥ ، أما والده جاستون ماسبيرو فقد كان هو الآخر عالما بالآثار المصرية ، وقد أصبح مديرا لمتحف بولاق في العام ١٨٨٠ ، وقد أشرف على التنقيبات في مصر ، وهنالك هنري ماسبيرو المختص بالصينيات ، وقد كان زميلا لماسنيون في مدرسة اللغات الشرقية وصديقا حميما له ، وقد كتب عنه في كتابه العهد (La Parole Donée) .

(٣) آجرة فيلاي تخص قبر إيزيس ، الموجودة في جزيرة فيلاي على النيل ، أعلى النهر قرب سد حسونة .

(٤) م فييت ، مستشرق فرنسي شهير ولد في العام ١٨٨٧ في باريس ، تخرج من معهد الدراسات الشرقية فأتقن العربية والتركية والفارسية ، درس الحقوق في العام ١٩٠٨ ، انضم إلى المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في العام ١٩٠٩ ، من آثاره (سجل مراسيم المماليك) في العام ١٩٢٥ ، (شخصية ابن تغري بردى) في العام ١٩٢٩ ، (تأريخ مصر) في العام ١٩٣٢ .

ما زلت لا أعلم .

أظن بأني سأذهب نهاية نيسان إلى فيينا واستنبول ، وذلك لأني حصلت بوساطة الحبر تسيران[(١)] على الطبعة المحدودة التي حدثني عنها السيد جاوبيري!

أنت لم تعد تتذكر المرتلوغ[(٢)] الذي اشتريناه معا؟

فلتحفظك القديسة أوشاريش يا عزيزي .

أبتي إن سمحت ، أوحد صلاتي المتواضعة إلى صلاتك .

لويس ماسنيون

باريس

الاثنين

١٩٠٩/٣/٢٤

الرسالة الثالثة
٢٩/نيسان/١٩٠٩

بيرا ، القصر ،استنبول

أرسلت هذه الرسالة في ٢٩ نيسان لكنها وصلت في ٤ حزيران ١٩٠٩[(٣)]

أبتي المبجل وصديقي

---

(١) أوجين تسيران ، الحبر المختص باللغات الشرقية والأدب المسيحي والذي أصبح مسؤولا عن مكتبة الفاتيكان ، وهو مشهور بأرشيفه عن الكنائس الشرقية .

(٢) كتاب يحمل أسماء القديسين والشهداء .

(٣) جملة وردت بالفرنسية بخط الكرملي .

كم أنا ممتن لك بهـذه الملاحظة[١] ، أقـصـد مـلاحظة الخطيب البغدادي[٢] عن الحلاج ، إن سمحت ، وستسمح بالتأكيد أن آخذ على عاتقي كل المصاريف (أيمكنك أن ترسلها لي قبل التاسع من الشهر المقبل لأني جد متلهف لمقارنتها مع المخطوطة التي أنسخها) .

ألف شكر لك ، سأستعلم عن شخصية صلحوف إلياس[*] .

بالمناسبة أود جذب اهتمامك (هذه الملاحظة تهم الأب شيخو أيضا على ما أعـتـقـد) إن مـجـمـوعـة نصـوص مناجـاة داوود عم (على الأغلب=مزامير داوود) وضعت من قبل الخركوشي[٣] في كتاب تهذيب الأسـرار (المكتبـة الملكيـة في برلين ، مخطوطة رقم ٨٣٢ من مجموعة شبنجر) وتحتوي أيضا على خمسة عشر نصا للمسيح ابن مريم ، وقد نسختها وأرسلتها إلى ميشيل عين ، من أجل العمل الذي يقوم به وهو (علم آباء الكنيسة) .

---

(١) كتب الأب أنستاس الكرملي إلى محمود شكري الآلوسي رسالة جاء فيها :
(ومن جملة ما عثرت عليه ، أجزاء من تاريخ الخطيب ، وهي الأجزاء التي كان يظن أنها فقدت ، فقد طالعت في واحدة منها فوجدت في آخره ترجمة الحلاج فاستنسختها لحضرة صديقنا لويز ماسنيون وهو في الأستانة ، وقد كتب لي إنه يأتيني إلى هنا بعد يوم أو يومين ، وكان قد كتب إلي أنه اجتمع بحضرة صاحب الفضل الحاج علي) انظر الرسائل المتبادلة بين الكرملي والآلوسي ص ١١٣ .

(٢) ولد الخطيب البغدادي في ١٠٠٢م في أذربيجان ، وتوفي في بغداد في العام ١٠٧٠م ، وهو عالم بالحديث ، شغل منصب الخطيب في بغداد ، عرف بلقب حافظ الشرق ، كان شافعيا أشعريا طعن بالحنابلة فاضطهد ، له تاريخ بغداد ، قدم أطول ترجمة للحلاج وهي رواية ابن باكويه عن أحمد ابن الحلاج .

(*) ورد الاسم بالعربية .

(٣) وهو أبو سعيد عبد الله النيسابوري المعروف بالخركوشي ، صاحب كتاب تهذيب الأسرار .

إن الثورة التي حصلت هنا شغلتني كثيرا[(١)] ، وأنا من جانبي شهدت عن قرب أحداث الإعدامات التي حصلت يوم السبت .

إلى أين يؤدي كل هذا؟

لقد بقيت حذرا جدا من هؤلاء الشباب الأتراك ذلك لأن جميع رؤسائهم من السنة ، وإن ارتباطاتهم اليهو-ماسونية أمر لا يمكن إنكاره (لقد تلقوا طقوسا أولية في المحفل) بيد أنهم في اللحظة هذه قد حلوا النظام بشكل مؤكد . . وقد عادت مرة أخرى مذابح المسيحيين في (إقليم أدنة[(٢)] وإقليم أريزوم) .

أتعرف كاتدرائية نوتردام في لورد في فري كاي؟

كنت رأيت منذ يومين الحاج علي الألوسي زاده[(٣)] ، كان يشعر

---

(١) يتلخص الأمر بتعرض جمعية الاتحاد والترقي التركية لأول انقلاب في العام ١٩٠٩ ، وذلك حين قام الوزير الأول محمد كامل باشا بعزل وزير الحربية ، ووزير البحرية ، وعين رجلين من رجاله كخطوة لشل الجمعية وتحطيم قوتها بين أنصار الضباط في الجيش ، وحين طلبه المجلس لشرح أسبابه رفض ذلك ، فحجبوا عنه الثقة وقد فسر الليبراليون سقوط كامل باشا نكسة لهم ، وبعد ذلك حدث عصيان مسلح في استنبول قامت به مجموعة من الموظفين الدينيين للعودة للشريعة الإسلامية ، فقامت بذبح الأرمن في مدينة أدنة جنوب شرق الأناضول ، للتحريض على تدخل بحري إنلوفرنسي نيابة عن المسيحيين ، مما سيؤدي إلى الإطاحة بجمعية الاتحاد والترقي في الجيش الثالث الذي كان في سلانيك بقيادة الجنرال محمود شوكت باشا لإنقاذ النظام الدستوري ، وكان الجيش موطنا لعدد من الضباط الاتحاديين مثل أنور باشا ، ومصطفى كمال وغيرهم .

(٢) أدنة مدينة في قلقيا في الجزء الجنوبي من تركيا ، يرقى تأريخها إلى حوالي العام ١٤٠٠ ق.م ، وأريزوم تقع في الجزء الشمالي الشرقي ويرقى تأريخها إلى ما قبل القرن الخامس الميلادي .

(٣) بعد إعلان الدستور وعزل السلطان عبد الحميد ، رحل علي الألوسي إلى الأستانة ، وكان يحمل آمالا كبيرة بالإصلاح ، وقد خطب في حفلة توديعية ، قائلا :

(علينا التوصل بكل وسيلة إلى ما يعود لسعادة الخطة العراقية ، بترقي الزراعة =

باغتراب وهو حزين جدا ، أما أنا فأشعر بكآبة نفسية كبيرة ، وإني أقبلها لأن الله يريدها هكذا .

هذا الربيع يذكرني بأكثر من ربيع غيره مع مسراته المحرمة .

لم تعد وحدتي حزينة ، أنا أستمر في الطاعة دون أن أفهم ، ولكن بقلب متأسف .

ليباركك الله ويحفظك يا أبتي وصديقي(*)

الخميس بيرا
١٩٠٩/٤/٢٩
لويس ماسنيون

ملاحظة : أمي تظن بأنني يمكنني اللقاء بالأب بيوس العاشر[١] عن طريقك .

== والتجارة والعمران . . . الخ) .

إلا أن آماله خابت بعد وصوله هناك ، ورأى أن جمعية الاتحاد والترقي قلبت ظهر المجن للعرب ولم تعترف بمواثيقها وشعاراتها التي قدمتها إليهم .

انظر كتاب (فهمي المدرس) ليوسف عز الدين ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص٤١ .

(*) عبارة وردت بالعربية .

(١) بابا روما ، ولد في العام ١٨٣٥ وتوفي في العام ١٩١٤ ، حارب البدعة العصرية ، وقد عرف بنزعته المحافظة وبمعاداته للأفكار التحررية ، جاعلا من الدفاع عن الكثلكة همه الأول ، اعتبر في عداد القديسين في العام ١٩٤٥ .

الرسالة الخامسة
١٧/حزيران/١٩٠٩

وصلتني هذه الرسالة في روما في ١٩/حزيران/١٩٠٩[(١)]

أبتي العزيز وصديقي

لقد رأيت ليلة أمس الحبر جوردان وقد قدمت له احتراماتك .

إني أنتظر كل يوم جواب السيد شواب حول موضوع صلحوف إلياس[(*)] ، وسوف أبعث لك جوابه حال وصوله إلي .

من المؤكد أنك ستمر وأنت في طريقك إلى لندن على باريس ، وسوف تمضي ساعات هناك لتتناول الفطور أو الغداء أو العشاء معي .

أرفق صلواتي المتواضعة إلى صلواتك يا أبتي العزيز وصديقي .

لويس ماسنيون

باريس

١٩٠٩/٥/١٧

---

(١) وردت هذه العبارة بالفرنسية بخط الأب الكرملي .

(*) ورد اسم صلحوف إلياس بالخط العربي .

الرسالة الخامسة
٢٣/حزيران/١٩٠٩

أبتي العزيز وصديقي

أجابني السيد شواب

لقد أتم عمله استنادا إلى ملاحظات غولدتسيهر[١] التي نشرها في دراسات يهودية في العام ١٨٩٥ .

يمكننا مراجعة السلسلة في روما ، سوف أكتب إلى غولدتسيهر سعيا للحصول منه على علامات إضافية ، لقد تألمت حين عرفت بأنك متوعك ، وأنا أصلي من أجل شفائك .

إن الأخبار الأخيرة التي حصلت عليها من عمدة بورديك أكثر غنى من السابق .

أمضيت أياما قاسية للغاية[٢] ، رغم مخاطرتي بعدم المغادرة مهما حصل ، إن نظام الكنيسة هو أن أموت ابناً خاضعا بالتمام لها .

أعيش في الوقت الحاضر على مواعظ مريحة نوعا ما ، إن كل الإغراءات لم تقهر كما يجب ، وهي تقض مضجعي ، إلا أنها لا تمنع من أن يكون هذا اليوم هو عشية يوم عيد ديني مسيحي ، هو عيد القديس جيزو ، وهو اليوم السابق لليوم الذي أمطرت فيه السماء على الحب الأبدي ، إن بيرموند يحرق قلبا طالما كانت حراسته هناك ، بين

---

(١) إغناص غولدتسيهر ولد في العام ١٨٥٠ وتوفي في العام ١٩٢٠ ، مستشرق مجري ، يهودي ، درس في برلين ولايبزك وبودابست والأزهر ، مهتم بالفرق الإسلامية وله كتاب شهير (العقيدة وشريعة الإسلام) .

(٢) يقصد في استنبول أيام الانقلاب .

حمص[1] وبعلبك[2] .

إني أستعيد حماستي لمعتنق جديد .

أشكر الله لي كي أكون مباركا ، ليكن مباركا اسمه المقدس .

إن أطول العذابات هي لا شيء أمام إحدى رحماته ، ألسنا محرومين من هذه الرحمة إلى الأبد ، ألا يكفي أن تكون رحمته في خلقنا ، وأن تكون في كوننا ما زلنا على قيد الحياة ، طالما باستطاعتنا خدمته .

لا خدمته حسب إنما أن نكون عبيدا له .

أوحد صلواتي إلى صلواتك .

المخلص

لويس ماسنيون

١٩٠٩/٥/٢٣

الرسالة السادسة

٢٥/تموز/١٩٠٩

استلمت هذه الرسالة في استنبول في ٣٠/تموز/١٩٠٩[3]

لافيل إفيك

بورديك - الجانب الشمالي

أبتي المبجل وصديقي

ها أنت مرة أخرى هنا في Tyinoxiv لا تنس أن تبلغ عواطفي

---

(١) مدينة سورية تقع على نهر العاصي ، يرقى تأريخها إلى الحثيين ، احتلها الرومان في العام ٢٧٢م .

(٢) مدينية وسط لبنان ، ترقى إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، كانت قد احتلت من قبل الرومان ، وفيها معبدان معبد جوبتير ومعبد باخوس .

(٣) وردت هذه العبارة بالفرنسية بخط الكرملي .

الرقيقة إلى السيد جبران[١] ، يؤسفني إني لم أتعرف عليه من وقت طويل .

هل أرسلت لك نسخة من مداخلتي المنشورة . . حول الأخيضر[٢]؟

إن مرضي جعلني أفقده ، وسوف أصلح هذا النسيان فورا .

كل احتراماتي الحنونة إلى الحاج علي إن أنت رأيته .

لا تنس أن تبلغ سلامي المبجل إلى الأب بيير .

أرفق صلواتي المتواضعة إلى صلواتك .

عليكم السلام(*) .

آمين(*)

لويس ماسنيون

باريس

الاثنين

١٩٠٩/٧/٢٥

---

(١) وهو الشماس فرنسيس أوغسطين جبران ، في كنيسة الآباء الكرمليين ، توفي في العام ١٩٢٠ .

(٢) قصر يبعد حوالي ٥٠ كيلو متراً غربي كربلاء ، أو على بعد ١٠٠ كيلو متر غرب الفرات ، وهو قصر فخم يسميه العراقيون بالأخيضر مصغر الأخضر ، وهو ذو طبقتين ، يبلغ طوله ٢٠٠م ، وقد زاره العديد من الرحالة مثل : كارستن نيبور ، لويس ماسنيون ، المس غرترود بيل ، فيوليه ، وغيرهم ، وقد اختلفوا في تحديد عصره ، فمنهم من يظن بأنه في العصر الإسلامي ، ومنهم من يظن أنه أقدم من ذلك .

أطروحة ماسنيون موجودة في كتابه :

Le chateau d'al-okhaider, extraits des comptes des séances de l'academie des inscription,Belles-letters, 1909

(**) عبارات وردت بالعربية .

الرسالة السابعة
٢٠/آب/١٩٠٩

استلمتها في الأول من أيلول من العام ١٩٠٩ في الكرمل[(١)]

لافيل إيفيك
بار بارديك
الجانب الشمالي

أبتي المبجل وصديقي
أود أن أشكرك الشكر الجزيل لأمنياتك لي .
وأشكرك كذلك على النسخة الثمينة من مخطوطة القاهرة التي بعثتها لي ، (وأود أن أشكرك لأنك عدت للكتابة عن ابن عساكر[(٢)])
إن الـ١٥ فرنكا (٦٠×٢٥ر٠) سوف أرسلها لك إلى الكرمل ، شكرا مرة أخرى .

إني سعيد حين أشعر بأن بغداد اقتربت منك ، لم تقل لي فيما إذا ستعود برا أم بحرا؟ ذلك لأن أمي تنتقدني على الدوام في موضوع قميصي الوحيد! هذا القميص الذي اشتريناه معا من عانة من محل الغشاش وتقول لي (ألا تبدل هذا القميص؟) .

---

(١) وردت هذه العبارة بالفرنسية ، بخط الأب الكرملي .
(٢) وهو علي ابن الحسين ، ولد في دمشق في العام ١١٠٥ ، وتوفي في العام ١١٧٥ ، وعلم في أكبر مدن الشرق ، وهو محدث شافعي ومؤرخ له (التاريخ الكبير لدمشق) طبع في سبعة أجزاء ، في دمشق ، بين العامين ١٩١١-١٩١٢ .

وهكذا . .أنظر إني أستخدم صداقتنا في طلب خدمة منك .

إن أنت عدت عن طريق عانة ، أيمكنك أن تبحث لي عن قمصان أخرى ، تشتريها من هناك وتبعثها لي وهكذا فأنت ستعتزل في الكرمل[1] ، دعني ألتجئ إلى أقدام العذراء تقيا طاهرا ، أعرض لها تعاستي وعقم حياتي من أجل أن تتملكها بإرادة ابنها ، وها أنا بعد عام من تحولي الديني ، ما هو الشيء الذي أملكه كي أفعله من أجله؟

أوصيك بشكل خاص باثني عشر صديقاً مسيحياً متفرقين في هذا العالم ، كنت أقدم معهم شيئا فشيئا صلواتي يوميا من أجل أن يسند أحدنا الآخر في وحدة الشعور المسيحي .

إنها مساندة ثمينة في هذه اللحظات المظلمة .

أنت تعرف إني أضمن اسمك واسم الأب بيير على الدوام في صلواتي .

الحي معانقة الطاعة(*)

أتعرف هذه العبارة الجميلة لسهل التستري[2] ، كم هي حقيقية في

---

(١) جبل في فلسطين يشرف على مدينة حيفا ، قدم النبي إيليا عليه محرقته ، فيه دير مشهور يعود إلى القرن الثالث الميلادي ، وكان الأب الكرملي من رهبانية الكرمل التي تأسست على جبل الكرمل في العام ١٨٥م ، ثم انتقلت إلى روما بعد العام ١٢٣٨م ، وقد تأسس فيها فرع للنساء اشتهرت منهن تريز الأفلية ، وتريز الطفل يسوع ، وللكرمليين ديار في الشرق منذ القرن السابع عشر ، في حلب تأسست في العام ١٦٧٢م ، وفي بغداد في العام ١٧٢٢م ، وفي ماردين في العام ١٧٤٧م .

(*) وردت عبارة التستري بالعربية .

(٢) صوفي شهير ، ولد في تستر في الأهواز في العام ٨١٦ وتوفي في العام ٨٩٦م ، أقام في البصرة حتى وفاته ، قال بأن لكل آية في القرآن أربعة معان : الظاهر والباطن والحد والمطلع ، نقل تعاليمه محمد بن سالم ، فنشأ مذهب السالمية ، له تفسير القرآن الكريم ، طبع في مصر في العام ١٩٠٨ .

الحب الحقيقي ، وفي الإحسان المسيحي ، الإحسان في التضرع والطاعة دون شروط ، كي لا يتنبأ بنهاية تقيده في الطاعة التي وضع نفسه فيها ، أليست الأبدية أيضا موجودة منذ خلقت هذه الحياة .

فليغدق علينا الرب عطاياه .

أوحد صلواتي المتواضعة إلى صلواتك

عيد القديس برنار

لويس ماسنيون

السبت

١٩٠٩/٨/٢٠

الرسالة الثامنة
٢٨/آب/١٩٠٩

لافيل إيفيك

أبتي المبجل وصديقي

ها هي قائمة الحساب التي تعود إلى النساخين في القاهرة والتي عثرت عليها بعد ضياعها منذ ثمانية أيام .

أعتذر لك وكل أمنياتي لك بعودة سعيدة إلى بغداد «الحديقة الموهوبة» أو «الرب الموهوب» مهما كان المصطلح الإيراني الذي تفضل أن تنعت به بغداد ، أقول سلام من الله عليك ، ليغمرك أبدا وأنت في هذه البلاد «دار السلام» .

ألتمس منك أن تصلي لنا كلنا ، وأستميحك أن تقدم للأب بيير

تذكارات الحبر جوردان أيضا .

كل تذكاراتي إلى السيد رونيه ، سأبذل جهدي في محاولة ثانية من أجله لدى السفير .

أكتب لك في منتصف النهار ، إنه نهار صاف هادئ ، إن كل ضيائه هو أقل جمالا ولمعانا من العيد الطقسي لهذا اليوم ذلك لأنه يوم القديس أوغسطين(١) .

احتراماتي الدينية

لويس ماسنيون

باريس

السبت

١٩٠٩/٨/٢٨

الرسالة التاسعة
١٦/أيلول/١٩٠٩

لافيل إفيك

بروديك

(الجزء الشمالي)

أبتي العزيز وصديقي

شكرا على رسالتك الأخيرة التي بعثتها من دير الكرمل

إني أتضرع لله أن تصلك هذه الرسالة إلى بغداد وأنت بأتم صحة .

---

(١) أسقف هيبون (أفريقيا) ، ولد في العام ٣٥٤ وتوفي في العام ٤٣٠م ، قضى شبابه متبعا التعاليم المانوية ، ثم ارتد بفضل أمه مونيكا ، والقديس أمبروسيوس ، أشهر آباء الكنيسة الغربية ، خطيب وكاتب ولاهوتي ، قاوم البدع الدونتانية ، والبيلاجية ، وحاول التوفيق بين العقل والإيمان ، مؤلفاته عديدة ، أهمها : (الاعترافات) ، (مدينة الله) ، (في النعمة) .

أشكرك جزيل الشكر على ما أرسلته لي من عانه ، وشكرا أيضا على بطاقة الأب بيير الذي سأكتب له عما قريب .

نحن بصحة جيدة ، وبعد عاصفة قاسية عدة أيام سيصفو الجو عما قريب كما أتمنى .

من المحتمل أن أكون في القاهرة ، في غضون شهرين[١] (وسأكتب لك حين يكون ذهابي هناك مؤكدا)-وسوف أصفي أعمالي جميعها قريبا .

لم أنته من عملي حول الحلاج ، أرغب أن أضع مبادئه حول أولوهية المسيح غير المتوقعة في الإسلام تحت الضوء-هذه المبادئ التي ولدت لديه من حاجة إلى مرشد معصوم يمتلك (امتلاء روحيا)-كي لا يضل الطرق (الطرق الصوفية) إنها مبادئ مثابة من قبل موت مشع على الصليب ، ومن الواضح أنها كانت مشتهاة (عبر فحص هذه النصوص ينبغي تشييد هاتين النقطتين) .

متى أنتهي من هذا العمل يا ترى؟

أوحد صلواتك وصلوات أهلك مع صلواتي تحت الرباط الكنسي .

أرغب امتلاكها كما امتلكتها في العام الماضي هذه المشاعر الدائمة الحضور ، المسيح في كنيسته ، تجعلنا أن نفهم كيف أن النار الأبدية التي أشعلها الله لتوه تتنقل كل يوم من روح إلى روح بين إخواننا ، رغم تفشي الشر كما قال لاكتونو في كتابه .

أوحد صلواتي المتواضعة مع صلواتك في النظام الكنسي

لويس ماسنيون

الخميس ١٩٠٩/٩/١٦

---

(١) درس ماسنيون في القاهرة في العام ١٩٠٩ ، في جامع الأزهر ، وقد ارتدى العمامة والعباءة على غرار الأزهريين ، كما فعل قبله غولدتسيهر الأمر ذاته حين درس في الأزهر .

الرسالة العاشرة
٢٨/تشرين الثاني/١٩٠٩

أبتي العزيز وصديقي

أوحد صلواتي وأهلي مع صلواتك

ها إني عدت إلى معهد القاهرة لأقضي فيه سنتي الأخيرة .

فيما يتعلق ب(الأنموذج) وهو (مختصر المعجزات والخصائص النبوية)[١] ، فإن وجود نسخة منه في المكتبة الوطنية يجعلني أعدل عن طلب نسخة منه محتفظا بالتقييم الذي ستمدني به عنه ، أنا أستشير هذا الكتيب الغريب .

الأب لامنس[٢] هنا ، وأنا أشعر بمتعة كبيرة عند الحديث معه ، إن ما يعده عن محمد بالاستناد إلى مسند ابن حنبل[٣] أمر ممتع ومثير للغاية .

---

(١) (مختصر المعجزات والخصائص النبوية) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١/ ١٥٠٥م ، ولد في القاهرة وتوفي فيها ، حفظ القرآن وهو دون السنة الثامنة ، نبغ في التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع واللغة ، سافر إلى الشام والحجاز واليمن والمغرب ويقال إن مؤلفاته زادت على ٥٠٠ مؤلف ، منها (طبقات الحفاظ) ، و(طبقات المفسرين) طبع في ليدن ١٨٣٩ ، تفسير الجلالين لأكثر من طبعة .

(٢) وهو المستشرق البلجيكي الشهير ، ولد في بروكسل في العام ١٨٦٢ وتوفي في العام ١٩٣٧ ، اشتهر بأبحاثه عن عرب الجاهلية ، والعهد الأموي ، من مؤلفاته :
(مهد الإسلام) ، و(مكة قبل الهجرة) ، (الطائف قبل الهجرة) ، (الجزيرة العربية قبل الهجرة) ، (الإسلام) ، (خلافة معاوية) ، (خلافة يزيد) ، (تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار) ، (تاريخ سوريا) ، وقد أدار مجلة المشرق لفترة طويلة .

(٣) المسند الذي يشتمل على ثلاثين ألف حديث للإمام أحمد بن حنبل ، المتكلم والفقيه البغدادي الذي يعد أحد أئمة المسلمين الأربعة ، كان قد رحل إلى الشام ==

إني مندهش لأنك لم تستلم لحد الآن النسخة المنفصلة عن الأخيضر الذي أرسلته لك في الثالث من آب وليس في الثاني والعشرين منه .

سوف أبحث عن وصل الإرسال لكي أطالب البريد به .

إنه موجود في تقارير جلسات أكاديمية الداب ، الشهر الثالث من العام ١٩٠٩-(صفحة ٢٠١ إلى الصفحة ٢١٢) (بيكار ٨٢ شارع بونابرت) .

سألتمس من أمي أن تشترك في مجلة العالم الإسلامي .

المخلص لك

لويس ماسنيون

١٩٠٩/١١/٢٨

الرسالة الحادية عشرة
٢٠/كانون الأول/١٩٠٩

منيرة

القاهرة

أبتي العزيز جدا وصديقي

أوحد صلواتي مع صلواتك مع صلوات خلصائك

أود أن أشكرك الشكر الجزيل على رسالتك التي بعثتها لي ، وأعترف بذنبي ذلك لأني ارتكبت خطأ عظيما عندما كتبت ارتجالا دون الرجوع إلى كتاب(مع ذلك فقد صححت هذا الأمر ، بينما كنت على سفر بين

== واليمن والحجاز في طلب الحديث ، وقد قاوم المعتزلة فسجنه المأمون ثم أفرج عنه المتوكل ، اتصف بشدة تمسكه بالتقاليد القديمة .

دورمي ونانسي[١] ، هذا الربيع في ص٢٠٥ في الخطة الأولية التي بعثتها للمعهد) وهي عبارة عن مقدمة تاريخية .

لقد عثرت في كتاب الأغاني[٢] في الجزء TXVII في الصفحة ١٥٤ تعليقك الدقيق حول بيتين من شعر المنخل[٣] (لقد أخطأت في نسبتهما دون انتباه) ذلك أني سمعتهما شفاها مرتين من قبل أنصاف المتعلمين وفي البلد ذاته ، وقد نسخهما حسين ذاكر أفندي .

إذن فإني لم أدققهما ، وكان علي على الأقل تصحيح القراءة! أقر بذنبي .

عثرت في كتاب فولرس[٤] (حرب المتلمس[٥] ١٩٠٣) في الصفحة ٥٢-٥٣ على النص المصوب والذي استخدمته في ترجمتك .

---

(١) تقع مدينة نانسي في فرنسا ، اتخذها أسياد اللورين مقرا لهم في القرن الثاني عشر ، وهي شهيرة بكنيستها التي ترقى إلى القرن الخامس عشر ، وتقع مدينة دورمي إلى الجنوب منها .

(٢) كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني ، وقد دون فيه الأصوات التي اختارها المغنون للخلفاء ، ولا سيما هارون الرشيد ، فجمع من الأغاني العربية قديمها وحديثها ما أمكنه جمعه ، ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانع لحنه ، ثم اتسع في ترجمة هذا الشاعر أو المغني وبحث في الأحوال التي قيلت فيها الأبيات من حرب أو مجلس لهو في الجاهلية والإسلام ، طبع في مصر في ٢٠ جزء (١٨٦٨) وعثر على جزء آخر في بعض خزائن الكتب في أوربا ، وطبع في برونو (١٨٨٨) وقد تكررت طبعاته .

(٣) المنخل بن مسعود بن عامر بن يشكر ، وهو شاعر جاهلي توفي في العام ٦٠٣ ، عرف بحبه للمتجردة امرأة النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وكان المنخل ينادمه ، اشتهر بقصيدته التي قال فيها (أحبها وتحبني/ ويحب ناقتها بعيري) . انظر التبريزي ٢ : ٤٥ ، والمؤتلف والمختلف ١٧٨ .

(٤) وهو المستشرق الألماني كارل فولرس ، ولد في العام ١٨٥٧ وتوفي في العام ١٩٠٩ ، كان أحد أساتذة كلية يينا في المنا ، وأصبح أمينا على مكتبة الخديوي في مصر ، نشر ديوان المتلمس في العام ١٩٠٣ ، ونشر كتيبا صغيرا عن العامية في مصر .

(٥) شاعر جاهلي ، توفي في العام ٥٧٥ م هجا عمرو بن هند ملك الحيرة ، فنقم ==

أما أنا فقد استخدمت النص الذي وضعه هوداس[١] ، لقد كنت محقا فيما يخص (صاع ، ديسق ، والنخل المنبق)[٢] .

أما الأبيات الشعرية الأخرى التي قرأتها على عجلة-فقد عدت إليها ثانية فيما بعد ، إن ترجمة فولرس لم تعجبني ولا ترجمتك ، حيث أنك نقطت (التغلبية) بـ(الثعلبية)[٣] ولذا فإن شكي بها ثابت ، وهذا ينطبق بشكل نسبي على (ديسق) ، هل كان هذا الاسم الشائع في بغداد من أسماء الأعلام؟ تذكر بأن (خورنق) و(سدير)[٤] هما في الفارسية أيضا من الأسماء الشائعة ، وإن (ديسق) هو أيضا من الأسماء الشائعة ، وربما

== عليه وعلى ابن أخته طرفة بن العبد ، فكتب لكل منهما رسالة إلى المكعبر عامله على البحرين ، ولكن الشك خامر المتلمس فعهد إلى أحد غلمان الحيرة أن يقرأها ، فإذا هي أمر بقتله ، فمزقها وقذف بها إلى النهر ، أما طرفة فتابع طريقه إلى البحرين حيث قتله المكعبر .

(١) المستشرق الفرنسي أوكتاف هوداس ، ولد في العام ١٨٤٠ ، وتوفي في العام ١٩٣١ ، كان أستاذا للغة العربية في الجزائر ، ثم أصبح أستاذا للعربية العامية في مدرسة اللغات الشرقية ، ترجم صحيح البخاري في العام ١٩٤١ .

(٢) يقصد هنا قصيدة المتلمس :

(ألك السدير وبارق   ومبائض ولك الخورنق
والقصر ذو الشرفات   من سنداد والنخل المبسق
والغمر ذو الاحساء   واللذات من صاع وديق)

(٣) يقصد بيت المتلمس :

(وللثعلبية كلها والبدو من عان ومطلق)

(٤) الخورنق هو موضع في العراق قرب النجف ، سكنه بنو أياد ، وقد عمر فيه النعمان قصرا وسعه العباسيون وخرب في القرن ١٤ ، أما السدير فهو قصر في الحيرة قرب الخورنق ، اتخذه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم ، والبيت الذي يقصده ماسنيون هو من شعر المنخل اليشكري :

(فإذا سكرت فأنا رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فأنا رب الشويهة والبعير)

تحول إلى اسم أحد القصور؟

على كل حال أقدم شكري العميق لمداخلتك الصادقة .

أرسلت بشكل فوري قائمة تصويبات إلى المعهد ، أعتقد بأن النزاهة العلمية تفترض منا أن لا نكون معصومين عن الخطأ ، إنما كل إنسان يخطئ ولكن الفضيلة هي أن نعترف بأخطائنا .

وهكذا يا أبتي العزيز وصديقي قد أنجزت اعترافاتي .

أتمنى أن تكون أطروحتي تحت الطبع (ولكن مدير المعهد ويا للأسف مريض) .

لا تنس أن تذكرني لدى السيد رونيه[١] ومحمود شكري الآلوسي .

إني الآن على علاقة مع أخ (أحد مراسليه هو السيد محمد رشيد رضا[٢])

أقصد رؤوف أفندي الجادرجي[٣] الذي يبعث لي هذه الأيام بكل جديد .

احتراماتي لك

لويس ماسنيون

القاهرة

١٩٠٩/١٢/٢٠

---

(١) القنصل الفرنسي في بغداد .

(٢) وهو من علماء الدين الإسلامي ، ولد في العام ١٨٦٥ ، وتوفي في مصر في العام ١٩٣٥ ، صاحب مجلة المنار بالقاهرة ، وكان تلميذا للشيخ محمد عبده .

(٣) من المثقفين العراقيين الأوائل ، أصدر صحيفة الانقلاب في بغداد في العام ١٩٠٨ ، عين رئيسا لبلدية بغداد في العهد العثماني ، كان وزيرا للمالية في أول وزارة للحكم الوطني ، ثم اختارته شركة النفط العراقية مستشارا قانونيا لها ، لقد كان قانونيا وخبيرا بالاقتصاد والعلوم المالية ، يتحدث الإنجليزية والألمانية والفرنسية والتركية والفارسية ، توفي في العام ١٩٥٨ .

رسائل العام ١٩١١
وعددها ٢٣

الرسالة الأولى
١٩/كانون الثاني/١٩١١

١٩-شارع الجامعة

أبتي المبجل وصديقي

أشكرك على رسالتك، وعلى إرسالك الكتب لي، وعلى مؤلفك(١) عن بغداد، لقد عثرت على أشياء كثيرة، من بينها: عثرت على نقش مرجان العظيم(٢)، وقد قدمته نقلا عن نسخة شكري أفندي في مؤلفه

---

(١) يقصد مؤلف الأب أنستاس ماري الكرملي (الفوز بالمراد في تاريخ بغداد) الذي صدر في بغداد في العام ١٩١١.

(٢) خاجة مرجان عبد الله بن عبد الرحمن، حاكم بغداد في العام ١٣٥٨، وقد نشر ماسنيون في كتابه بعثة إلى بلاد ما بين النهرين النص الكامل والمكتوب لمرجان العظيم عن وقفية الجامع، بعد أن قام بنقد الوقفيات الموجودة والتي عدها باطلة وزائفة، لأسباب عديدة منها: الغزو المغولي لبغداد في العام ١٢٥٨، غزو تيمورلنك في العام ١٤٠١، والغزو العثماني في العامين ١٦٣٨ والعام ١٩٣١، ووباء الطاعون المتكرر الذي أتى على جمهرة كبيرة من أهل بغداد، وأخيرا ما كان من أحداث الفيضانات، وهذا ما جعل تأريخ بغداد بحاجة إلى إعادة دراسة من جديد، وقد تكون الوقفيات باطلة لأنها مثلا مذيلة بإمضاءات ثلاثة شيوخ مدارس مع أختام طبعت في العام ذاته، في حين أن مدارسهم لم يكن لها وجود في ذلك التاريخ. وقد اهتدى ماسنيون إلى نقش حجري وهو النص الكامل لوقفية مدرسة مرجان وهي تحمل اسم مؤسسها مرجان مثبتة بتمامها حسب إرادة مؤسسها التي أعرب عنها في ستة أقسام في المصلى من المسجد، وقد سماه النص الكبير في جامع مرجان ليميزه عن النصوص الاثني عشر الأخرى ==

مساجد بغداد[1] .

سوف ترى في الجزء الثاني من كتابي بأن هذه النسخة مزيفة ، ذلك لأسباب عديدة كان من الأصلح اللجوء-كما فعلت أنا في العام ١٩٠٨- إلى النسخة الوقفية الأصلية .

إني آسف مثلك على الأخطاء المطبعية التي شوهت كتابك العظيم جدا ، مثلما كان الحال في الفقرة التي قرأت عنها في المقتبس عدد تشرين الأول الماضي .

أخبرتك عن الجزء الثاني من كتابي وذلك لأنني كنت أنتظر البروفات الأولية من مطبعة القاهرة ، وهذا لا يعجل بالأمور وا أسفاه .

احترامي وتقديري لسيدي .

لويس ماسنيون

الجمعة

١٩١١/١/١٩

== التي هي أقصر منه كثيرا ، وكان الرحالة نيبور قد دونها في القرن الثامن عشر ، ونشرها ماسنيون في كتابه بعثة لبلاد ما بين النهرين الجزء الثاني .

Mission a Misapotamie, Louis Massignon, Paris, 1912, P113.

(١) كتاب (مساجد بغداد) لمحمود شكري الآلوسي ، وهو الجزء الثالث من أخبار بغداد وما جاورها من البلاد ، وقد كان الجزء الأول (أخبار بغداد) ، والجزء الثاني هو (المسك الأذفر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر) ، والجزء الثالث هو (مساجد بغداد) وقد طبع بتحقيق وتهذيب محمد بهجت الأثري ، ويعد هذا الكتاب من أهم المراجع المتأخرة في تاريخ بغداد .

الرسالة الثانية
٢٠/كانون الثاني/١٩١١

شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

أنت تعلم مقدار أمنياتي لك ولذويك ، كم نحن شاكرون لك ذكراك المخلص لنا .

قلت لك بأن الزهاوي[(١)] كان موضوعا لثلاث مقالات في مجلة العالم الإسلامي :

١- عدد تشرين الثاني ص ٤٦٥,٤٧٠ حول مسألة الحجاب[(٢)] .

٢- عدد كانون الأول من العام ١٩١٠ حول موضوع السيد جمال الدين الأفغاني[(٣)] .

---

(١) جميل صدقي (١٨٦٣-١٩٣٦) من شعراء العراق المجددين ، كان نائبا في مجلس المبعوثان في الدولة العثمانية ، وهو من أنصار الفكر الحر ، أصدر مجموعة من الكتب الفلسفية (عليا الفلسفة) ، (الجاذبية وتعليلها) ، كان مثار جدل كبير لأنه آمن بالعقل وسلطة العقل ، وهاجم رجال الدين والسياسة ، اتهم بالإلحاد ، قاوم الاستبداد العثماني في زمن السلطان عبد الحميد ، نادى بتحرير المرأة فاضطهدته العامة ، له آراء جريئة في شعره ونثره في الحياة والدين ، وله ديوان مطبوع .

(٢) نشر الزهاوي مقالة المرأة والدفاع عنها في صحيفة المؤيد بقلم (صوت إصلاحي من العراق) في العدد ٨٣١٦ للعام ١٩١٠ ، وقد أثارت موجة عارمة من السخط ولا سيما بين العامة ورجال الدين ، وقد دافع عنها الدكتور شبلي شميل في المقطم ، وولي الدين يكن ، ورفيق بك العظم ، ومشاهير الكتاب في ذلك الوقت ، ودافعت عنه المؤيد وغيرها من المجلات والجرائد ، وقد ترجمت هذه المقالة إلى الفرنسية ونشرت في مجلة العالم الإسلامي في العام ذاته في باريس .

(٣) جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧) ولد في أسعد آباد (أفغانستان) ، ساح في الشرق والغرب فأحرز ثقافة واسعة ، كان خطيبا يدعو إلى الوحدة الإسلامية ، له (إبطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم) طبع في بيروت في العام ١٨٨٥ ، نقله الشيخ ==

٣- الزهاوي في الصحافة العربية .

ألم يكن هناك من سبيل لنشر المقالة الصغيرة التي حدثتني عنها في الصحف اليومية .

إن ما قلته عن عبادان[١] هو في غاية الإثارة ، كنت قد نشرت معلومة عن هذا الموضوع ، وقد كانت عبادان تسمى البريم فهل هذا هو الاسم الحالي للمنطقة التي تعمر فيها الشركة الإنجليزية الفارسية للنفط؟

نحن نرى بشكل أكيد نشاطا إنجليزيا مكثفا عند جهتكم ، ستكون له نتائج سياسية .

تقبلوا أبتي العزيز وصديقي ولاء صلواتي .

لويس ماسنيون

الاثنين/٢٠/١/١٩١١

اشتريت الألفية[٢] أخيرا طبعة دوغوير ، وإن ترجمتها دقيقة جدا .

== محمد عبده من الفارسية إلى العربية . والمقالة التي يتحدث عنها ماسنيون هنا ، والمنشورة في مجلة العالم الإسلامي تربط بين الأفغاني والزهاوي بمفهومي الفكر الحر والعقلانية .

(١) نشر الكرملي مقالة عن عبادان في الجزء الرابع من السنة الأولى من مجلته لغة العرب ، ونقلتها بعض الصحف الشامية والمصرية ، وترجمتها الصحف الأجنبية ، وهي مقالة تتحدث عن عمران عبادان بعد استيلاء شركة النفط عليها ، وبما أن الإنجليز يمنعون الداخلين إليها فقد ارتدى الكرملي ملابس عامل فقير طالب للرزق في المدينة ، ومن هناك اطلع على أحوالها الحضرية من ماء وكهرباء وتلفون وتلغراف وطراز أبنية حديثة ، وصور ما تملكه المدينة من مدخرات نفطية وبخارية وغازية ، وكيف كانت البواخر تنقل البضائع للاتجار والبناء لرغد ورفاه العمال الإنجليز الذين يقطنون المنطقة ، وهي مقالة مثيرة للغاية وقعها ب(عربي متبد) .

(٢) للشيخ العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجياني المعروف بابن مالك النحوي ، المتوفى في العام ٢٧٦ ، وجمع فيها مقاصد العربية وسماها الخلاصة ، وقد اشتهرت بالألفية ، لأنها اشتملت على ألف بيت في الرجز ، وله عليها شرح ذكره الذهبي ، (شروحها كثيرة ، وطبعت أكثر من مرة) .

الرسالة الثالثة
١٦/كانون الثاني/١٩١١

أبتي المبجل وصديقي

أقدم لك الشكر الجزيل على إرسالك لي نسخة من كتاب (قلائد الجواهر)[1] ، على الرغم من أن الكتاب لا يشتمل على دراسة للمقابر في بغداد ، إنما على ثلاث مقطوعات للخطيبي جاءت من جزء كان قد حققه سليمان ونشره سلفا ، ولا يجري فيها ذكر للحلاج طبقا للخطيبي- مثلما استنتجت من رسالتك .

في الواقع ليس هنالك من ذكر للحلاج ما خلا فقرة مأخوذة عن الشعراني ، فقرة أعيد طباعتها مائة مرة ، وهي جملة لعبد القادر الجيلاني![2]

ولكن الكتاب - مع ما فيه من أجزاء مشبوهة ، كما هو الحال مع كل ما كتبه السيد رفعت المشهور جدا ، وهو رجل حسن الإطلاع بالتأكيد - مفيد أيضا ، وأنا ممتن لك عليه ، وذلك لتنازلك عنه مقابل أربعة فرنكات وهو ثمن يصعب علي الحصول به على كتاب من أصدقائي في القاهرة ، إلا أني أقول لك إن أمر طباعته مرة واحدة هو غير صحيح ، فهذه هي الطبعة الثانية ، وتعود الطبعة الأولى إلى العام ١٣٠١ في استنبول .

أشكرك كثيرا على ما وافيتني به من تفاصيل عن الزهاوي ، وإني

---

(١) قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر للشيخ محمد بن يحيى التادفي الحلبي المتوفى في العام (٩٦٣) ، انظر كشف الظنون (١٣٥٣) وهو مطبوع في القاهرة أكثر من مرة ، آخرها في العام ١٩٣٧ .

(٢) جملة شهيرة لعبد القادر الجيلاني عن الحلاج ، يقول فيها : (هذا الرجل عثر ، ولو كنت في زمانه لأخذت بيده) .

مندهش لعدم استلامك عدد تشرين الثاني من المجلة[١] بعد؟ وعدد كانون الأول هو أيضا يتحدث عن الزهاوي .

أني مندهش لأن مكتبات بغداد لا تمتلك دليلا ، ومكتبات شيراز لها دليلها .

بخصوص ما كتبته لك ، إني لم أطلب منك ، كما فهمت أنت ، أن تكلف نفسك عناء شراء كل ما يصدر في بغداد! وإني لا أملك المال اللازم لذلك ، وأطلب منك أن لا تفعل من أجلي أي شيء !

ولكن ، إن حدث صدفة مرتين أو ثلاث مرات في العام ، ظهور كتاب مهم في المكتبات مثل (كتاب الزهاوي في سبيل المثال[٢]) فتكرم بإلقاء نظرة عليه ثم ابعثه لي ، وأشكرك على ذلك مقدما .

ولكن مرتين أو ثلاث مرات في العام !

---

(١) يقصد مجلة العالم الإسلامي Le Monde Islamique التي تصدر في باريس .

(٢) كتاب الزهاوي الذي يقصده ماسنيون هنا هو(الجاذبية وتعليلها) الذي صدر أواخر العام ١٩١٠ ، وهو كتاب مثير للغاية حيث ينكر الزهاوي قانون الجذب العام للمادة ، ويقيم مقامه الدفع العام ، ويقول إن المادة لا تجذب المادة بل إن المادة تدفع المادة ، ويتحدث فيه عن ناموس الدفع والأثير وتشكل المادة والطاقة والخ ، وقد تعرض الزهاوي في ذلك الوقت بسبب هذا الكتاب إلى هجوم عنيف ، ولا سيما من قبل مجلة المشرق التي كان يديرها الأب لويس شيخو . وقد كتب الأخير : (إن آراء الزهاوي في غاية الضعف والتناقض ، وهو على خلاف مما فعله ألوف من العلماء الذين شابوا على الدرس ، فكيف يصدق بغداديا قام بعد أن درس على نفسه تزييف أقوال مشاهير العلماء لا في أمر واحد إنما في أمور متعددة ، مما تعد اكتشافاتها مفاخر العقول النيرة التي وقفت عليها بعد التنقيب الطويل وشق النفس ، وبعد ذلك عد كتاب الزهاوي (ملهاة يتلهى بها من لا معرفة له بالعلوم الطبيعية ، وهي أقرب إلى الهذيان والأحلام من كتابة رجل عاقل) انظر شيخو ، مجلة المشرق ، العام ١٣ ، ١٩١٠ .

ما كنت أتمناه ببساطة ، وكما كتبت لك ، هو عناوين الإصدارات الحديثة . . .

استلمت الأجزاء التسعة من كتابك بالكامل ، وسوف أبعث لك المبلغ ، أي ٢٧ فرنكا إلى غابلدا .

يبدو لي أن تقويم لورنس هو خلاصة سيئة عن تقويم فولاين ، وقد كنت أفضل عليه تقويم فولاين والذي ألغي منذ سقوط النظام القديم .

إن الجوهر المنضد لا يستجيب إطلاقا إلى ما يعنيه حاليا ، ولكني أشكرك كثيرا لأنك أرسلته لي بوصفه كتابا مطبوعا في بومباي ، ويعود إلى ثلاثة أعوام مضين(١) .

شكرا مرة أخرى على (اللؤلؤ المرتب)(٢) ، ذلك لأنه مطبوع في النجف لا بسبب النص الذي لا يقدم جديدا ، وشكرا مرة أخرى على ابن زيدون(٣)

---

(١) (الجوهر المنضد في علم الخليل بن أحمد) للشيخ شهاب الدين عبد الوهاب بن أحمد بن عربشاه الدمشقي الحنفي ، المتوفى في العام ٩٠١م ذكره حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون/ ٦٢٠) ، وقد طبع في بومباي في العام ١٩٠٨ .

(٢) (اللؤلؤ المرتب في أخبار البرامكة وآل المهلب) للسيد محمد رضا السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي نزيل النجف الأشرف ، مطبعة العلوي في النجف الأشرف ، ١٩١٢ .

ومن الغريب أن الأب الكرملي قد كتب نقدا لاذعا لهذا الكتاب في مجلته ، في العدد الرابع من المجلد الثاني العام ١٩١٢ ، في ص ١٦٢ : «طبع أحد أبناء النجف أو كربلاء كتابا زين صدره بألقاب المؤلف ويا لها من ألقاب ، كلها مفخمة معظمة ، حتى تظن نفسك أنك تقع على أعظم كنز في الأرض ، وإذا فتحت الكتاب وتصفحت ما جاء فيه ترجع عنه بما رجع به حنين» .

(٣) ابن زيدون شاعر الأندلس ولد في العام ١٠٠٤ في قرطبة ، وتوفي في العام ١٠٧٠ في إشبيلية ، وهو أشهر شعراء الأندلس ، اشتهر شعره بغزله بولادة بنت المستكفي وأخباره معها ، له ديوان مطبوع في بغداد في العام ١٩٠٩ وفي القاهرة في العام ١٩٣٢ ، وفي بيروت في العام ١٩٥١ .

والقضاعي[1] وهما كتابان مطبوعان في بغداد رغم أنهما قديمان نوعا ما، فقد سبق لشكري أفندي أن أرسل لي القضاعي قبل عام ونصف، ويعود كتاب ابن زيدون إلى عامين.

برافو على الكراس الصغير حول نجد، فهذا هو تماما نوع الإصدارات الببلوغرافية الحديثة، وأرجو منك أن تبحث عنها بدلا عني.[2]

شكرا على الطرد، وشكرا مرة أخرى على كتاب الآلوسي (غرائب الاغتراب)[3] وعن كتاب عزت الشهير (حيث لا ذكر فيه سوى للأولياء المشبوهين، إن هؤلاء الرفاعيين هم حقا غير رصينين . . .).

أعلمك فيما يتعلق بمسألة المخطوطات فإني جاهل بهذا الموضوع، وأرغب قدر الإمكان عدم الاحتكاك بهؤلاء السماسرة غير الرسميين، فضلا عن أن من الصعب علي، نظرا لافتقاري إلى التجربة في هذا الموضوع، الدفاع عن مصالحك، ولذا يكون من الأفضل، ولمصلحة صداقتنا المشتركة، أن لا أسلك هذا الطريق الخطير.

فكل ما أستطيع فعله هو أن أطلب منك القائمة الكاملة والدقيقة لعناوين مخطوطاتك، مع نسخة من الإشارات الدالة على تواريخها وأحجامها، وعند ذاك وفي هذه الحالة فقط سيكون بإمكاني العثور على شخص يعنى بواحدة منها، ثم أكتب لك لتبعثها لي هنا، وأنا آسف جدا للحديث معك على هذا النحو، ولكني لا أهتم ولا أريد الاهتمام بالقضايا

(١) أبو عبد الله محمد القضاعي فقيه ومحدث شافعي تولى القضاء بمصر، له (الشهاب في الحكم والآداب) طبع في بغداد ١٩٠٩.

(٢) ربما يقصد كتاب (عنوان المجد في تأريخ نجد) لمحمود شكري الآلوسي.

(٣) (غرائب الاغتراب ونزهة الألباب) لأبي الثناء شهاب الدين الآلوسي ١٨٠٢-١٨٥٤ ألفه في رحلته إلى استنبول، طبع في مطبعة الشابندر في العام ١٩١١.

التجارية ، ولا سيما بمادة كهذه ، وأرجو من الله أن يحفظك ، وأقدم لك ولائي وتفاني المخلص .

لويس ماسنيون

باريس

١٩١١/١/١٦

الرسالة الرابعة
٣٠/كانون الثاني/١٩١١

أبتي العزيز وصديقي

استلمت هذا الصباح الطرد الذي يشتمل على الصحف والكراسات التي تهاجم الزهاوي[١] ، إن ما أرسلته هو بالضبط ما كنت أتمناه ، وأشكرك عليه بحرارة كبيرة .

ولتنس أتوسل إليك «اللهجة الوعرة» و«الجافة» لرسالتي الأخيرة .

عندما يحدثونني عن المشاغل ، فهذا الأمر يبعث البرودة في أطرافي ، وذلك لعدم اطلاعي عليها إلا قليلا .

لست ناقما عليك بالتأكيد بسبب ما أعطيتني إياه من إشارات حول الحلاج! فهي إشارات قيمة نسبة لي ، وهكذا فقد كان لدي مرجع آخر هو غرر الخصائص[٢] لسيد الدين وطواط ، ولكنني كنت أجهل تماما مرجع

(١) الصحف والمجلات التي هاجمت الزهاوي في قضية الحجاب والسفور قد ورد ذكرها .

(٢) (غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة) لمحمد بن إبراهيم بن جمال الدين الوطواط (١٢٣٤-١٣١٨) الوراق والكتبي والأديب المولود في مصر ، وأصله من مرو ، وقد طبع كتابه في بولاق في العام ١٨٦٧ . (ورد العنوان في الرسالة بالعربية) .

مجلة بومباي ، أليس كذلك؟ ألف شكر .

بخصوص بومباي ، فقد توصلت إلى اكتشاف وجود جاليتين بالقرب من بومباي إلى الشمال من كوزرانه ، تمتهنان الندافة وصناعة الألبان ، وهاتان الجاليتان بعد أن اهتديتا إلى الإسلام ، قد اختارتا الحلاج رئيسا لها ، وتسميان حتى اليوم بالمنصوريين تيمنا به ، أو بالمهديين .

يأتي أعضاء هاتين الجاليتين للحج إلى قبره[١] الواقع شرقي قبر زبيدة[٢] ، وهكذا عثرت على نقش موجود على قبر الحلاج في العام ١٩٠٨ ، كتب بيد محمد حسين خان مدير محجر الكاظمين .

فقد كان لهذا الهندي إيمان من نوع خاص بالحلاج ، أفلا يكون أصله من إحدى هاتين الطائفتين المأخوذتين من غوزرات ، وهما دودفلاس وبنجاراس؟ .

إن كانت هناك من وسيلة لديك لمعرفة هذا الأمر ، سأكون حقا جد ممتن لك .[٣]

---

(١) يقع قبر الحلاج في الجانب الغربي من بغداد صوب الكرخ ، وهو مزار على مقربة من مقبرة معروف الكرخي ، وبما أن الحلاج قد صلب وأحرق فليس هنالك من جثة ، بل من المعتقد أن المكان الذي شيد فيه قبر الحلاج هو مكان الصلب في السجن الذي يقع قريبا من النهر ، وقد زار لويس ماسنيون هذا القبر أثناء زيارته لبغداد في العام ١٩٠٨ ، وقد التقط له صورة نادرة منشورة في كتابه الشهير وجد الحلاج La passion d'Alhlaje .

(٢) يقع قبر زبيده في الجانب الغربي من بغداد في مقبرة معروف الكرخي ، ويعتقد أنه لزبيدة زوجة هارون الرشيد ، وقد شيد على طراز جميل يعود إلى العصر البويهي ، حيث تكون المنارة مسننة .

(٣) يبدو أن الأب أنستاس الكرملي لا يعرف شيئا عن محمد حسين خان الهندي ، فطلب ذلك من محمود شكري الآلوسي ، فأجابه :

(وأما مدير الحجر الصحي سابقا وهو محمد حسين خان الهندي فلم أحظ به ==

أما بخصوص الكرمليين فهل هناك من علاقة لهم بالمتصوفة ، فقد عثرت على مرجع مثير جدا يعود إلى ابن عربي (مسامرات(*))(١) القاهرة الجزء الثاني ص٣٣٧-٣٣٨ ، ويصف فيه حصرا ملابس المسيح «المرقعة» بطرائق بيض وسود لفقت(*) وقد جعلت من ذلك الذي يرتديها يشبه الغراب الأبقع(*) ، وهو بالضبط رداء الكرمليين الذين وصلوا باريس في العام ١٢٥٩ (وهي كنيسة شعبية الخ) ، وقد قمت بتحليل هذا المقطع في أطروحة ستظهر قريبا .

سأطابق معها رواية الإسناد التي تعود إلى القرن الرابع قبل ٣٧٠ .

يوم الاثنين

٣٠/كانون الثاني/١٩١١

لويس ماسنيون

الرسالة الخامسة
١٢/شباط/١٩١١

١٩- شارع الجامعة

أبتي المبجل والعزيز

سامحني على قلة رسائلي فمشاغلي كثيرة هذه الأيام .

أشكرك مرة أخرى على أخبار بغداد ، هذه الأخبار الممتعة والمفيدة معا .

== خبرا ، وسألت عنه بعض أكابر الشيعة فلم يجب بجواب شاف فحققوا عنه من غير . هذا ما لزم بيانه (رسالة مؤرخة في ١٩ حزيران سنة ١٩١١ في أدب الرسائل بين الآلوسي والكرملي ، ص ٢٨٦ .

(١) يقصد كتاب (محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار) للشيخ محيي الدين بن عربي .

(*) جمع هذه العبارات وردت في سالة ماسنيون بالعربية .

أتممت لتوي قراءة ما كتبته عن اليزيدية في مجلة (انتروبو[١]) ، وقد جذب اهتمامي كثيرا مع أنك نسبت لي شرفا لا استحقه ، عن فكرة لم تكن هي من اختراعي .

أخشى عليك من هجوم عنيف من وجهة النظر العلمية بخصوص هذا المقال ، لِمَ لمْ تتحدث إلى أصدقائك بهذا الأمر؟ .

أعتقد انه كان بإمكاني إقناعك بتقديم هذا المنشور المهم من نواح عديدة على نحو مغاير ، ومن نص لا أمنع نفسي من أن أطلق عليه بـ(المشبوه) .

والسبب هو أن الأبجدية اليزيدية التي نشرتها على الصفحة (١) هي أبجدية مصطنعة ، وليست طبيعية ، فلم تكن مشتقة على نحو طبيعي لا من السريانية ولا من العبرية ولا من العربية ، إنها مختلقة تبعا لاختيار مصطنع ، كما أنك تشير إلى ذلك على الصفحة ١٠ .

ولكن السؤال هو كيف اختلقت ؟[٢]

---

(١) نشر الكرملي بحثا باللغة الفرنسية عن اليزيدية تحت عنوان (كشف جديد عن كتابين مقدسين لليزيدية

(La decouverte recent des deux livres sacrés des yezidis (Wien) 1911.)

في مجلة (انتروبو) النمساوية ، الصادرة في فيينا في المجلد السادس ، العام ١٩١١ ، من الصفحة ١ إلى الصفحة ٣٩ ، وقد نشر نص كتاب (الجلوة ومصحف) رش وهي الصحف المقدسة لليزيدية باللغة الكردية مع الترجمة الفرنسية ، ذاكرا قصة عثوره عليهما ، وقد فند ألفونس منكا هذه القصة بالكامل ، في مقال نشرته الصحيفة الأسيوية عدد تموز ١٩١٦ .

(٢) لقد شكك ماسنيون بحقيقة هذه الوثائق التي عثر عليها الأب انستاس الكرملي ، وكان يتصور أنها ملفقة ومختلقة ولا وجود لهذه المخطوطات التي لم ينشرها الأب انستاز الكرملي بالعربية على الإطلاق ، ومن الغريب أني عثرت بين رسائل ماسنيون إلى الكرملي على رسالة كان بعثها ماسنيون إلى أحد الآباء من أصدقاء الكرملي ، وقد ==

لقد اختلقت بلا مهارة ذلك بإبدال الحركة بخط في الأسفل ، أو في الأعلى (انظر إلى ذ ، إلى خ) والأسوأ من هذا الأمر ، هي أنها قد أخفت تماما الصوامت المشابهة لها من قبيل ط ،ظ ،ع ،غ ، ومن المستبعد جدا أن تكون هنالك أبجدية مثل هذه الأبجدية ، والتي سجلت على أصوات الأبجدية العربية بعد أن أسيء اختلاقها إلى حد لم يعد بالإمكان الإفادة منها حقا .

أنت تتحدث عن لغات مقدسة ، أو عن الهرمسية والمكرسة لتضليل الدنيويين والفضوليين ، أنا متفق معك! وكنت قد تفحصت اللغات المقدسة واللغات السحرية للمتصوفة ، والذين يرتبط معهم كما تعلم الشيخ

== بين ماسنيون رأيه بهذه المقالة كالتالي :

(أشعر أن جميع مخاوفي قد بعثت من جديد بخصوص خبر نشر صديقنا الأب المبجل أنستاس الكرملي موضوعا في مجلة (انتروبو) الكراس الأول -١١٩١ ، حول اليزيدية) ومن ثم يحدد ماسنيون الانتقاد الموجه للأب انستاس بثلاث نقاط :

١ . السبيل الذي جمع بواسطته هذه الوثائق .

٢ . إن الأب أوعز إلى طرف ثالث بأن يقلد حرفيا كتابة مجهولة ، وإنه لم يقم بنشر صورة ولو واحدة عن هذا المنقول . أي أن ماسنيون يشك بوجود مخطوطة تتعلق بالأبجدية اليزيدية ويظن أنها أبجدية مصطنعة ومختلقة من قبل الأب انستاس .

٣ . لاحظ ماسنيون في نص الأب انستاس استشهادا غريبا مأخوذا عن كتاب اسمه (كتاب الأديرة) للمطران الكاثوليكي المعروف ب(ثيودور أبو قرة) من القرن التاسع عشر ، ويصر ماسنيون أن هذا الكتاب هو الآخر مزعوم ومختلق من قبل الأب انستاس ، ذلك أن ماسنيون قام بإرسال رسالة إلى مستعرب ألماني اسمه (جيري غراف) كان واسع الاطلاع على مؤلفات المطران أبي قرة ، بل قام بنشر جميع مؤلفاته ، وجاءه الجواب بالنفي ، أي : (ليس من بين مؤلفات أبي قرة أي كتاب اسمه الأديرة) ويتحدى ماسنيون الأب أنستاس أن يبعث ولو صفحة واحدة من هذا الكتاب المزعوم إلى جيري غراف .

عادي بعلاقات عديدة ، ووجدت أنها صممت على نحو مغاير ، فهي مشتقة من علامات مختصرة لعلماء الفلك وكيمياء الإغريق ، وهي في أصولها غير مشتقة من علامات أبجدية سامية (وهناك الكثير مما يجب البحث عنه في هذا الاتجاه ، أي العلاقة بين الأبجدية اليزيدية والأبجدية الصوفية) .

أخيرا ، هل أنت متأكد من معنى النص باللغة الكردية القديمة ؟ .

وهل أنت متأكد على الأخص من الترجمة العربية ؟ .

تبدو النسخة العربية التي تذكرها في الصفحة ٨ ، هي المخطوطة التي تكرمت بالكشف لي عن وجودها ، والتي تخص الحلاج ، وهكذا يبدو أننا هنا أمام كتابة مطلعة على نحو جيد ، ولكنها معادية لليزيديين ، ولا يتعلق الأمر بنسخة عربية حول كتبهم المقدسة ؟ .

اعذرني إن أنا حاججتك على هذا النحو الحاد ، ولكن المسألة تستحق منا هذا ، قل لي ما هو رأيك بملاحظاتي .

واسمح لي أن أوحد صلواتي غير الجديرة بصلواتك في المسيح .

لويس ماسنيون

الثلاثاء

١٩١١/٢/٢١

الرسالة السادسة
٢٨/شباط/١٩١١

٩-شارع الجامعة

أبتي المبجل وصديقي

سأكون جد ممتن لك إن أنت أرسلت لي فقرة (من النسخة العربية) من رسالة ابن القارح[١] والتي تفضلت وأشرت لي بها حول الحلاج[٢] .

هل تحمل مخطوطتك الاسم الكامل لابن القارح ، وتأريخا في خاتمتها؟ وسأكون جد ممتن إن قلت لي هذا أيضا .

إني سعيد لأن الزهاوي استطاع أن ينجو مما وقع فيه[٣] .

(١) ولد ابن القارح في حلب في العام ٣٥١ هجرية وتوفي في الموصل ٤٢١ هجرية ، وهو أبو الحسن علي بن منصور بن طالب الحلبي الملقب بـ(دوخلة) ويعرف بـ(ابن القارح) ، أديب وشاعر عباسي عاصر أبا العلاء المعري ، وخدم في صباه أبا علي الفارسي ولازمه وقرأ عليه جميع كتبه وسماعاته ، له رسالة شهيرة تعرف برسالة ابن القارح التي قدمها إلى أبي العلاء ، فما كان من أبي العلاء إلا كتابة رسالة الغفران بقسميها وهي (رواية الغفران) و(الرد على ابن القارح) . (وردت عبارة ابن القارح بالعربية في رسالة ماسنيون) .

(٢) في رسالة ابن القارح هناك هجاء حاد للحلاج واتهام له صريح بالزندقة ، وتبدأ بالآتي : (الحسين بن منصور الحلاج من نيسابور وقيل من مرو يدعي كل علم ، كان متهورا جسورا يروم اقلاب الدول ، ويدعي فيه أصحابه الأولوهية ، ويقول بالحلول ، ويظهر مذاهبه السنية للملوك ، ومذاهب الصوفية للعامة . . . الخ) الرسالة مطبوعة في بيروت ١٩٦٨ مع رسالة الغفران تحقيق فوزي عطوي المحامي .

(٣) ربما يتحدث عن الهجوم الذي قام به العامة على منزل الزهاوي ، وذلك لأرائه الجريئة في مقالته عن المرأة ، وقد كتب رسالة إلى ناظم باشا والي بغداد بذلك مدعيا أن أحد رجال الدين حرض العامة في صلاة الجمعة على قتله . انظر عبد الرزاق الهلالي ، الزهاوي بين الثورة والسكوت ، دار الثقافة ، بيروت ص ٤٢ .

يحتفظ الأب المبجل لوي لك بنسختين من الجزء الأول من كتابي[١] ، واحد لك والآخر لشكري أفندي .

لا بد أن تكون استلمت العدد الحادي عشر من المجلة ، وأن يكون الزهاوي [٢] راضيا ، هل يريد نسخة منها .

اعذرني لهذه الرسالة السريعة ، فأنا مثقل بالمشاغل ، وتقبل مني أبتي المبجل ولاء احترامي الديني في قديستنا NSJC .

+LM

الثلاثاء

١٩١١/٢/٢٨

الرسالة السابعة
١/آذار/١٩١١

٩١-شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك كثيرا على تصحيحاتك القيمة التي أتمنى أن تكون لدي إمكانية الأخذ بها ، وأشكرك لإرسالك إياها إلى شكري أفندي .

---

(١) كتاب ماسنيون : (بعثة إلى بلاد الرافدين Mission a Mesapotamie. Vole.1. le caire) . وهو كتاب كبير يقع في مجلدين كبيرين ، الأول في صفة حصن الأخيضر وتأريخه صدر في العام ١٩١٠ ، وثانيهما في خطط بغداد صدر في العام ١٩١٢ .

(٢) يقصد مجلة Le Mond Islamique والتي نشرت ثلاث مقالات عن الزهاوي ، وربما تكشف هذه الرسائل أن ماسنيون هو كاتبها .

أعتقد أن كتاب الصبوح[١] هو كتاب شمس الدين بن محمد بن علي بن عثمان النواجي القاهري الشافعي المتوفى ١٤٥٧/٨٥٩م ، وتمتلك مكتبة كونغليس نسخة منه في برلين ، وهو كتاب يتطابق مع وصفك له تحت الرقم ٨٣٩٦ ، وأشكرك على عرضك علي نسخة منه لأني بإمكاني الذهاب إلى برلين للاطلاع عليه ، أو أن أأتي به إلى المكتبة الوطنية .

سأحاول الحصول على المعجم الجغرافي للزمخشري[٢] ولكنك تعلم دون شك بأنه من الكتب القيمة ، وهو مكلف للغاية وسأخبرك بالثمن قبل البت بشرائه .

سأحاول أن أرى ما بوسعي عمله للشابشتي[٣] أنت لم تتطلع في القاهرة إلا على نسخة رديئة جدا ، ولا أعتقد أنه سيكون من المفيد أن أجعلك تقوم بعمل نسخة منها ، سأكتب إلى برلين حيث توجد فيها النسخة الأصلية المعروفة الوحيدة . . . بيد أن حدسي يخبرني بأنني لن أجد ناسخا في برلين ، وحينها سينبغي علي تصويرها ، والحال إني لم أقم أبدا بتصوير مخطوطة بأكملها ، وهذا يتطلب الحصول على إذن خاص لم

---

(١) (كتاب الصبوح والغبوق) لشمس الدين بن محمد حسن بن علي بن عثمان النواجي القاهري الشافعي المتوفى في العام ١٤٥٥/٨٥٩م ، وقد رتب هذا الكتاب على ثلاث طبقات : الطبقة الأولى في ذكر الملوك ومزاجهم في الصبوح ، الطبقة الثانية في ذكر الوزراء وخواصهم وأمرائهم وظريف أخبارهم وطريف أشعارهم ، الطبقة الثالثة في عامة الناس . انظر هدية العارفين ٢٥/٢ . يعكف صديقي قاسم محمد عباس على تحقيقه ونشره قريبا .

(٢) كتاب (الأمكنة والجبال والمياه) لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، المتوفى في العام ٣٥٨ هجرية ، انظر (كشف الظنون ١٣٩٨) .

(٣) علي بن محمد الشابشتي أمين دار الكتب الفاطمية في مصر ، توفى في العام ٩٩٨ هجرية ، ينسب إليه كتاب (الديارات في العراق والجزيرة ومصر) ، وقد استخدمه ماسنيون كثيرا في كتابه بعثة إلى بلاد الرافدين .

أقدم على طلبه حتى الآن ، وربما سيتطلب هذا الأمر وقتا طويلا لجمعها ، فضلا عن أني سأتحقق من أهلوردات[1] عن عدد صفحات المخطوطة ، لأني أعتقد أن الأمر يتعلق بحوالي مائة صفحة مزدوجة ، وهذا يعني على الأقل (إذا علمنا أن كلفة الصفحة العادية هو ٥٠ فرنكا ، فإن تعريفة الصور السالبة على الورق هي ثلاثة مائة فرنك) .

وكما ترى ليس بإمكاني الشروع بهذه الحملة قبل أن أستلم منك (فضلا عن موافقتك الرسمية) مبلغ هذا العمل الذي سينجز سريعا (إذا أنت أرسلته لي الآن) .

ولهذا السبب ينبغي عليك أن تحاول الحصول عليه من خلال نظامك الديني أي بوساطة روما ، لأن روما يمكنها فعل أشياء كثيرة لدى الإدارة الألمانية .

وصلتني كتبك وأشكرك عليها وقد أثارت اهتمامي حقا ، فهذا النوع من الكتب هو ما كان ينقصنا حقا ، دفعت مبلغ ١٦ فرنكا إلى غابلدا وأرسلت له كلمتك .

إيماني واحترامي لقديستنا

لويس ماسنيون

الجمعة

١٩١١/٣/١٧

---

(١) وليم أهلوردات (١٨٢٨-١٩٠٩) مستشرق ألماني محرر فهرست الكتب العربية المحفوظة في دار الكتب في برلين ، وهو مؤلف عشرة مجلدات كبرى تحوي كنوز العرب الأدبية .

الرسالة الثامنة
١١/آذار/١٩١١

٩١-شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

ألف شكر على الطرد الذي أرسلته ، وبلغ عبارات ثنائي إلى شكري أفندي .

وضعت الستة عشر فرنكا عند غابلدا لحسابك .

إلى أين وصلت أبحاثك حول اليزيدية؟

كتبك كانت مهمة جدا - اعذرني عن هذه الرسالة القصيرة ، فأنا متعب جدا بسبب العمل .

تحياتي واحتراماتي لك .

لويس ماسنيون

السبت

١٩١١/٣/١١

قرأت الفقرة التي تتحدث عن الحلاج في ابن القارح ، أشكرك لأنك نبهتني لها ، ولكن النص المطبوع فيه نقص من الصفحة ٥٥١ بين عبارتي «على حلقة أبي بكر الشبلي(١) . . .»

---

(١) أبو بكر الشبلي صوفي بغدادي هجر العالم وهو في الأربعين من عمره ، فصار من شيوخ الصوفية ، بالغ في التصوف فكان يكحل عينيه كي لا ينام ، وقد توفي في بغداد في العام ٩٤٥ ميلادية .

«أنت بالله ستفسد[1] . . .» هل يمكنك أن تكمله لي طبقا للمخطوطة التي لديك؟ ألف شكر .

الرسالة التاسعة
٢٣/آذار/١٩١١

٩١ -شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك على رسالتك في ٢٣ شباط ، كم بطيء هو البريد إذن!

أتساءل إن لم يكن أكثر بطئا من العام ١٩٠٨؟

أنت تعلم كم أنا ممتن لما قدمته لي خبراتك وأبحاثك من مساندة ، سواء تعلق هذا الأمر بموضوع أطروحتي أم بموضوع مقالاتي حول الصحافة العربية .

فليكن إذن معلوما بيننا ، إني أتمنى أن أبقى في كل هذا أسير فضلك ، وأن أطلب منك الاستمرار بمساعدتي بخصوص الحلاج ، كان بودي العثور على عدد «المشرق» الذي طرحت به اللغز الذي أعطيتك إياه في العام ١٩٠٨؟

أتعرفه ؟

ومن ثم بودي أن أملأ نقص رسالة القارح ، النص ورد على ص٥٥٢ ،

(١) في رسالة ابن القارح :
حدثني أبو علي الفارسي قال رأيت الحلاج واقفا على حلقة أبي بكر الشبلي : أنت بالله ستفسد خشية ، فنفض كمه في وجهه وأنشد . . . هذا ما دار في الرسالة التي حققها فوزي عطوي المحامي مع رسالة الغفران المطبوعة في بيروت في العام ١٩٦٨ .

ذلك النقص الذي أشرت إليك به في رسالتي السابقة .

إني مثقل بالمشاغل وأرى في الأفق شهورا من العمل .

فيما يتعلق بطرد الكتب فقد كان مهما للغاية نسبة لي ، وأكرر شكري لك عنه .

لا تنس أن تشتريها ثم ترسلها لي كما جرى الاتفاق بيننا ، الكتب الحديثة التي تحكم تجربتك عليها بأنها قيّمة ، والتحفظ الوحيد الذي أحمله عليها يتعلق بأثمانها . . . وما يمكنني أن أدفعه حاليا هو أربعون فرنكا ، لكل فصل ، وهكذا سأكون ممتنا لك جدا إن أرسلت لي ما يظهر من جديد ، ولا سيما كتاب تاريخ نجد في جزأين .

عنوان الكتاب :

المجد في تأريخ نجد (١)

لعثمان بن عبد الله بن بشر

٣ مطبعة الشابندر

احتراماتي

لويس ماسنيون

الخميس

١٩١١/٣/٢٣

---

(١) لم نعثر على هذا الكتاب ، إنما هنالك كتاب آخر ، هو (عنوان المجد في تأريخ نجد) لإبراهيم فصيح الحيدري طبع في مطبعة الشابندر ، في بغداد ، في العام ذاته .

الرسالة العاشرة
٩/أيار/١٩١١

٩١-شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

اعذرني على تأخري بالرد عليك لقد لحقت بي رسائلك إلى استنبول التي ذهبت إليها لأقضي ساعات مثمرة جدا في مكتباتها، والتي اقتنيت فهارسها قبل عامين، ولم يسمح لي الوقت بالرد عليك، إلا اليوم في باريس.

أشكرك أولا عن كل الطرود، وعن كل المعلومات، وعن كل الملاحظات، وثق جيدا بأنها على غاية الأهمية نسبة لي، وإن حججك الفيلولوجية تضيف بدورها قيمة إلى إرشاداتك المنزهة كصديق لي.

أما بخصوص اليزيدية فلنكف الحديث عنها، لأن الاعتراضات التي طرحتها عليك بخصوص موضوعات أعلمها على نحو سطحي وحسب، ولم تكن تتعلق بـ(المحتوى) بل بـ(الشكل) أي بالمنهج العام المتبع بالتأليف وبعرض أبحاثك، لا غير.

وتبقى نقطة تفصيلية، هي أن الشيخ عادي يتحدث الكردية ويرجح التادفي[١] (القرن السادس عشر) على نحو واضح أن اليزيدية تعود إلى الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ عادي (قلائد الجواهر) المطبوع في القاهرة ١٣١٧ ص ٨٤ وما يليها.

---

(١)كمال الدين أبو اللطف محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الحلبي التادفي الدمشقي، صاحب (قلائد الجواهر)، كان صوفيا خاشعا لبس الخرقة القادرية من الشيخ عبد الرزاق الشافعي الكيلاني، ثم ترك مخالطة الناس، توفي في واسط.

-شكرا على إشارتك إلى خطأي في مخطوطة عزيز(١) والتي كشفت

---

(١) في الواقع لا يستطيع أحد أن يحل هذا اللغز، وهو ادعاء الأب الكرملي بحصوله على نسخة نسخها أحد أصدقائه من كتب يزيدية مقدسة مكتوبة بلغة قديمة، وقام بنشر بعض منها (دون أن يعطي نسخة عن الأصل) في مجلة انتروبو النمساوية، ويظن ماسنيون أن هذه النسخة مختلقة بالكامل، وأن اللغة المكتوبة بها لا وجود لها أصلا، وقد أورد الكرملي قصة مشابهة في مخطوط كتابه اليزيدية إلا أنه يدعي عدم حصوله على هذه النسخة لأن شخص ما مزقها، وفي رسالة أخرى أرسلها لويس ماسنيون إلى أحد الآباء الكرمليين الذين دافعوا عن حجج الأب انستاس حول هذا الموضوع جاء التالي: (أبتي العزيز وصديقي . . . استلمت رسالتك وأنا في أشد انهماكي بالعمل في استنبول، ولم أستطع الإجابة عليها إلا بعد عودتي إلى هنا للراحة حيث أقضي فترة استراحتي، أقدم لك شكري الحار لذكراك الوفية لي- وألف عذر عن هذا التأخير اللاطوعي، إني ممتن لك عن رسالتك المهمة للغاية حول ناظم باشا، فإنه يملك في استنبول حزبا قويا يدعمه، وهو سيحصل بالتأكيد على منصب مهم آخر، غير أنه يبدو لي أن بغداد قد تخلصت منه.
فيما يتعلق بالأب أنستاس ومؤلفه عن اليزيدية فإني لسوء الحظ غير مقتنع بحججك القيمة للغاية لأن «نعل» ما زالت تزعجني- وإني أترقب صدور العمل الذي أنجزه الدكتور بتنر بفارغ الصبر، وبإمكانك أن تلاحظ جيدا بأني لا أضع نفسي مختصا بالمسائل اليزيدية، وسيبدو هذا الأمر مضحكا ولكن ما أقلقني هو المنهج العام في عرض الموضوع الذي اتبعه المقال. فيما يخص ثيودور أبو قرة فلا بد أن يكون السيد غراف قد كتب لك عنه حيث أن دوري، إذا تفضل الأب بالتقصي عن أصالة كتاب الأديرة كما أتمنى، قد انتهى على أية حال من الأحوال، سامحني أبتي العزيز عن هذا الرد المقتضب جدا على الصفحات التي أرسلتها لي والممتعة جدا، لك مني أخلص الذكرى ولذويك ولقبولك مني هذا الصليب والحبة التي غمرنا بحبه حتى إنه سلمنا ابنه الوحيد، تقبل احتراماتي في المسيح» عثرت على هذه الرسالة في مجموعة رسائل الكرملي، ومن الواضح من سياقها أنها مرسلة إلى أحد الآباء من أصدقاء الكرملي، وفي الرسالة تشكيك أيضا بوجود كتاب اسمه كتاب الأديرة لثيودور أبي قرة، علما بأن الكرملي لم يذكر هذا الكتاب تماما في مخطوطته.

أنت عنها جزئيا ، وإن سكوتك عن وجود غيرها أي عن نسخة رسالة عزيز عنها في رسالتك التي هي تحت ناظري الآن ، والتي يقر فيها أنه استطاع العثور على النسخة الأصلية واستنسخها «وإنه لم يستطع العثور على أي شخص يستفسر منه عن مصير المخطوطات التي تعالج ديانة اليزيديين» .

ألا تعني هذه الرسالة أن تلك المخطوطة كانت هي الوحيدة التي وصلتك ؟

وقد بدت لي الرواية العربية الثانية في انثروبو متطابقة معها تماما؟

اعترف يا أبتي بأنك كتوم ومتحفظ بعض الأحيان معي .

أما فيما يتعلق بالزهاوي فأنا أشكره كثيرا على رسالته ولكنها لا تقنعني فلست أول من قال بوجود علاقة بينه وبين الكواكبي(١) ، وإن شمس الإسلام كان مقره المركزي في بغداد ، وأنا أحيلك إلى المجلة عدد كانون الأول ١٩١٠ ، والمؤيد الصحيفة المشهورة بحسن اطلاعها عادة .

فكل ما قمت به هو أني ترجمتها وإنه كان قد هاجم المؤيد أليس كذلك؟

ليبق الكلام بيننا (إن مزاجه المتقلب خلق له الكثير من الأعداء في استنبول ، وقد عمل على إشاعة خبر مفاده أنك كرست نفوذك لمصالحه ، وأنك تكتب عنه في الصحافة الخ) .

أكاد أن لا أصدق هذا الكلام ولكن يا له من محمي غير مريح ، ولذا

(١) عبد الرحمن الكواكبي ولد في العام ١٨٤٩ وتوفي في العام ١٩٢٠ في حلب ، اضطهده الأتراك لأفكاره التحررية ودعوته إلى النهضة والإصلاح ، جال في زنجبار والحبشة وأقام في مصر ، له كتاب (أم القرى) وكتاب (طبائع الاستبداد) ، ويعد من رجال الإصلاح في الإسلام ، لا في آرائه التحررية حسب إنما بتصوراته المبكرة عن الاستبداد وأنظمة الحكم في العالم الإسلامي .

أنا نادم قليلا لأني كتبت له .

تقول لي إنه لم يقرأ (المقتطف)[1] أبدا ، وأنه يجهل الدكتور (لوبون) ولكنه يتناقض مع نفسه إلى حد خطير ، حين يقول هذين الشيئين في آن واحد ، ذلك أن التحليلات المفصلة لآراء الدكتور لوبون[2] موجودة تحديدا في مجلة المقتطف ، راجع في آخرة المطاف أعداد ١٩١٠ ، مقالته حول «علم نفس الجمهور» أو «روح الاجتماع» حيث يتم ذكره بوضوح .

ألف شكر على معلومة البريم لا تساوي عبادان![3]

هذا هو يا أبتي نوع النقد الذي أتمنى على حجتك أن تمنحني إياه ! فلا تبخل به علي وسأرحب به دوما ، كما أن المجلة ستأخذ به لتجري التصويب .

---

(١) من أمهات المجلات العربية أسسها في بيروت يعقوب صروف وفارس نمر في العام ١٨٧٦ ، ثم نقلاها إلى القاهرة ، احتجبت عن الظهور في العام ١٩٥٢ ، لقد أسهمت المقتطف في تطوير فكر التنوير العربي بشكل كبير ، وقد أثرت تأثيرا عاليا على المثقفين العراقيين في ذلك الوقت ، وكان يطلق داخل الثقافة العراقية لقب الأدباء العصريين على المثقفين الذين انفصلوا عن الثقافة الدينية التقليدية وتبنوا الأفكار العلمانية والعلمية التي تروج لها مجلة المقتطف .

(٢) غوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٣١) من فلاسفة وعلماء الاجتماع الفرنسيين ، أثر كثيرا في الثقافة العربية ، وترجمت كتبه ومقالاته منذ القرن الماضي ، وكان الزهاوي متأثرا به وبنظرياته وأخذ يكتب شعرا مستوحى من أفكاره ، وأثار ضجة كبيرة في رباعياته التي تأثر بها بكتابات لوبون ، وقد أثار هذا الأمر (محمود أحمد السيد) في مقالته التي بين كل رباعية وموضعها من كتب لوبون . انظر مقالة محمود أحمد السيد (شعر الزهاوي على المحك) الناشئة الجديدة ، يوم ١٩٢٣/١١/٢ .

(٣) البريم أو عبادان مقالة في الجزء الرابع من السنة الأولى من لغة العرب ص١٢١ ، معنى عبادان وبريم ص١٢٤ ، موقع عبادان وبريم وذكر أهلها ١٢٥ ، مذهب أهل عبادان ١٢٧ .

وجدت أخيرا كتاب الزمخشري[1] بعشرين فرنكا وسأرسله لك .

لا تنس الحلاج ولا سيما التحري الذي وعدتني بإجرائه حول المدير السابق لمحجر الكاظمين في العام ١٣٢٦ ، محمد حسين خان الهندي ، وأنصاره الهنود الآخرين ، فهو أمر ملح نسبة لي للغاية .

ألف شكر مرة أخرى لطرودك ووعودك بالكتابة للمجلة .

لويس ماسنيون

١٩١١/٥/٩

باريس

الرسالة الحادية عشرة

١٩/حزيران/١٩١١

٩١- شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك جزيل الشكر على رسالتك في ١٧/أيار والتي لحقتني إلى مدينة الأسقف .

أن ما وافيتني به من تفاصيل حول ما يدور من جدل في الصحافة حول الزهاوي جديرة بالاهتمام .

أعترف بأن شكري أفندي هو في خانة الأرثوذكسية الإسلامية وأنه

---

(١) أبو القاسم محمود (١٠٧٥-١١٤٤) ولد في زمخشر ، إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير ، سمي جار الله لأنه جاور مكة ، كان معتزلي الاعتقاد ، له : (المفصل في النحو) و(الكشاف عن حقائق التنزيل) و(أساس البلاغة) وهي مطبوعة كلها . والكتاب الذي يقصده هنا هو (كتاب الأمكنة والجبال والمياه) وقد ورد ذكره .

له الحق من وجهة النظر الإسلامية أن يحارب الزهاوي .

ثم هل تعتقد بأن الزهاوي مخلص؟

شكرا جزيلا على الإشارة الببلوغرافية حول (العنوان الصادق) أنت تعلم كم كانت الكتب التي أرسلتها لي مهمة ، علي أن أتخذ قرارا على قدر كبير من الأهمية بشأنها .

وأني أفوض أمري بكثير من الإجلال إلى صلواتك وصلوات نظامك .

في المسيح

لويس ماسنيون

الاثنين

١٩١١/٦/١٩

الرسالة الثانية عشرة
١/حزيران/١٩١١

١٩-شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

لقد نفد كتاب بروكلمان[١] من المكتبات بجزأيه ، أعتقد أن ثمنه في حال العثور عليه يساوي بين الستين والثمانين فرنكا .

وبما أنك تعرض علي فكرة شرائه فابعث إلي المبلغ إن أردت أن أرسله

---

(١) كارل بروكلمان هو المستشرق الألماني الذي ولد في العام ١٨٦٨ وتوفي في العام ١٩٥٦ ، والمقصود بكتابه هو (تأريخ الآداب العربية) الذي صدر في العام ١٩١٢ ، وقد أعاد طبعه وزاد عليه ثلاثة مجلدات ضخمة في العام ١٩٤٢ ، ومن كتبه أيضا كتاب (تأريخ الشعوب الإسلامية) الذي صدر في العام ١٩٣٩ .

إليك ، أما بخصوص ما تبقى من الحساب ، هذا إن كان هناك ما تبقى ، فسوف أرسله لك على حسابك لدى غابلدا .

أنا جد ممتن لك على إشاراتك الأربع حول الحلاج ، لقد جمعت من (حل الرموز) للمقدسي[1] في برلين والقاهرة (ونشر المحاسن)[2] لليافعي ، وثلاث فقرات من (بهجة الأسرار)[3] ، للشطنوفي حول المخطوطتين من المكتبة الوطنية .

إذن أنا كنت أعرفها سلفا ، أما فيما يتعلق بالإشارة الواقعة في (الفتاوى الحديثة لابن حجر الهيثمي)[4] فأنا كنت أعرف فقرة من هذا المؤلف المطبوع في القاهرة في العام ١٣٠٧ ، وهي تعود إلى السيد (نعمان

---

(١) (حل الرموز وكشف الكنوز في التصوف) للشيخ عبد السلام بن محمد بن غانم المقدسي الشافعي المتوفى في العام ٨٧٩ ميلادية ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٦٨٦) .

(٢) (نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية) لعفيف الدين عبد الله اليافعي ، المؤرخ والمتصوف الشافعي اليمني ، ولد في العام ١٢٩٨ ميلادية وتوفي في العام ١٣٦٧ ، وقد صدر كتابه هذا بتحقيق وتصحيح إبراهيم عطوة عوض ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباري الحلبي وأولاده ، مصر الطبعة الأولى / ١٩٦١م . وله أيضا (مرآة الجنان) و(روض الرياحين في مناقب الصالحين) و(مرهم العلل المفصلة في الرد على المعتزلة) .

(٣) (بهجة الأسرار ومعدن الأنوار) لنور الدين أبي الحسن علي الشطنوفي (١٢٤٩-١٣١٣) والمعروف بابن جهضم الهمداني ، رئيس المقرئين في الديار المصرية ، وهو كتاب في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني يقع في ثلاثة أجزاء في مناقب السادة الأخيار من المشايخ ، فرغ منه المؤلف سنة ٦٦٠ هجرية ١٢٦١ م ، وهنالك نسخة منه في بغداد في دار المخطوطات ، بالرقم (٤٣٠٥) .

(٤) (الفتاوى الحديثة) لابن حجر الهيثمي ، توفي في العام ١٥٦٦م ، وقد طبع في مصر في العام ١٨٨٩ .

الآلوسي)[1] جلاء العينين في الصفحة ٤٢ .

(. . . تتبع أيضا الحلاج الحسين بن منصور ولا زال يتتبع الأكابر . . .)

(فقرة ينتقد فيها ابن تيمية)

لم أستطع التحقق من النص المطبوع حول الفتاوى الحديثة فيما إذا كانت هذه الشذرة كاملة ! سأكون ممتنا لك إن افدتني بذلك .

هل تخبرني أيضا ، وذلك بالرجوع إلى شكري أفندي الآلوسي[2] من أين نسخ نعمان أفندي الآلوسي الرسالة التي كتبها ابن تيمية في ٧٠٤ ، والمرسلة إلى الشيخ أبي عال فتح نصر المنبيجي المتوفى في العام ٧١٩ ،

---

(١) (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) وهما أحمد بن تيمية ، وأحمد بن حجر الهيثمي ، لنعمان الآلوسي (١٨٣٦-١٨٩٩) .

(٢) رد محمود شكري الآلوسي على رسالة الأب الكرملي في ٢٥/حزيران من العام ١٩١١ ، بما يلي :

(حضرة الفاضل الأب المحترم ، إن ابن حجر تعرض في فتاواه للحلاج كما ذكرتم ، والمنقول في جلاء العينيين هو نص عبارة ابن حجر في الفتاوى ، وهو موضوع كتاب جلاء العينين ، والكلام على تلك الفتوى وتفنيدها ، والفتاوى الحديثة مطبوعة في مصر وقد انتشرت في كل البلاد ، وفي بغداد نسخ كثيرة منها ، والفقير لم يحوها لأني لا أحب مؤلفها ، وأما التوصل على رسالة ابن تيمية إلى الشيخ أبي فتح المنبيجي ، فأرسلت من نجد مع بعض مصنفاته ، والرسالة منقولة في كثير من الكتب المصنفة في مناقب ابن تيمية كالكواكب الدرية ، وهي الآن تطبع في مصر في مطبعة الكردي ، ومناقب أبي حفص وغير ذلك ، وما جرى بين المنبيجي وابن تيمية مجمع عليه لدى من كتب في تأريخ ابن تيمية ، وهما متعاصران ، وإن تأخرت وفاة الثاني ، أما لسان الميزان فلم أقف عليه ، وقد طبع في مصر والهند ، فلا شك أن نسخه كثيرة ، وعقد الجمان أيضا لم أقف عليه ، وكذلك لا أعلم لأحمد بن محمد الصاوي تفسيرا . . .(أدب الرسائل بين الكرملي والآلوسي) . وقد علق الأخوان عواد على أن لسان الميزان لم يطبع في مصر إنما في حيدر آباد .

والتي ترد فقرة منها في جلاء العينيين ص٤٥ ، والله أعلم .

يوجد هناك في المرجانية[١] مخطوطة لسان الميزان للضحاك ، لا تختلط عليك مع ميزان الاعتدال[٢] فهل بالإمكان أن تنسخ لي الفقرة حول الحلاج؟ وكذلك الفقرة الواردة في عقد الجمان للعيني[٣] .؟

لا تنسني فيما يتعلق بأبحاثي الثلاثة بخصوص النص الكامل لابن القارح - وبخصوص مدير محجر الكاظمين- وبخصوص فقرة تجليات ابن عربي[٤]

---

(١) المكتبة المرجانية في جامع مرجان في بغداد وفيها خزانة للمخطوطات ثمينة .

(٢) (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الحافظ المتوفى في العام ٧٤٨ ، وهو كتاب جليل في إيضاح نقلة العلم النبوي ، ألفه في جزأين بعد كتابه المغني ، انظر كشف الظنون (١٩١٧) بينما (لسان الميزان) فهو لابن حجر العسقلاني الذي طبع في حيدر آباد في العام ١٣٣١م في ستة أجزاء .

(٣) (عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان) للإمام بدر الدين محمود بن أحمد العيني المتوفى في ٨٥٥ ويقع في تسعة عشر مجلدا ، انظر كشف الظنون ١١٥٠ .

(٤) (التجليات الإلهية) رسالة من مصنفات الشيخ محيي الدين بن عربي المتوفى في العام ٦١٧ ، انظر كشف الظنون ٣٢٥ . وفي رسالة للآلوسي للأب الكرملي مؤرخة في ١٩/حزيران /١٩١١ ما يلي :

«تحريت عن نسخة من التجليات الألهية للشيخ محيي الدين لأنقل منها ما طلبه صاحبنا العزيز لويز ماسنيون ، فلم أظفر ، ومنها نسخة في خزانة الكتب في الكوبرلي قرب الباب العالي ، وهي في مجموعة عدة رسائل منها : التجليات الإلهية ومنها كتاب الأقطاب له وغرة المجموعة في فهرس كتبها ٧٦٦ ، وفي هذه الخزانة أيضا رسالة في منصور الحلاج ضمن مجموعة عددها في الدفتر المذكور ١٥٨٩ ، فقل لصاحبنا أن يكتب لمن يعرفه في إسلامبول أن يكتبوا له ما طلب من البحث ، وينسخوا له الرسالة ، وفي مشكاة الأنوار للإمام الغزالي كلام طويل في توجيه ما صدر من الحلاج من الكلمات التي لم يقبلوها منه ، وهذا الكتاب مطبوع في مصر في مطبعة فرج الله زكي الكردي ، فليجلب منها نسخة لينقل منها ما أراد وللشيخ محيي الدين أيضا رسالة سماها السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج «وقد ذكرها مصنفها في فهرس مؤلفاته ولا أعلم أين توجد» . أدب الرسائل بين الكرملي والآلوسي ، ص ٢٨٥ .

المذكورة في الرد على النبهاني[١] في الجزء الأول في الصفحة .

أليس كذلك؟

علمت بوجود تفسير ضخم على لسان أهل الباطن كتب في بداية القرن الماضي من قبل أحمد بن محمد الصاوي المصري المتوفى في العام ١٢٤١ (١٨٢٥) فهل تعلم بوجود نسخة منه في بغداد؟

بخصوص سؤالك عن مخطوطة الغزالي[٢] بحثت عن عنوان مماثل في مراجعي ، فماذا يعني هذا؟

هل جرت مطابقته مع كتاب فيصل التفرقة (بين الإسلام والزندقة)[٣] المطبوع في القاهرة؟ إن هذا الكتاب الأخير هو ما تم نقله عن عناوين مختلفة أخرى .

كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة في سبيل المثال ، ولكن طبقا للعنوان الذي أعطيتني إياه يتعلق بكتاب في الأخلاق أكثر مما يتعلق بالقانون؟

---

(١) (غاية الأماني في الرد على النبهاني) من تأليف السيد محمود شكري الألوسي ، ولم يصرح باسمه الصريح بل نشره باسم مستعار هو أبو المعالي السلامي ، وقد طبع في جزأين بالقاهرة في العام ١٣٢٧ هجرية..

(٢) أبو حامد محمد (١٠٥٨-١١١١) متكلم ومتصوف وفيلسوف شهير ، ولد بالقرب من طوس ، في خراسان ، نشأ أولا نشأة صوفية ، ثم انصرف إلى دراسة الفقه والكلام محاولا التوفيق بين الدين والفلسفة ، علم في المدرسة النظامية ببغداد ، ومر بمرحلة الشك والحياة الدنيوية ، ثم انصرف إلى التأمل ، له : (إحياء علوم الدين) و(المنقذ من الضلال) الذي ترجم إلى الفرنسية وطبع في المجلة الآسيوية في بداية هذا القرن .

(٣) (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) للإمام أبي حامد الغزالي ، انظر كشف الظنون (١٣٠٤) .

وكل تهاني للسيد[1]

اعـذرني على هذا الأسلوب البـرقي وتقـبل أبتي العـزيز وصـديقي احتراماتي الدينية .

في المسيح

لويس ماسنيون

الخميس

١٩١١/٦/١

الرسالة الثالثة عشرة
١٠/تموز/ ١٩١١

٩١ ، شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

إني منفعل من شدة امتناني لك ، عن المعلومات التي كلفت نفسك عناء البحث عنها لأجلي ، ولا أعلم كيف يمكنني أن أرد لك هذا الجميل برسـائلي النادرة والموجـزة ، ولا يعـود السـبب في هذا إلى أن أنسـى الكتـابة إليك ، إني أصلي دائمـا وكل يوم وقـدر مـا أسـتطيع كي يشكرك الله بدلا منــي ، ويشكر نظامك على كل مـا فـعلتـه من أجلي ، بيـد أني مـثـقل بالكتـابة إلى أصـدقـائي الذين وصلوا مـثلك إلى الميناء والذين غـمـرتـهم الكنيسة على نحو خاص بكل الفضائل ، حتـى إنهم ينشرونهـا الآن على

(١) يقصد السيد محمود شكري الألوسي .

من يحيطون بهم .

سأكتب إلى شكري أفندي لأشكره على اتصاله ، وكنت نقلت في استنبول (أو بالأحرى حاج علي هو الذي نقلها لي) رسالة بالفارسية تدلني على مخطوطة ١٥٨٩ في كوبرلي .

ألف شكر على المؤلف الذي أعلن عنه الكويتي .[١]

إن فكرة تذكيري بأمر (إتحادات جاك) التي نصبت على الشط هي فكرة غريبة حقا .

حصلت لتوي وأثناء عملي في أولو جامع مناسبة غريبة للمثقف من فكرة الحذر من استخدامنا للنصوص التي نعثر عليها ، وإني أتوجه إلى نفسي بقدر توجهي إلى أصدقائي ، وهذه هي الواقعة :

أتذكر المقطوعة الشعرية للمخزومي[٢] حول ثياب نظامك القديمة للأسف!

إن النص المطبوع حجريا قد أتلف ، وإليك التنقيح الأكثر قدما لهذه

---

(١) الكويتي هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن حارس الكويتي النجدي ، ولا نعرف أي كتاب يعني ، وهناك رسالة جوابية في ٦/حزيران/١٩١١ من محمود شكري الآلوسي إلى الكرملي :

«إلى الفاضل الجليل والكامل النبيل الأب انستاس الكرملي . . . كتاب الكويتي طبعة مصنفة في دار السلام بواسطة الفقير وبعد إكمال طبعه تسلمه أخو المصنف من المطبعة وسافر به ، وكثير من الناس طلبوه فلم يجدوا منه شيئا في بغداد ، وقد أهدى لي طابعه بعض النسخ ، وقد أرسلتها إلى منشئ المنار والمقتبس وغيره ، وقد طلبت من المصنف إرسال نسخ أخر وقريبا تردني إن شاء الله) . أدب الرسائل بين الآلوسي والكرملي ، ص ٢٨٧ .

(٢) المخزومي (١٣٩٠-١٤٨٠) ولد في واسط ، سكن وتوفي ببغداد ، شيخ الإسلام له البيان في تفسير القرآن وسلاح المؤمن في الحديث .

المقطوعة الشعرية ، كما نسخها السلمي المتوفى في العام ٤١٢ هجرية (١٠٢١) ميلادية ، كتابه(بيان أحق آل الصوفية) مخطوطة أولوجامع رقم ١٥١٦ ، فيشة رقم ١٧٣ أ للمخزومي .

ليس التصوف أن يلاقيك الفتى
وعليه من نسج النحوس مرقع
بطرائق . . . .
. . . . فيها غراب أبقع
. . . . متعارف
يخشى الفتى فيه الإله ويخشع

وهكذا اختفى ذكر اسم المسيح ، وأصبحت إطروحتي أكثر زعزعة .

وهذه صلواتي المبجلة

لويس ماسنيون
١٩١١/٧/١٥

الرسالة الرابعة عشرة
٢٩/تموز/١٩١١

مدينة الأسقف

في بورديك

أبتي العزيز وصديقي

كن طيبا وأرسل لي بأسرع وقت ممكن اثنين أو ثلاث من اختبارات الصليب التي لا بد وإن استلمتها ، بوصفها شاهدا على اعترافي بفضل

نوتردام في بغداد .

لدي منها اثنان فقط ، كنت أعطيتنا إياها فأعطيت على ما أظن واحدة إلى الأب المبجل دو فوكو[1] الموجود في الصحراء ، والثانية إلى الدكتور غرتبرغر .

ولذا لم يعد لي منها شيء .

إني أعتمد على صداقتك العطوفة لتساعدني في هذا الأمر .

أوحد صلواتي بإجلال مع صلواتك في المسيح وماريا وجوزيف .

لويس ماسنيون

السبت

١٩١١/٧/٢٩

---

(١) شارل دو فوكو ناسك الصحراء ولد في سترازبورغ ، انخرط في بادئ الأمر في خيالة الجيش الفرنسي ، قاتل في الجزائر في العام ١٣٨١ ثم استقال من الجيش وأقام في مدينة الجزائر حتى العام ١٨٨٢ ، وتعلم خلال هذه المدة اللغتين العربية والعبرية ، غادر الجزائر متجها إلى المغرب بعد أن تزيا بزي رجل يهودي عادي ، تجول في أنحاء البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، مستطلعا شؤون أهلها ومرافق البلاد وتضاريسها مدونا بكل دقة حال السكان ، وألف كتابا باسم التعرف على مراكش طبع في العام ١٨٨٨ في باريس ، وأصبح مرجعا رئيسا لكل ما يتعلق بهذا البلد ، وقد كوفئ بوسام رفيع من قبل الدولة الفرنسية ، وبعد أن كان ملحدا اهتدى إلى الكثلكة على يد أحد الرهبان ، فسافر إلى فلسطين بعد أن ارتدى الزي الكهنوتي قابعا في أحد الأديرة ، ثم قفل راجعا إلى الجزائر وانزوى في أحد قرى الصحراء آخذا على عاتقه التبشير ، وداعيا إلى تنصير المسلمين من عرب وبربر ، قتل في الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٦ ، على يد أحد الشبان الثوار الجزائريين ، وهو مؤسس إخوة قلب يسوع وإخوته في باريس .

الرسالة الخامسة عشرة
٢٨/تموز/١٩١١

مدينة لافيل إيفيك

بورديك

أبتي العزيز وصديقي

وصلني كتاب الكويتي والعدد الأول من لغة العرب .

أهنئك على الشكل العام لهذا العدد الأول ، وأرى أن اختيار المقالات كان موفقا للغاية ، وألف شكر على هذين الطردين اللذين ستتحدث المجلة عنهما إلى قرائها ، وسوف أحدثك عن لغة العرب فيما بعد .

بلغ مشاعر امتناني إلى شكري أفندي ، على هذين النصين من كتاب «نرجس القلوب»(١) إني أفترض أن هذا المؤلف الشهير هو لابن الجوزي ، أليس كذلك؟

وبدلا من أن يسميه بروكلمان «كتاب نرجس القلوب ودليل على طريق المحبوب» سماه كتاب «نرجس القلوب ودال الحريق المحبوب» .

استلمت قبل خمسة عشر يوما نسخة من الطبعة المحدودة من كتاب الدكتور بيتنر ، الذي كتب لي في الوقت ذاته رسالة مثيرة للغاية ، حول وثائقك المتعلقة باليزيدية :

---

(١) نرجس القلوب والدال على طريق المحبوب لابن الجوزي ، ذكره صاحب كشف الظنون(٢ : ١٣٣٧) وفي رسالة من محمود شكري الألوسي إلى الأب الكرملي بتأريخ ٢٩/حزيران/ ١٩١١ «وقد صادفت ذلك اليوم عند مطالعتي في كتاب نرجس القلوب فنقلتها لصاحبنا لعلمي إنه يطيب بذلك نفسا ويزداد أنسا» ، أدب الرسائل بين الكرملي والآلوسي ، الرسالة مؤرخة بـ ١٩/حزيران/ ١٩١١ .

هذا هو ملخص الرسالة فهو يرى :

١- أن النصوص العربية التي اكتشفتها في كتاب الجلوة[1] تضم تنقيحا أفضل من النصوص التي نشرها أسوالدوباري ١٨٩٢- الترجمة الإنجليزية أو إزيا جوزيف ١٩٠٩ - وتمثل الأصل .

٢- إن نصك باللغة الكردية هو نص قيم ، لأنه يعطي المترادفات باللغة الكردية للكلمات المشكوك فيها في اللغة العربية واللغة الكردية أيضا ، وكذلك لأنه النص الوحيد المعروف حاليا ، والذي يعبر عن اللهجة الكردية الحديثة والقريبة من لهجة «المكري» .

وهو لا يذكر شيئا عن الأبجدية الغريبة المذكورة في وثائقك ، وأعترف بأن هذه الأبجدية مستمرة بإقلاقي ، وذلك لأنها أبجدية مختلقة حقا .

تقبل أبتي العزيز وصديقي ذكرى صلواتي غير الجديرة بصلواتك في المسيح وماريا وفي وحدة الكنيسة .

لويس ماسنيون

الجمعة

١٩١١/٧/٢٨

---

(١) كتاب الجلوة هو الكتاب المقدس لليزيدية ، وهو كتاب سماوي كتب بأسلوب الوحي المنزل ، ويتضمن خطاب الله إلى عباده ، والمقصود بهم اليزيديين ، ومصحف رش أو الكتاب الأسود فهو كتاب تأريخي طائفي يشتمل على نص حوادث القوم ، وشيء من عاداتهم وتقاليدهم ، وهو أقرب إلى الكتاب التاريخي ، وقد نشر إزوالد باري كتاب (الجلوة ومصحف رش) في العام ١٨٩٩ ، بينما نشر إيزا جوزيف أيضا كتاب (الجلوة ومصحف رش) :

Isa Joseph, The Amercan Journal of semitic Language on Litterture Vol, XXV P199-137.1909.

وهناك ترجمة أخرى نشرها G. Brown في العام ١٨٩٥ ، ومن المعلوم أن ==

الرسالة السادسة عشرة
١٧/آب/١٩١١

لافيل إفيك

في بورديك

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك جزيل الشكر على تمنياتك لي وسأبقى ممتنا لك بعمق على صلواتك ، فأنا بأمس الحاجة إليها ، وإني أذكرك باحترام بالأشخاص الذين وعدتني بأن أطلب منهم أن يصلوا لأجلي أمام سيدتنا في بغداد ، عندما تركنا بعضنا .

أشكرك كثيرا على الطرد الذي أعلنت فيه عن مجلتك القيمة وعلى دليل بغداد ، لا تنسني بخصوص صور الصليب التي طلبتها منك في رسالتي الأخيرة ، أليس كذلك؟ .

بلغ مودتي وتحياتي إلى السيد شكري آلوسي زاده وإلى الحاج علي ، أتذكرهم كل مساء أمام الله .

فليعنا الله على زيادة محبتنا له آمين .

احتراماتي

لويس ماسنيون

الخميس ١٧/٨/١٩١١

= المستشرق النمساوي M. Bittner نشر النصين الكردي والعربي لكتابي (الجلوة ومصحف رش) في مذكرات أكاديمية العلوم في فيينا Kaww على الصفحة ٥٥ من المجلد الرابع الصادر في العام ١٩١٩ ، وعلى الصفحة الثانية من المجلد الخامس للعام ذاته .

الرسالة السابعة عشرة
٤/أيلول/١٩١١

لافيل إيفيك

في بورديك

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك على رسالتك ، وأنا أعتقد مثلك بأن نص ابن عربي هو أكثر صوابا ولكن بن ثابت ستعير النص من المؤرخ الخطيب المتوفى ٦٣ هجرية ١٠٧١ ميلادية ، في حين أن النص الذي أشرت به إليك في المرة الثانية من مخطوطة أولو جامع[١] يعود إلى السلمي المتوفى في العام ٤١٢ هجرية/١٠٢١ ميلادية ، ولقيمته النقدية يجب استخدامه كأساس للعمل ، وينبغي إثبات سبب رفضه .

أنت تقول لي إن البيت الأخير :

وعليه من نسج النحوس مرقع

يبدو مثل صورة فقيرة جدا نسبة إليك ، ولكن كيف تترجمه؟

قل لي ذلك لأني عرضت عليك نصف البيت هذا ، لأني لم أفهمه .

أشكرك كثيرا على الأخبار المثيرة المتعلقة بإلقاء القبض على سعدون باشا[٢] ، ألا تظن أن مؤامرة القنصل كرو كان لها دور في ذلك .

---

(١) مكتبة كبيرة في استنبول تحتوي على كمية كبيرة من المخطوطات العربية ، يرد ذكرها كثيرا في مراسلات ماسنيون مع الكرملي .

(٢) سعدون باشا هو ابن شيخ المنتفك منصور باشا ابن راشد ابن ثامر ابن الشيخ سعدون المشتهرة به تلك القبيلة ، ولد سعدون باشا في العام ١٨٣٥ ودرس في بغداد ، حصل على لقب الباشوية من قبل السلطة العثمانية ، وتوفي في العام ١٩٣٠ .

سترى في العدد الحالي من مجلة العالم الإسلامي بأنها استعارت كثيرا من لغة العرب الفتية ، وإنه قد جرى ذكرها بحروف بارزة وفي عدة أماكن ، لقد أعجبتني كثيرا ، وإنك ملأت على نحو جديد برنامجها في العددين الأول والثاني .

أفوض أمري باحترام مع كل أولئك الذين ينبغي أن أصلي معهم إلى صلواتك وصلوات جميع من هم في نظامك عامة .

وعلى الأخص ذويك في المسيح وماري وجوزيف .

لويس ماسنيون

الاثنين

١٩١١/٩/٤

أوصيك بطلبي بتصوير الصليب أليس كذلك؟ .

الرسالة الثامنة عشرة
٢٥/تشرين الأول/١٩١١

شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

صديقي استلمت وفي الوقت المحدد لغة العرب وأهنئك على ما تلقاه من ترحيب وما تحققه من تقدم .

أنا جد ممتن لإشارتك لمخطوطة ابن تيمية[١] في دمشق .

(١) تقي الدين أحمد ابن تيمية ١٢٦٣-١٣٢٧ ولد في حران وأقام في دمشق ودرس فيها ، فقيه حنبلي حج إلى مكة وسافر إلى مصر ، أتقن الحديث والفقه والكلام على سنة الأقدمين ، رد عليه العلماء الشافعيون ومنعوه من التعليم ، له السياسة الشرعية ==

وأرجو منك أن تبلغ شكري أفندي عبارات امتناني وذلك لأنه دلك عليها .

سوف أكتب له في الحال .

أشكرك من قلبي على التصويبين الجديدين للجزء الثاني من كتابي .

سأنشر هذين التصويبين في قائمة التصويبات ، فضلاً عن تلك التي وصلتني سابقا من قبل بعض الأصدقاء النادرين من أمثالك ، والذين رغبوا وبدافع الصداقة الحقة ، أن يروني وقد صححت هفواتي وأخطائي .

تقبل مني أبتي العزيز وصديقي مشاعر الاحترام والامتنان والإخلاص من قلب قديستنا ومسيحنا .

صلِّ لنا مع جميع إخوتك .

لويس ماسنيون

الثلاثاء

١٩١١/١٠/٢٥

== في إصلاح الراعي والرعية ، طبع في دمشق ١٩٥١ ، ومجموعة الفتاوى طبع في خمسة أجزاء في مصر ١٩١١ .

وقد ذكر الآلوسي في رسالة مؤرخة في ١٥/أيلول/١٩١١ إلى الكرملي :

«إن لابن تيمية تصنيفا في الرد على الحلاج في خزانة كتب دار الحديث بدمشق»

وفي رسالة مؤرخة في ٢٧/ تشرين الثاني/١٩١١ ذكر :

«إن اسم الكتاب هو (رسالة في حال الحلاج ودفع ما وقع به التحاج) وتذكروا له أنه ينبغي لقنصل فرانسة في دمشق أن يراجع في استكتاب الشيخ جمال الدين القاسمي فاضل البلد في هذه الأيام ، فإنه أدرى من غيره في محل الكتاب «أدب الرسائل بين الآلوسي والكرملي» ، ص ٢٩٠ .

الرسالة التاسعة عشرة
٩ /تشرين الأول / ١٩١١

لافيل إفيك

بورديك

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك على إجابتك الصائبة ، وعلى العدد الثالث من مجلة (لغة العرب) التي تحقق تطورا من عدد لآخر ، وقد بدت لي هذه المرة جديرة بالملاحظة حتى من قبل قارئ غريب على العراق ، الملاحظات حول سامراء وسعدون باشا[١] هي في غاية الأهمية .

مر الصيف قاسيا وانتهى الآن بالأمطار .

إن المقالة حول البريم -عبادان أثارت اهتمامي خاصة بعد ما نقلت لي سلفا عنها .

لا تنس أن تقدم إلى المدام درور[٢] تحياتي وعمق احترامي ، وإلى الأب المبجل ليون ميشيل[٣] احتراماتي وذكراي المخلصة ، سأكون في غاية السعادة إن لم ينسني الأب المبجل لوي ويقوم بسحب الصور التي وعدني بها .

---

(١) يقصد مقالة كاظم الدجيلي وصف أطلال سامراء ، انظر ص١٦١ من العدد الخامس من السنة الأولى من مجلة لغة العرب .

(٢) المستشرقة الإنجليزية المعروفة بالليدي درور ، عاشت في بغداد في بداية هذا القرن ، كتبت مؤلفات مهمة عن الصابئة واليزيديين في العراق ، وهي كتب مترجمة إلى اللغة العربية في بغداد .

(٣) أحد الآباء الكرمليين في بغداد .

إن الوضع العالمي يزداد تفاقما ، فلم تعد المعاهدات تؤخذ بنظر الاعتبار من قبل الموقعين عليها والصراعات المغربية الطرابلسية تهدد بانفجار كل الأوضاع .

إن الوضع المعنوي في بلدي المسكين يتحسن ببطء ويزداد عدد الصلوات فيها ولكن ، هل ستكفي صلواتنا جميعا لإبعاد الخطر المتزايد الناجم من عدم الانضباط والفاحشة والدعارة وانعدام الشفقة؟

فالدولة عاجزة ، متخاذلة أو متواطئة ، ولم يعد بالإمكان سوى الاعتماد على الأسرار .

نحاول بمساعدة بعض الفلاحين والبحارة المتقاعدين الموجودين هنا- وتحت قيادة فيكار الكنيسة الخورية أن ننظم ونعزز وحدة للصلاة بين البشر ، لنعمل على زيادة الصلاة في هذه الخورنية في بورديك ونصل إلى وتيرة أعلى للأسرار ، من قبل الرجال الذين ما زالوا مؤمنين .

أنا من جانبي وبعد موافقة مسؤولي وصلت بعد ثلاث سنوات من الانتظار إلى المشاركة اليومية وإلى عدد معين من قواعد الحياة ، فأبعدت منذ أكثر من شهرين ذلك بلا مقاومة تقريبا خطايا قديمة جدا ، كنت أتصارع معها عبثا ، سبحان الله والقديسة العذراء والفضل يعود في هذا خاصة إلى نوتردام الكرمل .

الآن وبعد أن طهرت الداخل على نحو ما ، ولأني لم أعد أخشى نقل العدوى للآخرين - صار بمقدوري أن أؤدي الإحسان نحو آخرين غيري ، لم أشعر بالإذلال كثيرا ، بل بالمواساة الكثيرة ، ربما ، لكن الله هو معلم للمرضى المحتاجين للشفاء ، وللأطفال المحتاجين لمن يقودهم إلى المدرسة المسيحية ، وللفقراء المساعدة .

في الواقع إن سر سلام القلب يكمن هنا :

تعذيب الجسد لإحيائه في الطاعة ، وأن تمنح نفسك على نحو أكثر للآخرين مثلما يمنح الرب نفسه لنا .

إن هذه الكلمة ليست موجهة إلى القديس بيير فقط بل إلى كل واحد منا ، عند كل لحظة نجد أنفسنا فيها معرضين لنسيان الصليب ، وإن الحب السامي موجود هنا ، خلفنا ، وبالقرب منا .

أدعو بإلحاح صلواتنا وصلوات نظامك هذه الوحدة للصلوات بين البشر والتي أتضرع من الله أن يبقيها ويزيدها في هذه الخورنية في بورديك وبشكل أعم إلى كل الأعمال التي جعلنا الله نفكر بها .

لويس ماسنسون

الاثنين

١٩١١/١٠/٩

الرسالة العشرون
٦/تشرين الثاني/١٩١١

٩١ شارع الجامعة

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك جزيل الشكر على النشرة القيمة للكتب الجديدة المطبوعة في بغداد ، أيمكنك أن تشتري لي منها وترسلها لي :

جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام

وكتاب المجازات النبوية للسيد رضي الشريف الوسوي[١]

---

(١) والصحيح هو «مجازات الآثار النبوية» للسيد رضي الشريف الموسوي ، مؤلف حقائق التنزيل والمتوفى في العام ٤٠٦ ، انظر كشف الظنون ١٥٩٠ .

وأشكرك مقدما

أأمل أن لا يكون للحرب الإيطالية-التركية رد فعل عنيف عليكم للغاية ، إن النهج الذي اتبعته إيطاليا كان على القدر ذاته من الغدر والرعونة ، إن مصلحة أوربا والمسيحية وحدهما هما اللذان يجيزان أن نتمنى النجاح لمثل هذا الهجوم الغادر .

فضلا عن إن إيطاليا متورطة الآن كثيرا ، ولا يمكنها التراجع وكل شيء سينفجر في تونس وفي القاهرة إن هي جلت عن طرابلس ، ثم إن كل شيء هو بمشيئة الله .

احتراماتي

لويس ماسنيون

الاثنين

١٩١١/١١/٦

الرسالة الحادية والعشرون
١٢/كانون الأول/ ١٩١١

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك على رسالتك في ١٦ تشرين الثاني .

تعرفت جيدا على كازانوفا[١] في القاهرة ، وأنا ألتقي به في باريس مرتين في العام تقريبا ، لأنه في الواقع رجل شهم ، ولكنه غاضب بسبب

---

(١) مستشرق فرنسي شهير توفي في العام ١٩٢٦ ، تعلم الفرنسية وعلمها في معهد فرنسا ، كان مدرسا لفقه اللغة العربية في الجامعة المصرية في العام ١٩٢٥ ، من آثاره : (كرة سماوية في العام ٦٨٤ للهجرة) صدر في العام ١٨١٨ ، (ترجمة كتاب خطط المقريزي) صدر في العام ١٩٠٦ ، (تاريخ وصف حملة مصر) صدر في العام ١٨٩٤ .

ملاحقات أغلبية المستعربين الذين فرضوا عليه حجرا لأنه يعمل في الجزائر !!!

قال لي مرات بأنه لا يؤمن بشيء ، وعندما ناقشته حول الكاثوليكية كان دائما يقول لي بأنه لا يفهم كيف يمكن لمذهب ألا يتطور ، بيد أنه ليس بمقاوم متحمس للإكليروس .

عنوان البروفيسور إغناس غولدتسيهر هو :

Hollo-utczo. N 4, Budo Peat.

VII, Hongarie.

عنوان مرجليوث(١) هو :

Combridge.

Guy le Strang: Athealum.

Club, Pall Mall, London.

وإليك عناوين الرجال المهتمين بهذه المسائل .

١- عنوان البروفيسور أ .ج . أليس(٢) :

India Office Library. Whit Hall

London.

---

(١) المستشرق الإنجليزي الذي عني بترجمة معجم ياقوت الحموي .
وكان الأب أنستاس ماري الكرملي كتب بشأنه مقالة عنوانها (طبق الكريم الأستاذ مرجليوث) في مجلة دار السلام في بغداد العدد الأول للعام ١٩١٨ .
ومن الطريف أن الأب انستاس ماري الكرملي قد ذكر أنه سأل هذا المستشرق عن اسمه فأجابه أنه من أسرة مجرية الأصل ومن منطقة ذات أصل عربي اسمها مرج الليوث!! .

(٢) مستشرق إنجليزي له كشاف وصفي للمخطوطات العربية التي اقتناها المتحف البريطاني بعد العام ١٨٩٤ في لندن ، صدر في العام ١٩١٣ ، وفهرس الكتب العربية في المتحف بجزأين ، وفهرس الكتب العربية صدر في لندن في العام ١٩٢٦ .

٢- عنوان م .هـ .ف . إمدروز[١] هو :

York Terrace, Rageuts Park

London

٣- عنوان ميغيل آسين بلاثيوس[٢] هو :

Catedratico de Langua Arabe,

en La Universitat central, Madrid

بلغ السيدة دورور احتراماتي .

إن ما يقوله لي عن وصول الألمان والإنجليز له معنى عميق .

ستجد في مجلة «العالم الإسلامي» عدد تشرين الثاني ، الشرح المفصل للميزانية الضخمة التي خصصتها الجمعيات البروتستانتية الإنجليزية والجرمانية لغزو الإسلام .

سيكون من الضروري على البعثات الكاثوليكية في الشرق أن تبقى على اتصال مع الحركة الدفاعية الكاثوليكية في البلاد الإنجليزية والألمانية

(١) مستشرق سويسري إنجليزي الأصل الجنسية ، تفرغ لدراسة العربية ولا سيما مخطوطاتها وحرر في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ، عاون مرجليوث في طبع تجارب الأمم لمسكويه ، نشر تحفة الأسرار في تأريخ الوزراء لأبي حسن هلال الصابي في العام ١٩٠٤ ، والتذكرة لابن حمدون في العام ١٩٠٨ ، وترجم شعر شلر إلى العربية صدر في العام ١٩١٠ .

(٢) مستشرق إسباني ولد في العام ١٨٧١ في سرقسطة ، درس في مدارس الرهبان ، وأتم دراسته في كلية الفلسفة والآداب ، والتقى هناك بريبيرا الذي أصبح أستاذ اللغة العربية في العام ١٨٨٧ ، وأتم دراسته للدكتوراه بأطروحة عن أبي حامد الغزالي (الغزالي جانبه العقائدي والأخلاقي والصوفي) في العام ١٨٩٩ ، ثم نشر بحثه الشهير عن ابن عربي فأضاء له الطريق إلى سلسلة من الدراسات التي قام بها عن التصوف الإسلامي ، له العديد من الكتب والمنشورات من أهمها ما كتبه عن المعراج الإسلامي في الكوميديا الإلهية ، وما كتبه عن ابن حزم القرطبي ، توفي في العام ١٩٤٥ .

لأن الإسلام (كما حصل سلفا في سوريا) في العشرة الأعوام الأخيرة القادمة سوف لن تعرفه المسيحية إلا من خلال المؤلفات البروتستانتية .

سمحت لنفسي أن أرسل لك حول هذا الموضوع كتابين راجيا منك تقديمهما باسمي إلى الأب المبجل بروفنسال ، هما كتابان حول مهتدين فعلوا مؤخرا خيرا كثيرا في الأوساط البروتستانتية الإنجليزية والألمانية :

١- مس بيكر (التي أعرفها شخصيا من «سيرة الحج الأخيرة» والذي ترجم تحت عنوان «نحو بيت الضياء») في العام ١٩١١ .

٢- مون روفيل وهوير منسور ، العودة إلى الكنيسة المقدسة ، ١٩١١ .

هذان الكتابان يكشفان بشكل أفضل مما تفعله الرسائل الطويلة في أي ميدان تتلقى اليوم الهجوم ومن أي ميدان يتم الدفاع عنها .

أنت تعرف دون شك القنصل رونيه المسكين ؛ لقد توفي في ١٥ تشرين الأول بعد أن انكسر قلبه حزنا على إدانة ابنه ، وذلك في ظروف حزينة للغاية ، ينبغي الصلاة من أجله ، واسمح لنفسي أن أرسل لك في هذه الرسالة مبلغ عشرين فرنكا باسمه لإقامة قداس على روحه في كاتدرائية بغداد التي اصطحبني إليها في ليلة عيد الفصح من العام ١٩٠٧ .

أذكرني أرجوك في صلواتك وفي صلوات ذويك في وحدة الكنيسة .

لويس ماسنيون
١٩١١/١٢/١٢

أفكر بتقديم الشكر إلى شكري أفندي هذه الأيام على رسالته اللطيفة حول مخطوطة دمشق والتي لم أفلح بنسخها ، وبلغه تعازي لوفاة طاهر أفندي .

الرسالة الثانية والعشرون
٢٠/كانون الأول/١٩١١

أبتي العزيز وصديقي

أعتقد أن كتاب بهجة الأسرار ومعدن الأنوار[١] لا يبدو لك مختلفا جدا عن المؤلف الذي يحمل العنوان ذاته ، والذي ألفه الشطنوفي ، والذي طبع في القاهرة ، واعتقد أن شكري أفندي يملك نسخة منه .

أما في حالة ، وهذا احتمال ضعيف ، تعلق الأمر بتنقيح أكثر تطورا من النص المطبوع فإني أرجو منك أن تنسخ لي الصفحات الأربع والفقرات المختلفة وتشير إليها في رسالتك .

وإليك ما استنسخته من نص مطابق للنص المطبوع ، وطبقا لنسختين من مخطوطة تحمل ترقيما مختلفا في المكتبة الوطنية :

١- مخطوطة ، المكتبة الوطنية ٢٠٣٨ فيشة ٧٢ ت ، مخطوطة المكتبة ٢٠٣٩ بطاقة ٥٢ أ .

وقال في الحلاج وضع طار طائر عقل . . . (١٤ سطراً) . . . توضع جباه الخلائق أجمعين .

مخطوطة المكتبة الوطنية ٢٠٣٨ بطاقة ٩٨ب=مخطوطة المكتبة ٢٠٣٩ بطاقة رقم ٧٢ب .

---

(١) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار لأبي الحسن نور الدين علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي الشافعي ، المعروف بابن جهيضم الهمداني ، المتوفى في العام ١٣١٤/٧١٣ ، وهو كتاب يقع في ثلاثة أجزاء في مناقب السادة الأبرار من المشايخ ، أولهم الشيخ عبد القادر الجيلاني ، فرغ منه المؤلف في العام ١٢٦١/٦٦٠ ، توجد نسخة منه في دار المخطوطات في بغداد بالرقم ٤٣٠٥ .

طار واحد من العرفينة (١٩ سطراً) . . . إقامة وظائف خدمة الشرع.

٢- مخطوطة المكتبة الوطنية ٢٠٣٨ بطاقة رقم ١٣٣ب ، مخطوطة المكتبة الوطنية ٢٠٣٩ بطاقة ١٠١ب.

٣- عثر الحلاج عثرة فلم يكن(١٤ سطراً) قوس مؤشر لحفظك وأنت غافل وهذا كل ما هناك .

فإن وجدت فقرة إضافية فلتتكرم علي بنسخها أليس كذلك؟

أشكرك كثيرا على ما تفضلت به من تصويبات لجزء كتابي الأول وهي تصويبات قيمة ، وصلتني في الوقت المناسب لإدراجها في النسخة المصححة للجزء الثاني ، أشكرك مرة أخرى .

سأطالب لورد بإشراكك في مجلة العالم الإسلامي ، أشكرك على إشارتك حول دمشق ؛ فقد استطعت بفضل الأب لامنس من المعهد الإنجيلي أن أعثر على ناسخ وهو منكب على العمل حاليا على ما أظن .

تحياتي المخلصة للجميع واحتراماتي في وحدة صلواتنا وفي وحدة الكنيسة .

وعيد فصح سعيد أبتي العزيز وصديقي .

لويس ماسنيون

٢٠/كانون الأول/١٩١١

رسائل العام ١٩١٢
وعددها ١١ رسالة

الرسالة الأولى
٢٢/كانون الثاني/١٩١٢

أبتي المبجل وصديقي

اليوم هو عيد صاحب كتاب أسماء الشهداء وسائر القديسين «سنكسار»[١] معلمكم المشهور القديس الفارسي ، الذي قتله خسرو الثاني[٢] ، إني سعيد بأن أقدم لك تمنياتي .

سأشرع بتصحيح التجارب المطبعية من الجزء الثاني من كتابي[٣] ، غير أني قلق جدا حول مكان وقوع الأحياء التالية في بغداد ، والتي يعطي جونز[٤] أسماءها دون أن يعين أماكنها على خريطة بغداد وهي :

١-محلة خضر بك (بالقرب من أي مسجد)؟

٢- محلة جامع المالح .

---

(١) السنكسار هو كتاب تراجم القديسين ، وضع مثله البطريرك مكاريوس وسماه كتاب (تراجم القديسين) في العام ١٦٨٣ .

(٢) وهو كسرى الثاني ابن هرمز الرابع ، توصل إلى العرش بمساعدة موريق الإمبراطور البيزنطي ، احتل أورشليم ٦١٤ ، انتصر عليه هرقل ، اغتيل في السجن ، وهو خسرو زوج شيرين الذي تغنى بحبهما الفردوسي في رائعته الشاهنامة .

(٣) يقصد كتاب (مهمة في بلاد الرافدين) الذي ورد ذكره ، ويختص الجزء الثاني منه بخطط بغداد ومحلاتها ، وهو تحت عنوان (بغداد نقوش وطبغرافيا) .

(٤) يقصد خريطة فيلكس وجونز لبغداد التي نفذاها في العام ١٨٥٣-١٨٥٤ ، وللماسنيون انتقادات واعتراضات شديدة عليها .

٣- محلة المفرّج .
٤- محلة أبو شبل .
٥- محلة دلال (كذا) .

ولعل بإمكان شكري أفندي[١] أن يقول لي أين مكانها نسبة إلى المسجد كذا ، في أية جهة تقع كل منها ، فهل تقع إلى الشرق أم إلى الغرب من الموضع الفلاني المعروف ، مثل المساجد(سراج الدين ، الشيخ عبد القادر ، العادلية) .

أعتمد على شهامة صداقتك ، لتخبرني عن نتائج تحريك في أقرب وقت ممكن ، أليس كذلك؟

تقبل وافر شكري مقدما ، وولائي وإخلاصي واعترافي .

لويس ماسنيون
الاثنين
١٩١٢/١/٢٢

---

(١) يتضح أن الكرملي اتصل بالآلوسي وسأله عن مطلب ماسنيون ، وفي رسالة جوابية أرسلها السيد محمود شكري الألوسي إليه ورد ما يلي :

«بعد التحية : إن من خرج من مسجد الشيخ عبد القدر متوجها نحو الغرب يمر على محلة الصدرية نسبة إلى صدر الدين ، وهو رجل من الأكابر له تربة هناك قرب مسجد الشيخ سراج الدين ، ثم محلة سعيد وقاضي الحاجات ، ثم على محلة أبو دودو لا دلال كما كتب(يقصد ماسنيون) ، ثم على أبي سيفين ، ثم على محلة البو شبل ، ثم على محلة البومفرج ، ثم على محلة جامع خضر بك المتصلة بمحلة الحمام المالح ، لا الجامع المالح ، والمسجد يسمى مسجد حمام المالح ، أو مسجد بوشناق أحمد باشا ، وكل هذه المحال في غربي مسجد الشيخ عبد القادر أو مسجد سراج الدينة ، هذا وأرجو تحرير سلامي للصاحب الأعز (يقصد ماسنيون) ودمتم سالمين» . ==

الرسالة الثانية
١/شباط /١٩١٢

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك بحرارة على الملاحظة الدقيقة التي أمدك بها شكري أفندي الآلوسي ، سوف أكتب له لأشكره .

أشكرك على انتظام إرسالك لي لغة العرب المليئة دوما بالمعلومات القيمة والجديدة .

اعذرني لرسالتي القصيرة هذه ، سأغادر هذه الليلة إلى أثينا واستنبول وسأعود بعد أربعة أسابيع بمشيئة الله .

مشاعر احترامي لك وإلى ذويك في قديستنا والمسيح .

لوس ماسنيون

١٩١٢/٢/١

== شرق

* مسجد الشيخ عبد القادر
* صدرية
* بني سعيد وقاضي الحاجات
* أبودودود
* أبو سيفين
* البوشبل
* البومفرج
* مسجد خضر بك
* محلة حمام المالح

غرب .

رسالة بتاريخ ٢٢ شباط من العام ١٩١٢ ، أدب الرسائل بين الكرملي والآلوسي ، ص ٢٩٧ .

الرسالة الثالثة
٦/آذار/١٩١٢

١٦-شارع الجامعة

أبتي المبجل وصديقي

نعم أنا أعرف (فرق)[١] وحتى إني نقلت الفقرة المتعلقة بالحلاج في العام ١٩٠٧ عن المخطوطة الوحيدة في برلين ، وذلك بوقت طويل من صدور طبعة محمد بدر السيئة .

وبخصوص هذه الطبعة فإن غولدتسيهر عمل مراجعة نقدية للأخطاء الأساسية في مجلة (انترانت دير روج ميرجند جيزلش) المجلد LXV ص ٣٤٩-٣٦٣ ، وهو أمر لا بد منه لمن يريد استخدامها .

أشكر نيابة عني السيد محمود شكري الآلوسي ، على رسالته التي سأجيب عليها ، إن عدد كانون الأول من العام ١٩١١ من مجلة العالم الإسلامي هو (فهرس عام) للسنوات الأربع ، وسيصدر قريبا .

ستصدر المجلة بشكل فصلي وبحجم ٣٠٠ صفحة .

إن شاء الله .

احترامي وإجلالي إلى كل ذويك في سيدتنا وقديسنا .

لويس ماسنيون

الأربعاء

١٩١٢/٣/٦

---

(١) يقصد (كتاب الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي ، طبع في مصر في العام ١٩١٠ ، والفقرة المتعلقة بالحلاج هي : (وروي أن الحلاج مر يوما على الجنيد فقال له أنا الحق ، فقال أنت بالحق أية خشبة تفسد) . وقد كتب ماسنيون واحدة من أهم مقالاته عن الحلاج تحت عنوان (أنا الحق) .

الرسالة الرابعة
٢٣ /أيار/١٩٢١

أبتي العزيز وصديقي

سعدت كثيرا برسالتك في ٣ أيار وكنت أخشى أن تتركني أتعذب ، أتمنى أن يكون جميع أهلك بخير ، وأتوسل إليك أن تفوض صلواتي إلى الأب المبجل بروفنسال ، وإلى كل صلواتك .

نعم لقد أثار مؤتمر المستشرقين[(١)] اهتمامي كثيرا ، وأنقل لك قائمة المداخلات التي قدمها قسم الإسلام ، وأظن أن لغة العرب والتي تهمني كثيرا ، تحتاج إليها.

١-الأب المبجل لامنس ، حول المسجد في أول نشأته ومنزلته في القرآن .

٢- سبكا في صورة صور فيها ذا القرنين .[(٢)]

٣- بيكر[(٣)] الإسلام السوداني (تشاد) طبقا لبعثات ميكلمبرج ، دخول دعاة العرب (رابع)-مراكز بث الدعوة-عبادة الأئمة -حج مكة .

---

(١) مؤتمر المستشرقين الذي أقيم في أثينا في العام ١٩١٢ .

(٢) دراسة سبكا عن الاسكندر الكبير ابن فيلبس ملك مقدونيا الملقب بذي القرنين ، وحاول سبكا فيها أن يقترب من صورة الاسكندر في التاريخ العربي الإسلامي ، والمقالة منشورة في Der Islam, V3, 1912 .

(٣) كارل هانريش بيكر ولد في العام ١٨٧٦ وتوفي في العام ١٩٣٣ ، يعد واحدا من أهم المستشرقين الألمان ، أسس مجلة الإسلام في العام ١٩١٠ ، ودرس العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية ، له مؤلفات عديدة عن الإسلام منها : نشر (مناقب عمر بن عبد العزيز) لابن الجوزي مع مقدمة واسعة صدر في لايبزج في العام ١٩٠٧ ، (سيرة ابن عبد الحكيم) صدر في العام ١٩٣٧ ، (مصر في عهد الإسلام) في العام ١٩٠٣ ، (النصرانية والإسلام) في العام ١٩٠٧ .

٤- مرجليوث : نقد المجلد السادس من معجم الأدباء لياقوت[(١)] ، وفيه تراجم في غاية القدر والشأن للجاحظ والشافعي والطبري.

٥- مدام دولدن تحليل لترجمتها للفصل الثاني من الرسالة القشيرية[(٢)] .

٦-أحمد زكي باشا[(٣)] (القاهرة) ، دراسة في نقل الألفاظ الكلامية اليونانية تضمنها باب معرب غفل محفوظ في خزانة كتب طوبقو ، والكتاب الأصل يعود إلى الإغريقي الإنسانوي غمطس بليطون.

٧- أحمد زكي باشا :

أ) نقد كتاب كنز الدرر[(٤)] .

ب) عرض ما يريد أن يتولى طبعه من الكتب العربية القديمة ككتاب التاج للجاحظ[(٥)] ، وكتاب النويري[(٦)] ، وكتاب ابن فضل الله

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي المؤرخ والجغرافي العربي الرومي الأصل ، ولد في العام ١١٧٩ وتوفي في العام ١٢٢٩ م ، وقد اشتراه تاجر من حماه وعاش في حلب ،له (معجم البلدان) ، (ومعجم الأدباء) و(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) .

(٢) وهي رسالة أبي القاسم عبد الكريم القشيري الذي توفي في العام ٤٦٥ هجرية /١٠٧٢ ميلادية ، صوفي من الأعلام ، وفقيه شافعي ذو مشاركة في الأصول والكلام والتفسير ، أقام في نيسابور ،له (التفسير الكبير) (والرسالة القشيرية) .

(٣) أحمد زكي باشا ، كاتب ومفكر عربي من أصل مغربي ، ولد في الإسكندرية في العام ١٨٦٦ ، وتوفي في القاهرة في العام ١٩٣٤ ،له العديد من المؤلفات منها (تأريخ المشرق) ، و(الدنيا في باريس) و(السفر إلى المؤتمر) .

(٤) يقصد (كتاب كنز الدرر في أصل التتر)لابن مكر الدوداري المتوفى في العام ٧٠٩ هجرية .

(٥) (كتاب التاج) لأبي عثمان عمرو الجاحظ (٧٧٥-٨٦٨) العالم الأديب الذي ولد في البصرة وتوفي فيها .

(٦) يقصد كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) لشهاب الدين النويري ، وهو الأديب المصري الذي خدم المماليك ، توفي في العام ٧٣٣ هجرية - ١٣٣٣ ميلادية ، ويقع كتابه في ثلاثين مجلدا ، ونشرت منها دار الكتب المصرية ٢١ مجلدا (القاهرة ١٩٣٣-١٩٧٦) .

العمري[١] ، وكتاب الأصنام للكلبي[٢] .

٨- أحمد زكي باشا في نشوء وتكافل الفنون الجميلة عند المسلمين .

٩- الشيخ أحمد الأسكندراني[٣] (من أساتذة مصر القاهرة) تحليل لكتاب آداب اللغة الدارجة المعربة ، وفيه بحث عن الأغاني وما يتعلق بها .

١٠- دوفوراك[٤] ، دراسة حول طبعة ديوان باقي التركي واقتباسه من أفكار حافظ .

١١- لويس ماسنيون ، نقد عبارة المتصوفة (أنا الحق)[٥] ، استنادا إلى ما كتبه أهل الجدل من المسلمين .

---

(١) يقصد كتاب (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري ، الذي تولى تحقيقه أحمد زكي باشا ، وقد صدر في مصر في العام ١٩٢٤ .

(٢) كتاب (الأصنام) لهشام بن محمد السائب الكلبي ، المؤرخ وعالم الأنساب ، المتوفى في العام ٢٠٤ هجريه ، وقد نشره أحمد زكي باشا وعني بتحقيقه ، فظهرت طبعته الأولى في بولاق في العام ١٩١٤ ، وظهرت الطبعة الثانية بمطبعة الكتب المصرية في العام ١٩٢٤ .

(٣) أديب وعالم من علماء مصر توفي في العام ١٩٣٨ ، وترجمته في مجلة الرسالة ، العدد السادس من العام ١٩٣٨ في ص ٧١٤ .

(٤) عالم ومستشرق سويدي ولد في العام ١٨٦٠ وتوفي في العام ١٩٢٠ ، وهو أستاذ اللغات الشرقية في براغ ، له كتاب في شعر أبي فراس الحمداني طبع في ليدن ١٨٩٥ .

(٥) وهي المقالة الشهيرة التي طبعت للمرة الأولى في المجلة الألمانية (الإسلام Der Islam) في المجلد الثالث للعام ١٩١٢ ، وقد نشرت أكثر من مرة .

انظر :

Louis Massignon, Opera Minora, Tome III, Y. Moubarak, ed. Beyrouth, Dar el-Maaref, 1963. وانظر أيضا الببلوغرافيا الكاملة التي أعدها يواكيم مبارك عن ماسنيون تحت عنوان :

Oeuvre de Louis Massignon, Beyrouth, Ed, du Cenacle libanais, 1972-1973.

١٢-ج . ج . هس[١] . بحث في لهجة نجد الحالية وفي انتقال النبرة والتنوين في كلامهم كما هي في (هي امرأة لي) فيقولون (هي مرتاللي) .

١٣ -ناصف حفني بك[٢] بحث في (من ديار مصر) مسقط رأس مارية القبطية وبحث آخر عن رقيم عربي في بلاد اليمن .

١٤- أحمد حكمت بك[٣] (من الأستانة) ميل الآداب التركية العصرية إلى اللغة الطورانية .

١٥- الدكتور أوغسط فيشر[٤] (لايبزك) في مشروع وضع معجم عربي توضع مواده من كتاب الفصحاء ، مواد أو ألفاظ لم يذكرها أصحاب المعاجم .

١٦- الدكتور إغناص غولدتسيهر بحث في علم كلام فخر الدين الرازي وجمعه الفلسفة إلى علم الكلام ، ومجادلته لأهل الجرجانية (وكانوا معتزلة من خوارزم) التي أقامها على ثلاثة دعائم وهي :

١) ضوابط لتأويل القرآن

٢) نقد الحديث نقدا بتدقيق .

---

(١) ج .ج . هس مستشرق نمساوي عني بالنحو واللهجات العامية في شبه الجزيرة العربية والعراق ، توفي في العام ١٩٢٥ .

(٢) شخصية ثقافية فكرية عربية ، ولد في بركة الحج في مصر في العام ١٨٦٠ وتوفي في العام ١٩١٩ في القاهرة ، تخرج من جامع الأزهر ، اشترك في الثورة العربية ، له العديد من المطبوعات منها (تأريخ الأدب أو حياة اللغة العربية) وديوان مطبوع .

(٣) كاتب وأديب تركي توفي في الأستانة في العام ١٩٣٣ .

(٤) أوغسط فيشر مستشرق ألماني كبير ، ولد في العام ١٨٦٥ وتوفي في العام ١٩٤٩ ، عني بفقه اللغة العربية ، أصبح مديرا للمجلة الآسيوية الألمانية في لايبسج ، يعد واحدا من أكبر المستشرقين الألمان في القرن العشرين .

٣) نظرية خلق الكلام .

كتبت إلى صديقنا شكري أفندي فقد يثير اهتمامه وربما ستوصل أنت له عرض المؤتمر إن لم يسنح لي الوقت بنقله له ، ولاعتقادي بأنك ستتكرم بترجمته إياه وبإيجاز .

إن ما نقوله عن الوضع السياسي يثير اهتمامي كثيرا ، فزودني كرما منك وابعث لي بالكتب المهمة التي تطبع في بغداد .

بخصوص مجلة العالم الإسلامي قل لي ما هي الأعداد التي تنقصك .

لا بد أن تكون قد استلمت الفهرس العام (المجلد السابع عشر) ، والذي يمتاز بأهمية وإن لم يكن كاملا فلا بد أن تكون أعداد كانون الأول ١٩١١ ، وآذار ١٩١٢ قد وصلتك منذ أن أصبحت المجلة فصلية .

فليحفظك الله!

أفوض أمري بإجلال إلى صلواتك وصلوات ذويك .

لويس ماسنيون

١٩١٢/٥/٢٣

الرسالة الخامسة

١/حزيران/١٩١٢

أبتي المبجل وصديقي

نعم قرأت ونقلت (نص رسالة الغفران) عن الحلاج ، وإنه لمن الضروري أن نقارن نص اليازجي[1] الذي يتسم بعدم دقته وصحته مع

(١) إبراهيم اليازجي ولد في العام ١٨٤٧ في بيروت وتوفي في العام ١٩٠٦ ، ويعد من أئمة النهضة الأدبية واللغوية ، درس على أبيه الشيخ ناصيف ، درس العبرية والسريانية ==

الطبعة الثانية المختصرة للرسالة التي نشرها نيكلسون[١] (طبعة الجمعية الملكية الآسيوية) .

أشكرك على الأخبار السارة لمطران جنوياك الذي سأسارع بالكتابة إلى صديقه السيد توروسو وانجن ، الذي أقلقته الحوادث التي وقعت مع المفتشية العثمانية .

اعذرني على هذه الرسالة المختصرة ، وافيني بأخبارك وبلغ سلامي إلى أصدقائي الآلوسيين .

أوحد صلواتي مع صلوات جميع ذويك في القداس .

لويس ماسنيون

السبت

١٩١٢/٦/١

= علم في المدرسة البطريركية ببيروت ، صنع بيده أمهات الأحرف العربية للمطابع ، نقح نصوص العهد القديم التي ترجمها الآباء اليسوعيون ، هاجر إلى مصر ١٨٩٤ وتوفي فيها ، أسس مجلة الضياء وحرر القسم الأكبر منها ، من آثاره : «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد» في مجلدين و«العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب» .
عني إبراهيم اليازجي بنشر رسالة أبي العلاء المعري «رسالة الغفران» في رده على ابن القارح مع أحد علماء الأزهر في العام ١٩٠٧ ، وقد نشرها نكيلسون عن الصحيفة الملكية الآسيوية في العام ١٩٠٢ .

(١) رينولد ألن نيكلسون مستشرق إنجليزي شهير ، وعالم بالتصوف الإسلامي ، ولد في العام ١٨٦٨ وتوفي في العام ١٩٤٥ ، أتقن اللغة العربية والفارسية ، من كتبه (متصوفة الإسلام) و(تاريخ الآداب العربية) ترجم كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي للإنجليزية .

الرسالة السادسة
١٦/تموز/١٩١٢

مدينة الأسقف

بورديك

أبتي المبجل وصديقي

في هذا العيد عيد سيدتنا في جبل الكرمل ، اسمح لي أن أقدم لك امتناني وأمنياتي ، وإخلاصي لك ولكل ذويك ، ولكل أعمالك ، ولمجلة لغة العرب الفتية المقدامة وليبارك الله كل جهودك .

صل قليلا لي ، صل قليلا كي أنجز إطروحتي حول الحلاج ، التي أعمل عليها منذ أربعة أعوام فقد حان الوقت لأنتهي منها .

إذا عثرت على ما هو منشور بشأنها فاعلمني بذلك .

انتهيت من تأليف الجزء الثاني من بغداد[١] . . أخيرا! وسوف أقدم الكتاب إلى الطبع عما قريب ، إذا أراد الله ، إن الشعور بعجزي وعدميتي هو أقل مرارة الآن ، وذلك لشعوري أن حب الله لكل منا هو حب عظيم .

كيف لي أن أشكره على كل ما منحني إياه ، ولا سيما أنه سمح لي أن أتبين شيئا من جماله الكامل ومن مجده بين قديسيه .

كانت حياتي من الناحية الإنسانية قبل أربعة أعوام عبثا ، ولكن إن وجدت فيها بعضا مما تمنيت ، ووجدت فيها قليلا من الإرادة الطيبة على الطاعة بخشوع ، ستكون فرحتي عظيمة . . . ولكن هل سيتحقق هذا ؟

المجد للرب في عليائه ، وسلاما على أرض البشر ذوي النيات الحسنة!

---

(١) يقصد الجزء الثاني من كتابه (بعثة إلى بلاد الرافدين) وهو (بغداد نقوش وطبغرافيا) .

في هذا العيد عيد سيدتنا في جبل الكرمل ، فلنتضرع إلى أمنا المشتركة كيما تتوسط لدى الرب ليمنح الكنيسة السلام والوحدة في حبه .

لويس ماسنيون

١٩١٢/٧/١٦

الرسالة السابعة
٥/آب/١٩١٢

أبتي المبجل وصديقي

إني ممتن لأمنياتك لي ، وأفوض أمري إلى صلواتك ، لعلي أنتهي من إنجاز مؤلفاتي المختلفة ، وأن تحمل كل ثمارها .

أفوض أمري إلى صلوات كل ذويك وخاصة الأعمال الكاثوليكية التي حاولت أن أسهم فيها ، وعلى الأخص في هذه الخورنية الصغيرة في بورديك التي أتيت إليها في العام ١٩٠٨ .

من سيصبح والي بغداد ، لأن الكولنيل جمال(١) سيغادر؟

الله أعلم .

كل تمنياتي المخلصة إلى إنتاجك وإلى مجلتك المقدامة ، وكل أمنياتي إلى الأب المبجل بروفنسال والأب المبجل لويس وإلى كل ذويك .

التقيت بالأب المبجل بيير بفائق الفرح ، وهو كما عهدته شهم شكرا إلى الله!

---

(١) يقصد جمال باشا (١٨٧٢-١٩٢٢) قائد الجيش العثماني في سوريا في العامين ١٩٥١ و١٩١٧ اشتهر بظلمه في إعدام جماعات العرب ، اغتيل في تفليس .

صلواتي لسيدتنا ولجوزيف

لويس ماسنيون

الاثنين

١٩١٢/٨/٥

سلامي المخلص إلى بيت الآلوسي

الرسالة الثامنة
٢٩/آب/١٩١٢

مدينة الحبر في بورديك

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك كثيرا على إشارتك إلى عريسات(١) ، إنه نوع من أم الغراف

(١) كتب الأب انستاس ماري الكرملي في مجلته لغة العرب في العدد الثالث من العام ١٩١٢ في ص ١١٢ وتحت عنوان (عـريســات Oreisat, ou une vill souteraine de l'Euphrate) ما يلي :

«ذكر لنا الثقة إنه على بعد ٤ ساعات من جنوب غربي الفرات ، باب كباب السرداب يؤدي إلى ديماس واسع فيه أزقة ودور مبنية بالآجر ، وفيه فسحة يقوم فيها منبر مبني بالآجر وجصص يصعد إليه بدرج ، ويظن أن هذا الديماس كان مسلحة للنعمان بن المنذر لأنه يروى أنه كان له مسلحة تحت الأرض ، فنؤمل أن بعض القراء والمشتركين الذين في نواحي النجف يوافوننا مما رأوه أو يرونه في هذه المدينة الغريبة ولهم منا سلفا مزيد من الشكر» .

وقد كتب الكرملي في العدد السادس من المجلة عن العريسات ، على أن الذي رآها هو العلامة محمد رضا أفندي الشبيبي ، وأنه سأل المستشرق الفرنسي ماسنيون وقد دله على أنه كتب عن ذلك في كتابه بعثة إلى بلاد الرافدين ، وقد ترجم الكرملي فقرة من كتاب ماسنيون الآنف الذكر ، وهي الفقرة التي تخص أم الغراف . راجع لغة العرب الجزء السادس من العام ١٩١٢ .

(راجع الجزء الأول من كتابي) .

إن ما ذكرته لي بخصوص عيد ٤٢ تموز في بغداد جدير بالاهتمام ، لابد أنك علمت أن تغييرا حدث منذ عام في الأستانة ، وأن هذا الأمر بداية لتغييرات أخرى أعظم دون شك .

قل لي إن كان ديوان الحلاج[1] مهما لمجلة لغة العرب؟

اقترحت الحكومة علي أن أتقدم للعمل في الجامعة المصرية (في القاهرة) بصفة أستاذ مساعد للغة العربية وفي موضوع من اختياري في الشتاء القادم .

سأحزم أمري على القبول لأنه يمكنني أن أكون مفيدا هناك .

لذا أطلب لي من أصدقائي شكري أفندي والحاج علي ، تحت أية ظروف وما هي توجيهاتهم التي يمكنني باعتقادهم أن أقدم محاضراتي ، وبطبيعة الحال ما سأقدمه هي دروس في التاريخ ، ذلك لأني لست قادرا على إعطاء دروس في النحو!

أفوض أمري بإجلال وإخلاص مع كل أولئك الذين يجب أن أصلي معهم ، إلى صلواتك وصلوات نظامك في مشاركة الكنيسة المقدسة وأمنا .

لويس ماسنيون

١٩١٢/٨/٢٩

أرسل لك نسخة من محاضرتي في أثينا

---

(١) صدر ديوان الحلاج أول مرة في القاهرة في العام ١٩١٢ وقد جمعه لويس ماسنيون ، ثم أصدره كامل الشيبي محققا في بغداد في العام ١٩٧٢ ، ثم أعيد طبعه من قبل عبده وازن في بيروت في العام ١٩٩٤ ، وأعاد تحقيقه ونشره مع المجموعة الكاملة للحلاج الباحث العراقي قاسم محمد عباس ، وصدر عن دار رياض الريس في بيروت في العام ٢٠٠٢ .

الرسالة التاسعة
٢٢/أيلول/ ١٩١٢

لافيل إيفك ، في يورديك

أبتي المبجل وصديقي

أشكرك على رسالتك في السادس والعشرين والثالث والعشرين من آب ، وعن لغة العرب وسبل الرشاد(١) .

اشتريت الأرشيف الآسيوي(٢) في الأستانة هذا الربيع ، ولم أجد بها الرصانة المرجوة ، إن المسمى إكزمنس لا يوحي شكله كثيرا بأنه سمسار غير رسمي الله أعلم .

---

(١) مجلة عراقية أصدرها محمد رشيد الصفار في العام ١٩١٢ ، وقد ورد على أول صفحة منها ما يلي :
«سبل الرشاد مجلة دينية علمية اجتماعية فلسفية تاريخية ، تصدر في الشهر مرة ، لصاحبها ومديرها المسؤول محمد رشيد الصفار - يحرر فيها أحد فضلاء الهيئة العلمية- اشتراكها السنوي ريال مجيدي في الممالك العثمانية ، وفي البلاد الأجنبية يضاف عليها أجرة البريد ، ونصف القيمة لتلاميذ المدارس والعلماء ورؤساء الأديان على اختلافها» .

(٢) الأرشيف الآسيوي مجلة فرنسية صدرت في الأستانة في العام ١٩١٢ ، كانت تصدر مرتين في الشهر ، تتعلق أبحاثها بالشرق الأقصى والأدنى ، وقد كتب الأب أنستاس الكرملي عن عددها الأول تعريفا في باب المشارفة والانتقاد من مجلته مجلة لغة العرب ، العدد الثالث ، من العام ١٩١٢ ، في الصفحة ١١٤ .
وربما جاء تعليق ماسنيون هذا بناء على الانتقاد اللاذع الذي وجهه لها الكرملي في عدد أيلول من مجلته ، حول مقالة فيها بعنوان (سنو تأريخ الخلفاء) ، وقد اختتمها بالقول الآتي : «والظاهر أن الكاتب كلداني النسب ، فأراد أن ينسب إلى قومه كل ما يقع عليه من أمور التاريخ ، والتاريخ لا يكتب بهذه الصورة ، فعسى أن يدقق فيه أكثر مما قرأناه إلى اليوم ، وما هذا بصعب المنال لذوي الهمم من الرجال» .

أتمنى مثلك أن ينجح عمل المستشفى العظيم .[١]

سأرسل لك عن قريب افتتاحية ديوان الحلاج[٢] وسأنال الشرف إذا قبلت لغة العرب على نشره على أعمدتها ، سأكون ممتنا كثيرا لك إن أرسلت لي تأريخ بغداد ورسالة الفقه الشيعي التي تحدثت لي عنها في رسالتك إن لم يكن هذا يزعجك .

أفوض أمري بإخلاص إلى صلواتك وصلوات نظامك في مشاركة الكنيسة وأدعو الله بالأخص أن لا يساء الظن بعملي حول الحلاج ، وأن يجعل المسلمين يفكرون بسيدنا المسيح .

لويس ماسنيون

الأربعاء

١٩١٢/٩/٢٢

الرسالة التاسعة
٣/تشرين الثاني/١٩١٢

القاهرة منيرة صندوق بريد ٢٤٦

أبتي العزيز وصديقي

شكرا على رسالتيك في ٢ و٢٠ تشرين الأول .

سأحاول أن أرسل لك افتتاحية ألف ديوان الحلاج ، ولكن محاضراتي

---

(١) ربما يقصد ماسنيون مستشفى الأخوات الراهبات الذي شيد في بغداد في العام ١٩١٢ .

(٢) لم نعثر على ديوان الحلاج في مجلة لغة العرب ، وربما عدل ماسنيون عن رأيه فيما بعد .

تأخذ مني كل وقتي ، وهي محاضرات ألقيها باللغة العربية[١] ، تبعا لملاحظاتي ولا أقرأ شيئا غير الاستشهادات وهو أمر يثيرني بقوة ، هو أن أفكر باللغة العربية وأن أعلم تلامذتي أن يفكروا مثلي .

إن موضوع محاضراتي هو تاريخ المذاهب الفلسفية العربية في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية في اللغة العربية وخدمتها الخاصة للمدنية العامة .

وهذا هو برنامج درسي الأول (الخامس والعشرون من تشرين الثاني للعام ١٩١٢)

المحاضرة الأولى

تحية مقدمة

١) في الطريق الذي اخترنا لبيان تأريخ الفلسفة العربية هو ذكر المقولات العقلية والأسماء الكلية والمقالات العامة ، ونخصص فيه معانيها على مرور الدهور .

٢) تأسيس قاموس عربي للاصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية ، وبيان فوائدها لإصلاح اللغة الفلسفية الحالية .

٣) أهمية المصطلح الفلسفي لإحياء التمدن والأدب .

٤) علائق الاصطلاحات الفلسفية مع المشاكل الحالية عند الأخلاق الاجتماعية .

---

(١) نشر ماسنيون هذه المحاضرات وعددها أربعون محاضرة في كتاب تحت عنوان (محاضرات حول أصول المعجم التقني للتصوف الإسلامي)

L. Massignon, Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane, Urin, paris, 1954.

المحاضرة الثانية
(الثامن والعشرون من تشرين الثاني في العام ١٩١٢) الدرس الثاني
البرنامج مرفق طيا .

أظن أن مسألة القاموس الفلسفي هي مسألة في غاية الأهمية .

إن مشاعري المخلصة تتوجه نحو محمود شكري الآلوسي وإلى الحاج علي ، لقد تأخرت عليهما كثيرا ، وسأحاول أن أكتب لهما عما قريب ، فليسامحاني على هذا التأخير فأنا دائم التفكير بهما .

لقد صدر الجزء الثاني من كتابي عن بغداد(نقوش وطبوغرافيا تأريخية) أخيرا[١]!

سوف تستلم نسختك منه في غضون الخامس عشر من كانون الثاني .

أتمنى أن تقرأه بانتباه لأني عملت به كثيرا وأحب أن تعطيني نقدك فيه .

إن كتاب الطواسين[٢] (طبعة) الحلاج قد تم إصداره .

فات الأوان نسبة إلى الشاب الشيعي من النجف[٣] ، وأنا لا أستطيع

---

(١) يقصد الجزء الثاني من كتابه (بعثة إلى بلاد الرافدين) الذي صدر في العام ١٩١٢ ، والذي يخص خطط بغداد ، وكان جزؤه الأول يخص حصن الأخيضر ووصفه ، والذي صدر في العام ١٩١٠ .

Mission a Misopotamie, Vols, Le Caire, 1912.

(٢) كتاب للحلاج ، وهو عبارة عن مناجيات طبع أكثر من مرة ، ولكن ماسنيون هو الذي عني بنشره في باريس في العام ١٩١٢ .

Halaj , paris, 1912.. Twasin d al'

(٣) يقصد شخص من بيت الشبيبي العائلة النجفية الشهيرة ، كان قد كتب رسائل عديدة للأب انستاس الكرملي يتوسله فيها أن يطلب له من لويس ماسنيون التوسط له ==

حقا أن أرسل المال دون ضمانات .

لا أدري ماذا حل بالبيان ولا بالأرشيف الآسيوي .

أنا لا أعتقد أنه أمر سيئ أن نلتقط بالإسلام ما هو صالح ومسيحي أمام مستمعين مسلمين ، إن الدور الأول للكنيسة هو دور تثقيفي مذهبي ، وكل ما نعترف به لأهلنا يجب أن يرفع ويثبت ويدعم ، فضلا عن ذلك علينا أن نحطم بهذا التأكيد ما في الإسلام من زيف وسوء وما هو معاد للمسيحية .

إن التأكيد في سبيل المثال على أن للمسلم وحده الحق في (الغزالي إحياء ج٤) وجوب المحبة إلى الله ، يعني أن نهدم بوساطة هذا المفهوم أولوية العقيدة ، مثلما يعلمها القرآن وطبقا للمتكلمين .

أفوض أمري إلى صلواتك وإلى صلوات ذويك

احتراماتي في وحدة الكنيسة .

لويس ماسنيون

١٩١٢/١١/٣٠

شكرا إلى الله أجيز لي تناول القربان كل يوم ، وأؤكد لك أنه منذ عام مدني هذا الأمر بعون كبير ، أما بخصوص الشرود ، وا أسفاه إني لست قادرا على أن أقولب عقلي على أطروحات التأمل الموجودة في الكتب .

إن وجود الله في روحي لأمر جد حقيقي ، حتى إني لا أتمكن من أن أتخيله بوصفه يتمناً وبإرادتي ، بعد هذا فإني أفتقر دون شك إلى البساطة .

= للدراسة في باريس ، وقد طلب من الكرملي كتيبا لتعلم اللغة الفرنسية ، لقد كان مشغوفا إلى حد الهوس بالسفر إلى باريس ، ولأنه كان من عائلة دينية ، فقد طلب من الكرملي التكتم على هذا الأمر .

رسائل العام ١٩١٣
وعددها ١٠ رسائل

الرسالة الأولى
٤/كانون الثاني/١٩١٣

القاهرة

منيرة/ صندوق البريد ٢٤٦

-تحياتي المخلصة إلى الأب المبجل بروفنسال وإلى الأب المبجل لويس

-تمنياتي إلى شكري أفندي وإلى الحاج علي ، اللذين أكتب إليهما وأرسل إليهما الجزء الثاني من كتابي .

أبتي العزيز وصديقي

كل أمنياتي واحتراماتي وإخلاصي بمناسبة العام الجديد ، وإلى كل ذويك وكذلك إلى لغة العرب .

بدأت الدروس فعليا ولم أتردد بإلقاء محاضراتي ، وكان مستمعي ممتنين لي وتابعوني باهتمام وهم يطرحون علي ملاحظات وأسئلة وجيهة .

إن موضوعي (تأريخ المصطلح الفلسفي) يسمح لي أن أعود إلى أساس صلب ، وأن لا آتيه في هذه النظرية أو تلك .

لا بد أنك استلمت الجزء الثاني من رسالتي وسوف تستلم عما قريب كتاب الطواسين .

وليحفظك الله .

احتراماتي لك .

لويس ماسنيون

القاهرة ٤/١/١٩١٣

الرسالة الثانية
١٢ /كانون الثاني/١٩١٣

القاهرة

منيرة

ص ب ٢٤٦

أبتي العزيز وصديقي

أرد وفي وقت واحد على رسالتيك ٢٠ كانون الثاني و٤ كانون الثاني (وماذا حصل كي لا تصلني هذه الأخيرة إلا هذا الصباح؟)

(من المحتمل حدوث خطأ في ٢٤)

رأيت نسخة الأعوام ٢٥٠-٣١٠ هجرية من الجزء الخامس من تأريخ الذهبي[١] في مكتبة مرجان .

اطلعت على أربع مخطوطات من سيرة الحلاج للذهبي -إنها مأخوذة من مونوغرافية لابن باكويه حول الحلاج[٢] ، وقد امتلكت منها مخطوطة كاملة منذ الربيع الفائت .

---

(١) يقصد (تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الذهبي ، المتوفى في العام ٧٤٨ هجرية / ١٣٤٨ ميلادية ، ويعد من أوسع الكتب التاريخية ، يقع في واحد وعشرين مجلدا ، وقد رتبه المؤلف حسب السنين مبتدأ بالسنة الأولى للهجرة إلى آخر سنة سبعمائة هجرية ، وقسم كتابه إلى سبعين طبقة ، وجعل كل طبقة عشر سنوات ، ورتب الأسماء الواردة في كل طبقة على حروف الهجاء . طبع أكثر من مرة .

(٢) كتاب (بداية حال الحلاج ونهايته) لابن باكويه الصوفي نشره ماسنيون في :Quatre textes inedits, rlatif a la biographie d al Hallaj, par louis Massignon, Paris 1914.

لا تعتقد بالذهبي ! له أكثر من عشرين مجلدا!

الجزء الأول عام ١٠-٤٠ باريس ١٨٨ الخ .

الجزء الثاني عام ٤١-١٣٠

الجزء الثالث ١٣١-١٩٠

الجزء الرابع ١٩١-٢٤٠

الجزء الخامس ٢٤٠-٣٠٠ استنبول

الجزء السادس ٣٠١-٣٥١

الجزء السابع ٣٥١-٤٠٠

لقد كان لطفا منك أن تشير لي إلى هذه المخطوطة حول الحلاج ، المجموعة فيها ست صفحات مكرسة له وأربع لمن قبله .

بودي أن أشتري فعلا بسبعة مجيديات هذه المخطوطة (ما يعادل ٣٥ فرنكا وهذا هو أعلى سعر أدفعه) ، ولكن في حالة واحدة هي أن تكون غير منشورة .

ذلك لأن أمر فقدان صفحتها الأولى يبدو لي أمراً مشبوهاً ، فقد يتعلق الأمر ببساطة بمقطع من الترجمة العربية لتذكرة الأولياء[١] لفريد الدين العطار (نص فارسي طبعه نيكلسون) ، ومن نفحات الأنس[٢]

---

(١) (تذكرة الأولياء) لفريد الدين العطار ، وقد جمع فيه أقوال وأحاديث وتجارب أكثر من اثنين وسبعين وليّاً صوفياً ، وقد ترجمه بافيه وكورتي إلى الفرنسية في العام ١٨٨٩ في باريس ، وترجمه ج .أي . آربري إلى اللغة الإنجليزية تحت عنوان (أولياء مسلمون والصوفية) .

(٢) نفحات الأنس للشاعر الصوفي الفارسي جامي ، الذي ولد في خراسان في العام ١٤١٤ ميلادية ، ودرس في هرات التصوف ، وتابع الطريقة النقشبندية حتى توفي في العام ١٤٩٢ ، وقد ترك العديد من المؤلفات بالعربية والفارسية ، وقد ترجم سلفستر دوساسي كتاب نفحات الأنس في القرن التاسع عشر .

لمولانا جامي (نص فارسي طبعه سلفستر دوساسي) فلتتكرم علي وتشتريه لي بعد أن تقابله مع نص العطار وجامي ، وأن تلاحظ أنها سيرة غير منشورة ، شكرا مقدما .

إني مسرور جدا لأن مستشفى الأخوات الراهبات قد شيدت ، وأن بإمكانك مساعدتهم ، فليحفظهن الله ويجعل عملكم المشترك يزدهر .

أما فيما يتعلق بديوان الحلاج ، فإن التعب الذي تسببه لي محاضراتي إلى الدرجة التي تجبرني على إرجاء نسخ المقالة ، التي كان بودي إرسالها إلى لغة العرب المقدامة ، سامحني وصلي لي كي أستطيع إتمام دروسي دون الإصابة بمرض خطير .

إني لست نحويا على الإطلاق ، وا أسفاه ، وأرى مذكرتي حول لهجة بغداد[١] قد جعلت شعرك ينتصب ، في الواقع ما كنت أريده هو على الأخص :

أولا : الإعلان عن نشر مخطوطة الأمثال البغدادية[٢] التي صورتها

(١) يقصد مقالة طويلة تحت عنوان(لهجة بغداد العامية) صدرت في بغداد عن مطبعة الإرشاد ، مترجمة إلى اللغة العربية في العام ١٩٦٢ ، وقد ترجمها أكرم فاضل ، وقد قام ماسنيون فيها بتقسيم اللهجات البغدادية طبقا إلى التوزيع الديموغرافي للسكان في بغداد ، ومن المثير أنه جعل الاختلافات اللهجية متطابقة مع التنوع والاختلاف الطائفي والديني ، وهو طابع استشراقي بحت يهمل العناصر اللسانية في تحديد الاختلاف اللهجي ، وقد قام بتدوين مسودات هذا المذكرة حينما كان في بغداد في العام ١٩٠٨ ، وأعقبها ببعض تصوراته عن الأغاني الشائعة والآلات الموسيقية والتوزيع الموسيقي للأغاني .

(٢) يقصد بها رسالة (الأمثال البغدادية التي تجري بين العامة) جمعها القاضي الطالقاني المؤيدي سنة ٤٢١ هجرية ، ونشرها ماسنيون في القاهرة في العام ١٩١٣ ، ثم حققها في السنوات الأخيرة العميد عبد الرحمن التكريتي في بغداد تحقيقا أوسع كما ذكر ذلك كوركيس عواد وميخائيل عواد في أدب الرسائل ، ص٢٣٥ .

كاملة هذا الربيع .

ثانيا : الشروع بفتح نقاش هنا مع المثقفين حول المعجم ومستقبل الموسيقى العربية «بيد أني كنت مخطئا عندما لم أركز جهدي على نحو أكيد على الجانب النحوي والصوتي والمورفولوجي والتركيبي البحت» .

نعم إن تلامذتي ينسخون محاضراتي في تاريخ المذاهب الفلسفية ، لا بد أن يكون الجزء الثاني من كتابي قد وصلك .

لم أبرق إلى السيد كاظم الدجيلي(١) وذلك لأني لا أملك الوسائل الكفيلة من الناحية المادية للعيش في الغرب .

أولا لأني عملت وحيدا دائما (ومن هنا نشأت أخطائي) .

ثانيا : لأنك لم تقل لي شيئا عن قيمته المعنوية .

ولولا هذا لكنت مسرورا جدا لفحص هذا الموضوع .

فيما يخص الأمثال ، وقفت سلفا الظروف المادية للنشر هنا ، وبما أن آل الآلوسي هم أول من اهتم بالموضوع فقد أصبح لديهم نوع من الحق المعنوي بالأفضلية ، أما ما أنشره أنا بنفسي (فإني تعب وغير مؤهل) ولذا سأرسل لك نسختي المصورة ، وإنه من المهم أن نتفق على هذا الأمر لكي يحمل المنشور على الأقل أسماءهم .

ما رأيك ؟ سوف لن يكون بمقدوري أن أعهد لك بالمخطوطة إلا إذا كنت مصمما على نشرها مباشرة (وليس على استرجاع نسخة) وأن تتم مراجعة التعليقات والحواشي بالاشتراك مع شكري أفندي ، في سبيل المثال ، الذي يهتم بوضع مبحث عن أمثال بغداد منذ أعوام عديدة ، وربما

---

(١) كاظم الدجيلي أحد أبرز المثقفين العراقيين في بداية هذا القرن ، ولد في العام ١٨٨٤ وتوفي في العام ١٩٧٠ ، كان مدير تحرير مجلة لغة العرب التي أصدرها الأب انستاس ماري الكرملي ، وقد كتب العديد من الموضوعات البلدانية فيها .

سيتم إنجاز المشروع هنا .

شكرا على الإشارة إلى خدمات النقل في الباص بين بغداد وبعقوبة[١] .

في الوحدة الموقرة للصلوات مع ذويك في مشاركة الكنيسة أطلب من الأخوات أن يصلين قليلا من أجل والدنا .

لويس ماسنيون

١٩١٣/١/١٢

الرسالة الرابعة
١٩١٣/٢/٢٥

منيرة

القاهرة

ص ب : ٢٤٦

ملاحظة

(بعد تفكير عزمت على الاحتفاظ بهذا الكتاب غير المفيد طالما أنت اشتريته لمصلحة عملي ، وسأرسل لك الثلاثين قرشا لبعثتكم لتوزيعها

---

(١) ظهر في العدد الخامس في شهر تشرين الثاني من العام ١٩١٢ في مجلة لغة العرب في باب المشارفة ، والانتقاد ما يلي :

«سيارات أوتومبيل بغداد إلى بعقوبة ، أنشئ هذه السنة بين بغداد وبعقوبة عجلات سيارات بين المدينتين يدفع الراكب فيها خمسة فرنكات ، فركبها ثلاثة من النصارى ، معهما اثنان من المسلمين فقطعت السيارة تلك المسافة في ٤٠ دقيقة ، ولما رجعت ووصلت قريبا من بغداد انقلبت بمن فيها عند قنطرة الباب الوسطاني ، فتوفي واحد من المسلمين وجرح آخر جرحا بليغا ، ولم يصب النصارى بضرر يذكر ، فلا بد أن انكسار العجلة وتعطلها ينبه الأفكار إلى إصلاح الطريق في ذلك الموطن» ص ٢١١ .

على الفقراء

(من المسيحيين وغيرهم) وذلك باسمينا أنا وأنت) .

أبتي المبجل وصديقي

استلمت في وقت واحد رسالتك في ٧/شباط المتضمنة رسالة دجيلي وإرساليتك للمخطوطة ، كان بودي أن أكتب لك فيما مضى لأشكرك على ملاحظاتك حول (أنا الحق)[١] .

من المهم أن نحدد بيننا العديد من الأشياء :

أولا : إني مندهش جدا لأنك لم تستطع أن تتعرف على هذا «المؤلف المجهول» حول الحلاج ، في حين أن عنوانه مكتوب على طول الصفحة الأولى :

---

(١) يقصد النقد الذي وجهه الكرملي لمقالة (أنا الحق) في مجلة (لغة العرب) .

نشر الكرملي في مجلته لغة العرب العدد السادس من العام ١٩١٢ ، لشهر كانون الأول انتقادا لمقالة ماسنيون أنا الحق في باب المشارفة والانتقاد ، تحت عنوان «بحث تأريخي انتقادي في هذه الكلمة الخاصة بمعتقد علم المتصوفة اعتمادا على الأسانيد الإسلامية للويس ماسنيون باللغة الفرنسوية» ، وبعد أن أثنى على ماسنيون قام بنقد الأغلاط التي وردت فيها من أسماء الأعلام ، حيث أن الأب الكرملي يظن أن أسماء الأعلام العربية التي وردت في مقالة ماسينيون كانت بحاجة إلى تصويبات ، لأنه أخطأ في رسم حروف الأعلام العرب باللغة الفرنسية ، وقد صوب اسم الغزالي ذلك أن ماسنيون كتبه بتخفيف الزاء وكان عليه تشديده ، وصحح اسم ابن مسكويه لأن ماسنيون قد كتبه بالشين ، وضبط ماسنيون الجيلاني بالكاف ، وكان عليه أن يستخدم الجيم أو الكاف الفارسية ، وضبط ماسنيون الأسماء المختومة بالهاء بفتحة مشبعة والأصح أنها غير مشبعة ، وهكذا مع الكثير من الأسماء ، وبالرغم من أن نقد الكرملي كان نقدا تقنيا إلا أن ماسنيون قد انزعج منها كما هو واضح .

انظر الجزء السادس من العام ١٩١٢ ص ٢٥٥

كتاب شرح حال الأولياء[1] وهو عنوان يتوافق دون لبس مع الفهارس الأساسية لخزين المخطوطات العربية من الآثار المعروفة جدا للشافعي عز الدين بن عبد السلام المقدسي، المتوفى في العام ٦٦٠ هجرية/١٢٦٢ ميلادية.

فإن لم يتوفر لديك كتاب بروكلمان[2] كي تعود إلى الجزء الأول في الصفحة ٤٥١، والجزء الثاني ٦٧٠، فبين يديك مقالتي التي ظهرت في مجلة الإسلام (Der Islam) تحت عنوان (أنا الحق)، إن كنت قرأته حقا، لكنت شاهدت معي على الصفحة ٢٤٩ عنوان كتاب شرح حال الأولياء[3] والإسناد للمقدسي، مما كان سيوفر عليك شراؤه وإرساله.

أنا أعلم بأي دافع من الحرص على مصلحتي قمت بذلك، ولكن هناك هذه المقطوعة المبتورة التي تفتقر إلى واحدة من مفهومي المقدسي حول الحلاج٦٨٢.

هذه المقطوعة التي لا تتضمن سوى تفليس إبليس المطبوعة سلفا.

كل هذا لا يمنع من الاحتفاظ بهذا الكتاب الذي لا قيمة له (كيف تجرءوا على إرغامك على دفع هذا المبلغ «مقداره ٣٥ فرنكا» !!!)[4].

---

(١) (شرح حال الأولياء) كتاب لعز الدين بن عبد السلام المقدسي الشافعي المتوفى في العام ٦٦٠ هجرية، وهو مخطوط في المتحف البريطاني بالرقم ١٦٤١، وله كتاب آخر هو (حل الرموز ومفاتيح الكنوز) وهو مخطوطة في برلين بالرقم ٣٠١٠.

(٢) يقصد (تاريخ الآداب العربية) وهو أكبر موسوعة لفهرس الكتب العربية، من تأليف المستشرق الألماني كارل بروكلمان.

(٣) وهي (... ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه ...) ذكرها ماسنيون في الصفحة ١٦ من كتاب أخبار الحلاج، (أما الجملة الأخيرة فهي مثل مشهور نسبه عز الدين المقدسي في شرح حال الأولياء إلى الحلاج).

(٤) ماسنيون يلاطف الأب الكرملي حول بخله المشهور به.

من الطبيعي إن لم تتمكن من استرجاع هذا المبلغ الذي سرقوه منك ثمنا لهذه الصفقة فأنا مستعد لتعويضك .

قضية دجيلي أنا لم أقل أبدا إني أمتلك الوسيلة لأن أجعله يعيش بوصفه مساعدا لي ، لقد حدثتني عنه (دون أن تسميه)عن طالب شيعي (وها قد تحول إلى مدير مجلة لغة العرب ، وهذا يتطلب سنا معينة ومحترمية خاصة على ما أظن .)

سأكتب له مباشرة لكي يعلم حقيقة شعوري حول هذا الموضوع ، الذي يبدو أنه تم عرضه عليه على نحو غريب جدا ، بعد الرسالة التي يقول لي فيها :

(إنه يعتمد علي) .

أيظنني ملياديرا قادرا على كل شيء .

أفوض أمري بإجلال إلى صلواتك وصلوات طريقتك في وحدة قدسية الكنيسة .

لويس ماسنيون

القاهرة

١٩١٣/٢/٢٥

الرسالة الخامسة

٨٥/شباط/١٩١٣

منيرة

القاهرة

ص ب : ٢٤٦

أبتي المبجل وصديقي

أرسل لك مرفقا مع هذه الرسالة وكهدية لك نسخة من محاضرتي

عن نيللينو[1] .

بخصوص المجالس الإسلامية لغولدتسيهر[2] يجب أن تلفت انتباه القراء أولا إلى قائمة الفصول .

١- محمد والإسلام ٢- نشوء الشريعة ٣- نشوء العقيدة ٤- التدين والصوفية ٥- الفرق ٦- التحولات اللاحقة .

ومن ثم ينبغي التقيد بالنظام المتبع ومن الواضح أنها محاضرات قد ذيلت كل واحدة منها بملاحظات غنية جدا حول كل فصل تمت معالجته .

حاول غولدتسيهر أن يضع بمتناول الجمهور نتائج تجاربه لتنافس بما فيها وثائق النصوص الإسلامية (له مكتبة عظيمة وفيها مطبوعات حجرية من إيران) ، وهو يشدد بشكل عام على المفهوم التطوري للتاريخ ، ويرينا

---

(١) كارلو الفونس نللينو ولد في العام ١٨٧٢ وتوفي في العام ١٩٣٨ ، وهو مستشرق إيطالي درس العربية في جامعة تورينو وفي المعهد الشرقي في نابولي ، عضو المجمع العلمي في مصر ، يعنى بالمسائل الجغرافية والفلكية عند العرب ، وقد نشر الكثير من الآثار العربية والعلمية ، منها الزيج الصابئ للبتاني الذي صدر في لايبزك في العام ١٨٩٣ ، وله علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى .

(٢) لقد كتب الأب أنستاس الكرملي في مجلة لغة العرب في السنة الثانية ، الجزء الحادي عشر من العام ١٩١٢ ، مقالة في باب المشارفة والانتقاد ينتقد فيها كتاب إغناز غولدتسيهر تحت عنوان :

Vorlesungen Uber den Islam Von Ignaz Goldziher

(كتاب المجالس الإسلامية في ٣٤١ صفحة بقطع الثمن ، قيمته ٤٠،٨ مارك) وبعد أن جعل منه أوسع علماء الغرب معرفة بدين الإسلام ، انتقد كتابه طبقا إلى رسالة ماسنيون ، وقد ضمنها العبارة التي تقول إن غولدتسيهر يمتلك مكتبة ضخمة ، وكذلك فصول الكتاب ومن ثم النقد الذي وجهه له ماسنيون في رسالته ، وقد أزاد الكرملي عليها بعض الأشياء ، دون أن يذكر اسم ماسنيون صراحة .

التغيرات المتتابعة للمفاهيم الأولية للحقوق السنية الأرثوذكسية والتصوف أكثر مما يتطرق إلى التوازنات المجربة والمتحققة في بعض الحقب، كما هو الحال مثلا مع الفقه الحنفي والإسكولائية الأشعرية والتصوف الكيلاني .

إن هذا الأمر يؤسف له ، لأن أسلوبه مع كل ذلك مقتضب وغامض نوعا ما ، ونشعر بأنه قد بالغ كثيرا في تكثيف ما كان عليه أن يقوله ولكن ملاحظاته النقدية(الموجودة في نهاية كل فصل) هي مع ذلك ملاحظات قيمة .

احتراماتي

القاهرة

لويس ماسنيون

١٩١٣/٢/٢٨

الرسالة السادسة
٨/أيار/١٩١٣

القاهرة منيرة

ص ب : ٢٤٦

أبتي العزيز وصديقي

شكرا على رسالتك ولتصويباتك كلها صحيحة كالعادة ما خلا شوينز (التي يؤكد زنكر عالم الإيرانيات بأن معناها هو يرقان وليس شونيز!!!)

واأسفاه كان علي أن أنشر كل هذا بالرغم من أنه جدير بذلك وتعبان ، وكل ما أتمناه هو أن يكون الجزء الثاني من كتابي هذا رغم أخطائه جديرا بالاستخدام .

أرسل ملاحظاتك الأخرى إن سمحت؟

اعذرني لأني لم أرسل لك بعد ثمن مخطوطة شرح الأولياء وسأفعل ذلك عن قريب .

أبتي العزيز وصديقي

سيصبح عمري ثلاثين عاما ، وإني قلق لما سيفعله الله بي هل يظن بأني سأصبح صالحا لعمل شيء ما ، وهل سيمنعني من ارتكاب إثم قاتل ، أحاول أن أخضع بثقة كاملة وانصياع تام لإرادته المقدسة .

في هذه اللحظة ومنذ خمسة أيام اضطررت إلى إيقاف عملي - إثر إصابتي بالإعياء ، وعلي أن أعتني بنفسي دون أن أدري كم سيستغرق هذا الأمر؟

والاعتماد على الله .

الاعتماد على الله يا أبتي العزيز وصديقي .

أفوض أمري إلى صلواتك وصلوات ذويك ، أنت الذي ظهرت لي على الطريق مثلما ظهر رئيس الملائكة روفائيل على طريق الشاب طوبيا[1] ، اعذرني للعناء الذي سببته لك ، وصلِّ إلى الله كي يجعلني أعيش من اليوم وفقا لمشيئته طفلا مخلصا إلى سيدتنا .

احترامي لك

لويس ماسنيون

١٩١٣/٥/٨

---

(١) ويسمى طوبيا البار ، بطل السفر الشهير باسمه من أسفار العهد القديم ، يروي قصة أب وابنه كانا في سبي بابل ويحمل كلاهما اسم طوبيا ، ويصف فيها سفرة قام بها الابن رافقه فيها الملاك روفائيل وحرسه من أخطار السفر ، وضع السفر بين القرن الثاني والثالث قبل الميلاد .

الرسالة السابعة
٢٧/أيار/١٩١٣

لافيل إفيك

بورديك

الساحل الشمالي

أبتي العزيز وصديقي

نقلت إلى مجلة العالم الإسلامي المقالة التي تدور حول برنامج الدراسات الشيعية في النجف-أتمنى أن تدرج في المنشور(١) ، وأشكرك باسم المجلة لأنك فكرت بنا .

قل لي إذا كنت تريد أن أرسل لك حقوق الناشر .

أنا أعرف الخونساري(٢) وقد حللت مفاهيمه حول الحلاج في هذا الخصوص ، وبما أني أرى أنك نجحت في الحصول على مقالات مطبوعة على الحجر في فارس ، أبعث لك قائمة الدراسات الشيعية القصيرة التي

---

(١) نشر الكرملي في مجلة لغة العرب مجلد السنة الثانية في ص ٤٣٩ مقالة بعنوان : «كتب القراءة وطريقة التدريس عند الشيعة في العراق» وقد صور الكرملي البرنامج التدريسي والكتب التي تدرس وأسلوب التدريس والعلوم التي يدرسونها وكيفية حضور الدروس والإدارة العلمية ، وعززها بالتواريخ ، ووجه نقدا لبعض المقررات ، وهي دراسة تعريفية مهمة في بداية القرن للمدينة العلمية في النجف . وقد صدرت في مجلة العالم الإسلامي الفرنسية في حزيران من العام ١٩١٣ بالعنوان الآتي : «Le Programme des etudes des Chiites de l'Iraq» .

(٢) محمد باقر الموسوي الخونساري المتوفى في العام ١٣١٣ هجرية / ١٨٩٥ ميلادية ، وله كتب نفيسة ، ويقصد ماسنيون هنا كتابه (روضات الجنات) وهو مخطوط في دار المخطوطات في بغداد ، بالرقم ٨٢٣ .

بودي الحصول عليها ، والتي أبحث عنها منذ عامين ، ومنذ أن قرأت الخونساري :-

١- الرسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية .[١]

٢- رسالة الفوائد الدينية في الرد على الحكماء والصوفية .[٢]

٣-رسالة السهام المارقة في أغراض الزنادقة[٣] .

٤-رسالة في الرد على الصوفية الملعونة[٤] .

٥- رسالة النفحات الملكوتية في الرد على الصوفية[٥] .

سأكون بحاجة شديدة إلى هذه الكتيبات الخمسة ، ولا سيما الكتيب الأخير ، وكلها مكتوبة باللغة العربية ما عدا الكتاب الرابع فهو مكتوب باللغة الفارسية .

مع الأسف كلا! لم أستلم لغة العرب ولم أقرأ تحليلك النقدي الذي كتبته عن هورتن[٦] . أرسل لي لغة العرب ولا تحرمني بعد منها .

---

(١) رسالة شيعية شهيرة ، كتبها محمد بن حسن الحر العاملي المتوفى في العام ١٠٩٩ وهو مؤلف من ١٢ باباً و١٢ فصلاً .

(٢) رسالة شيعية لمحمد بن طاهر بن محمد حسين القمي ، موجهه ضد محسن الفيضي (المتوفى في العام ١٠٩١ هجرية/١٦٨٠ ميلادية) .

(٣) رسالة شيعية كتبها علي بن محمد الشهيدي الصغير المتوفى في العام ١١٠٣ .

(٤) رسالة شيعية كتبها إسماعيل بن محمد حسين الخاجوي المتوفى سنة ١١٧٣ .

(٥) رسالة شيعية كتبها يوسف بن أحمد بن عصفور البحراني المتوفى سنة ١١٨٦ .

(٦) يقصد مقالة الكرملي في باب المشارفة والانتقاد من العدد الحادي عشر للسنة الثانية من مجلة لغة العرب ، وقد قدم فيها عرضا موجزا لمقالة لويس ماسنيون المنشورة في المجلة الألمانية (Der Islam) بعنوان :

Les systemes Philosophiques des Moutakallimoun en Islam selon Horten

وطبقا إلى رأي الكرملي فإن ماسنيون استطاع أن يبين في مطاوي مقالته (ما للمستشرق الألماني من المغامز في كتابه الذي وضعه في هذا المعنى) . ص٢٥٦ .

أنا ممتن جدا لصلواتك ، ما إن وصلت إلى فرنسا حتى أصابتني (دعكة) استمرت خمسة عشر يوما وليس بوسعي بعد أن أستأنف العمل .

لا بد أنك لاحظت وجود العديد من الأخطاء لدى قراءتك للطواسين (هل رأيت العرض الذي قدمه غولدتسيهر في مجلة (Der Islam) العدد الرابع في الصفحة ١٥٦- ١٦٩؟) .

كنت في القاهرة عندما انتهت طباعته في انجرس ، وأرسل لك طيا ملحقا بالتصويبات .

إن اكتشاف دوبوفور في دكاكين[1] (نقوشا حميرية؟) لم يكن متوقعا(!) ولعله اكتشاف مهم جدا ، فهل تملك صورا أو رسما عنه؟ إنها مسألة مهمة جدا .

كتبت إلى كليرموغوسو ، أكتب لي عما حل به .

بخصوص كتيبات ابن الجوزي[2] (عجب الخطب) هي من دون شك

---

(١) كتب كاظم الدجيلي في العدد الثاني عشر من السنة الثانية من مجلة لغة العرب عن قصر الدكاكين قرب النجف (قصر الدكاكين ربوة يبلغ ارتفاعها عن الأرض نحو ٣ أمتار ومحيطها زهاء ٢٠٠ متر ، وهي عبارة عن مصاطب متوالية تتفرع إلى دهاليز ، وأظنها مقابر قديمة ، إنما سميت بهذا الاسم لأن العرب رأوا وضعها كبعض الدكاكين التي عندهم ، فظنوها كذلك ، وأطلقوا عليها هذا الاسم ، وقد رأينا في ركن جانب منها كتابة حميرية مكتوبة بالحبر الأسود ، وعدد الدكاكين نحو الأربعين ص٥٤٢) .

(٢) وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي البغدادي المتوفى في العام ٥٩٧ هجرية/١٢٠١ ميلادية ، وعجب الخطب يتضمن ثلاثين خطبة غريبة حيث حذف المؤلف من كل منها حرفا ، فجعل أولها بلا ألف ، والثانية بلا باء إلى آخر الحروف ، والخطبة من دون نقط ، وثالثة كلها معجمة ، نسخة منها في المتحف العراقي بالرقم ١٥٧٨/٧ .

ورأي ماسنيون غير صحيح لأن المورد العذب هي خطب أخرى ، رتبها ابن الجوزي على ٢٥ فصلا وكل فصل على ثلاث خطب لثلاث آيات من القرآن ، وما يتبعها من المواعظ والحكم والقصائد ، وهنالك نسخة منها في المتحف بالرقم ١٣٧١٤ .

(المورد العذب في المواعظ والخطب) مخطوطة لندن ومخطوطة مدريد ، لقد طبعت الياقوتة[1] في القاهرة باسم (نسيم السحر) ، والتي لا بد أن تكون صبا نجد ، وهو المؤلف الذي يلمح به إلى زوجته نسيم الصبا . أليس كذلك؟ .

والكتابان الباقيان هما (إيقاظ الوسنان)[2] و(لفتة الكبد)[3] فهما غير معروفين من قبل بروكلمان واللآلئ أيضا ؟ .

فيما يتعلق بمرآة الزمان[4] .

فهنالك مخطوطة شبه كاملة في لندن وقد رجعت إليها وهي تعود إلى العام ٩٢٢/٣٠٩ .

ولا أذكر بأنهم طبعوا في أميركا نسخة مصورة لمجلد أو لمجلدين من مرآة الزمان ، ربما كان هذا في جامعة كاليفورنيا (ولا أملك جذاذة منها) .

التصويبات المهمة التي سقطت من الطواسين

ص ١٦ سطر ٥ من الأسفل اقرأ ط(ب وقته)

ص١٢٩ رقم ٢ تاريخ أبي ثور ٢٤٠/٨٥٤

---

(١) الياقوتة هي فصول في المواعظ جعلها المؤلف نماذج للوعظ ، تقع في خمسة وعشرين فصلا ، وهنالك أكثر من نسخة منها في المتحف العراقي ، انظر معجم المؤلفين ١٥٧/٥ ، هدية العارفين ٥٢٣/١ ، كشف الظنون ٢/ ٢٠٤٨ .

(٢) إيقاظ الوسنان في الموعظة وهو أيضا لأبي فرج عثمان بن الجوزي ، ويشتمل على واحد وعشرين فصلا من ألسنة الحيوانات ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون بالرقم (٢١٥) .

(٣) وضعه ابن الجوزي لولده أبي القاسم لما رأى منه توانياً في طلب العلم ، وهنالك نسخة منه في المتحف بالرقم ٥/٣٥١ .

(٤) وهو كتاب مرآة الزمان في تأريخ الأعيان لأبي مظفر يوسف بن قزاو علي بن عبد الله البغدادي المعروف بسبط بن الجوزي ، وهو كتاب كبير في التأريخ يقع في أربعين مجلدا ، المعروفة منها سبعة عشر .

ص ٦٣٠ رقم ٢ ١٣١/رقم واحد ،
ص١٦٢ رقم ٤ اقرأ ابن تيمية
ص١٣٣ ٣ موازية إلى جرى أنت ، اثنان
ص١٣٨ سطر ٤ مصحح للمعلم : وحدي توحيد
ص٢٠٨ سطر ٣ يذكر
ص٢٢٢ سطر ٣٣ توحيد
ص ٢١٨ مجموعة /٤/١/٢ تكوين ص ١٢٠
سطر السادس تلوين ص ٩١
ص ٢٢١ ص١/١-٩ : تصحح ص١١٧ . ١١
ص٢١٩ مجموعة ١٠٢-١٦-١٧ تصحح ٣٤أ
ص ٢٨٠ مجموعة ص ٣ : تصحيح ٤٥ أ
ص٢٨٠ مجموعة ص ١٥ تصحح ٥٦أ
ص ٢٨٠ مجموعة ص ٢٠ غير بين موضع الكلمات
المخلص لك باحترام في قديستنا وسيدتنا والقديس يوسف

لويس ماسنيون

١٩١٣/٥/١٧

الرسالة الثامنة
٢٣/حزيران/١٩١٣

أبتي العزيز وصديقي

أطلب منك العفو لما سببته لك من عناء ، وأرجو من الله أن يجعلك تشعر كم أنا أجل فيك دوما القس الذي صالحني مع الكنيسة ، والصديق الذي أعادني معافى إلى أهلي .

سأكون مذنبا حقا إن اعتبرتني في داخلك جاحدا ينسى بأنه مدين لك حتى الأبدية .

إن رسالتي السيئة الحظ نبعت من صداقتي واحترامي إلى غولدتسيهر ، إن ما كتبته لك حول المجالس الإسلامية Vorlesungen قد كتبته من فيض القلم ، وعندما أعلنت لي عن نيتك نشر رسالتي كما هي ، أصابني هذا الأمر بألم كبير ، لعلمي بأن غولدتسيهر يعرف عن طريق مجلة العالم الإسلامي اسمي من مختصر توقيعي (ل . م) وخمنت كذلك أنه سيتعرف عليه عند قراءته لمجلتكم (لغة العرب) ، وأنا أوقع على مقالة تعالج نتاجه ، وهو العالم الكبير ، نوع من الوقاحة مع أن هذا الأمر معذور في مراسلة حميمية .

قلت لنفسي ماذا سيقول عن الجحود الذي أجبته به لقاء طيبته ، فقفزت إلى ريشتي ومحبرتي لأكتب لك دون أن أزن الكلمات عن الإثم الذي سببه لي إصرارك ، وهكذا وبينما كنت أريد تجنب جروح من المحسنين لي ، تسببت في جرح القس الذي في داخلك ، والذي أصلي له كل يوم بالاسم أمام الله إلى الكنيسة في ذكرى كل النعم التي أدين بها إلى الله عن طريقه .

سامحني عن هذا وسامحني عن كل المرات الأخرى التي جرحتك بها برسائلي دون أن أشعر بذلك .

لا تحرمني من ملاحظاتك النقدية حول رسالتي ، وحول الطواسين أنت تعلم مدى حاجتي إليها ، لا تغتظ مني ومن بحوث الكتب التي حدثتك عنها سابقا ، أنا أعلم بأنك تعرف هذا ، وأتوجه إليك بثقة .

أصلي إلى الله يا أبتي العزيز وصديقي أن يمنعني من يوم نسيان كامل الاعتراف بالجميل الذي أدين به إلى عفوك الكهنوتي ، وهو نقطة البداية

في هذه الحياة الجديدة التي أحاول أن أصلح فيها حياتي الماضية .

منذ خمسة أعوام بالضبط كنا في حلب سوية ، بعد غد ، أي في الخامس والعشرين من حزيران سيكون عيد ذكرى يوم اهتدائي المبارك ، ولعفوك الكهنوتي ، هذا العام سيصادف هذا التاريخ يوم جمعة ، جمعة القلب الأقدس الذب طالما أحببناه في الكنيسة مركز حياتنا ، وأن يعزز ويجلي الصداقة الموقرة التي أكنها لك .

وللصلوات أيضا التي أطلب منك أن تبقى معك في مشاركة قدسية الكنيسة .

احترامي لك أبتي العزيز وصديقي

لويس ماسنيون

الاثنين

٢٣/حزيران/١٩١٣

الرسالة التاسعة
٥/آب/١٩١٣

لافيل إفيك

بورديك الساحل الشمالي

أبتي العزيز وصديقي

نسبة إلى المقال الذي يدور حول الشيعة في مجلة العالم الإسلامي حزيران في العام ١٩١٣ المجلد ٢٣ ، ص ٢٦٨-٢٧٩ ، سأحاول أن أرسل لك عددا من الطبعة المنفصلة إن بقي شيء منها .

أما فيما يتعلق بحقوق المؤلف ، فسأحاول أن أحصل عليها ، بيد أن

الوقت قد فات قليلا ، كان علي أن أتحسس ذلك مسبقا .

كنت أخطرت السيد لو شاتاليه[١] ولكنه لم يعطني أي وعد حازم حول هذا المبحث .

إن أعداد مجلة لغة العرب التي تنقصني هي العدد التاسع - العاشر- الحادي عشر من السنة الثانية تكرم بإرسالها إلي فإني أحتاجها كثيرا .

أشكرك على ما أطلعتني عليه حول الأحداث الحالية ، فقد كانت في منتهى الأهمية ، هل رأيت كيف استغلت المؤيد في القاهرة هذا الأمر في عددها ٩٢-حزيران الماضي .

لقد جعلت منه إعلانا ناجحا .

كان بودي أن أشتري الجزء الثاني من الدعوة الإسلامية[٢] ، الذي قدمت له عرضا (العدد الثاني/١٨٥) والذي اشتريت لي جزأه الأول ، من يمكنني أن أراسله كي أحصل عليه؟ .

سأحاول أن أجد ناسخا من أجل ديزي س ، ف حسب الغبار ولكن ليس هناك أحد في باريس ، ينبغي أن أنتظر قليلا .

---

(١) الفرد لو شاتليه مستشرق فرنسي توفي في العام ١٩٢٦ ، أنشأ في كلية فرنسا (الكولج دو فرنس) مقعد علم الاجتماع الإسلامي ، وقد خلفه ماسنيون فيه ثلاثين عاما . من آثاره (السياسة الإسلامية) صدر في العام ١٩١٠ ، (مغرب البربر والمناجم الأوربية) صدر في العام ١٩١١ .

(٢) وهو كتاب (الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية) لمؤلفه محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي ، طبع في مطبعة العرفان في صيدا في العام ١٣٣٠ هجرية وهو على جزأين ، عرض الكرملي الجزء الأول منه في مجلد السنة الثانية ص ٤٦٨ ، والجزء الثاني في السنة الثانية ص ٥٨١ .

إن مخطوطتك تحفة الأصفياء بترجمة سفينة الأولياء[١] هي في الواقع ترجمة عربية لكتاب فارسي مشهور :

سفينة الأولياء

للأمير دارا شيكوه الحنفي القادري ، وهو أخ (أورنغزوف) المتوفى في العام ١٠٦٩ هجرية (١٨٥٨ م) وقد تم تأليف الكتاب في العام ١٠٤٩ ترجمته إلى العربية تحت ناظري الآن ، وقد رجعت إلى مفهومه حول الحلاج وهو منقول من

١- كشف المحجوب للهجويري[٢]

٢- فصل الخطاب من بارسا[٣] (المتوفى في ٨٢٢ هجرية/١٤١٩)

٣- نفحات الأنس لجامي .

أشكرك على العدد الأول من السنة الثالثة للغة العرب الذي استلمته لتوي .

احترامي وإخلاصي لك وإلى أهلك في قديستنا والمسيح .

لويس ماسنيون

١٩١٣/٨/٥

---

(١) كلام ماسنيون دقيق ، وهي تحفة الأصفياء بترجمة سفينة الأولياء وضعها باللغة الفارسية السلطان محمد بن شاه جيهان ونقلت إلى العربية في العام ١٨٥٠ ، وقد تناول المؤلف فيها مناقب الأولياء والأئمة الأعلام المجتهدين وغيرهم ، نسخة في دار المخطوطات في بغداد كتبها عبد الرزاق فليح البغدادي .

(٢) كشف المحجوب لأبي الحسن بن عثمان الجلابي الهجويري المتوفى حوالي العام ٤٧٥ هجرية ، وقد نشر كتابه هذا المستشرق زوكوفسكي في لينينغراد في العام ١٩٢٦ .

(٣) فصل الخطاب في المحاضرات للحافظ الزاهد محمد بن محمد الحافظي من أولاد عبيد الله النقشبندي البخاري ، المعروف بخواجة بارسا النقشبندي ، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٨٢٢ هجرية ودفن بها . ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/١٦٢٠ .

* هل لك أن تجد لي اسم المترجم .

إن طبعتي لرسالة الأمثال البغدادية قد ظهرت أخيرا في القاهرة دون أن أتمكن من مراجعتها ، وفيها من الأخطاء الكثير ، ولكني سأرسل مع ذلك نسخا لك ولشكري الآلوسي وإلى الحاج علي الآلوسي .

الرسالة العاشرة
١٧/أيلول/١٩١٣

لافيل إفيك

من بورديك

الساحل الشمالي

أبتي المبجل وصديقي

أشكرك على رسالتيك في ١٤ و١٨ تموز ، عدت لتوي من رحلة إلى بلجيكا وهولندا وألمانيا ، وهذا ما أخر إجابتي عليك .

كتب لي هيرزفيلد[١] من برلين في ٢٦ آب وهو يسعى للقائنا في نهاية هذا الشهر ، (وهو أمر قليل الاحتمال) بأنه لم يكن مسرورا جدا من لقائه بالدجيلي الذي اصطحبه حتى قصر شيرين[٢]- وهو لا يعتقد أبداً أن الكتابة الموجودة في دكاكين هي كتابة حميرية .

---

(١) أرنست هيرزفيلد (١٨٧٩-١٩٤٨) ولد في ألمانيا وتوفي في بال (سويسرا) ، من علماء الآثار ، نقب في آشور (شرقاط - العراق) وسامراء .

(٢) قصر شيرين مدينة إيرانية على الحدود العراقية المقابلة لمحافظة ديالى وهي ممر بين العراق وإيران .

ظهر أخيرا تفسير جامع البيان[١] في القاهرة لدى عمر الخشاب في ثلاثين مجلدا (مع غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري[٢]) في الهامش وذلك بسعر زهيد هو خمسون فرنكا .

(Pt١٩) + ١٢ فرنك (Pt ٤٥) ثمن النقل والتغليف .

إن ما قاله لك شكري أفندي حول ٦٣ مجلدا لمؤلف ابن عوف هو صحيح (صفات الحيوان في مجمله) .

كنت اشتغلت على الفيضية ولم أنصص منها ولكن أعلم أن أحمد زكي باشا (من القاهرة) قد صور مختلف المصطلحات غير المتجانسة الموزعة في طوبقو والخ .

وصل معطف شقيقتي الذي بعثه الحاج علي ، وهي الآن في رحلة ، ولكن سأكتب إلى الحاج علي لأشكره نيابة عنها ، أشكرك لأنك كنت مهتما بإرساله إلينا !

أشكرك بالأخص لإكمالك مجموعتي من لغة العرب! لأنك أرسلت لي الطبعة التجريبية لخارطة جونز (كانت عندي سلفا ولكنك أضفت إليها لسترنج[٣] وهي خريطة مشكوك فيها) .

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر بن محمد ابن يزيد بن خالد الطبري الآملي المتوفى في العام ٣١٠ هجرية ، وهو تفسير الطبري الشهير طبع في القاهرة في العام ١٩١٣ (انظر هدية العارفين ٣٢٥) .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان في التفسير للعلامة نظام الدين حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، المعروف بنظام الأعرج المتوفى في العام ٧٢٨ ، وكتابه طبع أكثر من مرة .

(٣) أعاد رسم خطط بغداد العاصمة القديمة للخلافة العباسية في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) صدر في لندن ١٩٠٠ ، ومكسيمليان سترك في كتابه (خطط بغداد) صدر في ليدن ١٩٠٠ ، وقد انتقده ماسنيون انتقادا لاذعا لأنه يظن بأنه رسم خريطته في ==

فيما يخص ملاحظاتك النقدية عن كتاب الطواسين أنا أشكرك عليها ، ولكنها لم تكن معظمها دقيقة .

فأنا حينما أتحدث في سبيل المثال عن هيلاج نامه فلم يكن المقصود هو الحلاج (مكتوب باللغة الفارسية ؟؟؟ مثلما تفترض أنت) بل هي كلمة هيلاج وهي كلمة مثيرة معربة ، كان لا بد أن تكتب لها ملاحظة .

(حيث إن البرهان القاطع يردها إلى الإغريقية ، ويقول إن معناها هو ماء الشباب ، واستخدمها ابن الرومي في معنى فلكي في بيت شعري شهير ، وهو موضع الكدخدا والهيلاج) .

أشكرك على صلواتك لأختي

تقبل يا أبتي المبجل وصديقي تحياتي الموقرة لصلواتي في قديستنا لوحدة قدسية الكنيسة وتباركك وتساعدك وتحميك وترشدك وتقويك .

لويس ماسنوين

١٩١٣/٩/١٧

== المكتبة ولم يعاين الأرض معاينة حقيقية ، وهكذا أخطأ لسترنج بتحديد موقع قبر الجنيد ، كما انتقده ماسنيون في مقالته :

Bagdad et sa topographie au Moyen Age, deux sources nouvelle, Acad. Des IbL, C.R. 1911, pp18-24.

رسائل العام ١٩١٤
وعددها ٣ رسائل

الرسالة الأولى
٢٢/شباط/ ١٩١٤

أبتي العزيز وصديقي

كانت الغاية من إرسال ٢٥ نسخة من كتاب الأمثال هو بيعها لصالح مجلة لغة العرب ، إني أعلم بأن هذا الكتاب لا يتضمن الدقة التي كنت أطمح إتمامها فيه ، إلا أنه يمثل وثيقة هي الأولى من نوعها حول اللغة العامية (نصف المتعلمة) في بغداد وفي القرن الخامس الهجري ، وكنت سعيدا بمساهمة مادية كهذه في أعمالك .

لم يخطر في بالي أن هذا الأمر سيثير انزعاجك ، وإن فعلت فإني آسف على ذلك .

عرفت دوسن(١) من مدة طويلة في استنبول ،له عقل متميز وراق ، وهو رجل مؤيد للكنيسة بيد أن صحبته سيئة ، وهنالك خطر عليه في الذهاب إلى بغداد ،لقد أنيط بمنصبه الآن إلى غي دوكايفا الذي تعرفت عليه في القاهرة وأنا أحبه كثيرا .

سوف يتناقش معك في الفلولوجيا ، كان قد نشر في السابق كتاب

---

(١) مستشرق فرنسي ، أستاذ في جامعة بروكسل ، متخصص في الأكادية واللغات السامية ، شارك في حفريات المعرة في العراق .

الأشربة لابن قتيبة[١] في المقتبس .

أتيت هنا مع زوجتي الشابة[٢] لأريها الصحراء التي أحبها كثيرا ، ومن ثم سأعود إلى باريس لأقضي سبعة عشر يوما في العسكرية .

أنهيت بفضل الله أطروحة الدكتوراه عن الحلاج وسلمتها إلى السوربون ، أصلي إلى الله أن تكون هذه الأطروحة عملا صالحا .

أنا باق على تفاني المخلص لك ولطريقك في قدسيتنا وسيدتنا

---

(١) كتاب الأشربة لأبي محمد عبد الله ابن قتيبة الدنيوري ، الفقيه والمحدث الذي ولي قضاء دينور زمنا ، اشتهر بمؤلفاته العديدة ومنها الشعر والشعراء ، وأدب الكاتب وعيون الأخبار ، وكتاب المعارف ، وكتاب الأشربة الذي نشره المستشرق الفرنسي دوكايفا في العام ١٩٤٠ .

(٢) عقد ماسنيون على الآنسة مارسيل دانزر في العام ١٩١٤ ، وقد أخذ زوجته وذهب إلى صحراء سيرت ، وكان ينوي لقاء الأب فوكو ، واتفقا على اللقاء في عين صلاح في الجزائر إلا أنه لم يفلح ، كما يقول ماسنيون في كتابه La Parole Donnée ، كتاب العهد .

وفي رسالة من محمود شكري الآلوسي إلى الأب انستاس ماري الكرملي مؤرخة في ٢٢ شباط من العام ذاته ، يقول فيها : «هذا وقد وردني أمس من صاحبنا الماسنيوني كتاب باللغة الفرنسية يدعونا إلى حضور عقد نكاحه إلى باريز ، وقد دعاني إلى محل قريب ، وعلى كل حال نشكر التفاتته إلى كافة أحبته ، وأرجو العفو عن هذا التحرير ولو لا أمركم لأخرت الجواب إلى الغد» .

وفي ٢٥ شباط رسالة محمود الآلوسي إلى الأب أنستاس «وذكرت لكم سابقا إنه ولابن العم (يقصد الحاج علي الآلوسي) كتاب من والدة لويز ووالدة زوجته وها هو مقدم إليكم ، فإن رأيت لزوم كتابة جواب حسب العادة المرعية عندهم ، فأرجو إتعاب بنانكم بكتابته بالفرنسية ووضع إمضائي وإمضاء ابن العم وإرساله مع محرركم إليهما» . أدب الرسائل بين الآلوسي والكرملي ، ص ٣٣٦ .

والقديس جوزيف في المشاركة المقدسة للكنيسة .

أبتي العزيز وصديقي

لويس ماسينون

١٩١٤/٢/٣٣

استلمت من الأب بيير رسالة رقيقة وهو الآن في دير ب .س . بالماس ، بني قاسم ، من فالنس-اسبانيا وهو يحبك كثيرا .

الرسالة الثانية
٥/أيار/١٩١٤

أبتي المبجل وصديقي

تذكرك أثر في نفسي كثيرا ، وكذلك هذا النص الذي يعود للمناوي[١] الذي ضاعف من قيمته كونه جاءني منك .

قل لي كم هو المبلغ الذي أدين به للناسخ ، وإن كان الفرنكان اللذان أضفتهما إلى حوالتي الأخيرة (عن تكاليف قداس يوم ٢٧ كانون الثاني) كانا كافيين لهذا القداس؟

أرسلت لك نسخة من النص الرابع عن الحلاج تحية واعترافا بالجميل .

---

(١) عبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري ، المتوفى في العام ١٠٣١ هجرية/١٦٢١ ميلادية ، وكتابه هو (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) وفيه تراجم الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والمتصوفة ، طبع في مطبعة الأنوار في القاهرة في العام ١٩٣٨ .

أما فيما يخص الكتابين :

تجارب الأمم لابن مسكويه[١] ، فقد تم نشره ناقصا من قبل غوجيه[٢] (مقطوعات من التاريخ العربي الجزء الثاني ١٨٧١) وكاملا في طباعة تصويرية من قبل كايتاني[٣] (تحت الطبع مجموعة خوسيه جيس /لوزان-لندن ، ظهر الجزء الأول (حتى ٣٧ هجرية) والجزء الخامس (من ٢٨٤-٣٢٦ هجرية) الجزء السادس تحت الإعداد .

أنا لا أعرف الموعب ؟؟ ولا أستطيع أن أطابقه مع الإمام أبي غالب التياني وسأكتب إلى السيد غولدتسيهر حول هذا الموضوع .

أرجو من الله أن يباركك أنت وذويك في الرسالة .

أوحد بوقار صلواتي مع صلوات أهلك .

لويس ماسنيون

الاثنين

١٩١٤/٥/٥

---

(١) (تجارب الأمم وتعاقب الهمم في التاريخ) لأبي علي أحمد بن محمد بن مسكويه ، المتوفى في العام ٤٢١ ، ذيله أبو شجاع محمد بن الحسين وزير المستظهر المتوفى في العام ٤٨٨ ، ومحمد بن عبد الملك الهمذاني ٢٤٤ ، وقد طبع الكتاب عدة طبعات ، ومنها طبعة مرجليوث وإمدروز في العام ١٩٠٤ .

(٢) م ج . غوجيه مستشرق فرنسي شهير له عدة مصنفات عن تاريخ القرامطة ، منها (قرامطة البحرين) الذي صدر في العام ١٨٦٢ ، و(قرامطة البحرين والفاطميين) الذي صدر في العام ١٨٦٤ ، وكتاب (فتوحات الشام المنسوب إلى أبي اسماعيل البصري) صدر في العام ١٨٦٦ ، و(احتلال سوريا) في العام ١٨٩٠ .

(٣) ليون كاتياني مستشرق إيطالي من علماء التاريخ العربي ، ولد في روما في العام ١٨٦٩ وتوفي فيها في العام ١٩٢٦ له (حوليات الإسلام) في عدة مجلدات .

الرسالة الثالثة
٢٥/تموز/١٩١٤

أبتي المبجل وصديقي

فكرت بك مليا في يوم سيدتنا في جبل الكرمل هذا الصباح في الكنيسة ، وليشكرك الله عني على كل ما أدين لك به وليباركك الله في كل أعمالك الرسولية .

هل بإمكانك أن تشتري لي عن طريق أحد المسافرين إلى عانه (غرب الفرات) ستة قمصان من القطن شبيهة بتلك التي اشتريناها سوية في العام ١٩٠٨ ، وتلك التي اشتريتها لي عند عودتك في العام ١٩٠٩ ، سأحتاج إليها فعلا لأنها تبلى ، خبرني عن المبلغ الإجمالي فضلا عن مبلغ الإرسال المسجل . شكرا!

أدين لك سلفا بثلاثة فرنكات ولكنك مدين لي ب٦٥,٥ فرنكا ، لأني طلبت من غوتيه[١] أن يحسب علي مبلغ البردكلتون الذي أوصيت عليه لأجلك ، لقد انتظرت إلى الآن لكي أكتب إليك هذه الرسالة وأعلن عن إرساله إليك ، ولكني أعتقد بما أني لم أستلم أي رد إلى الآن فإن الكتاب لم يرسل بعد ، فالمؤلف هو تحت إعادة الطبع على ورق من ستة عشر وهو غير متوفر الآن .

لا أظن حسب علمي أن الأب شيخو هو الذي كتب خرافات القرآن

---

(١) ليون غوتيه ، مستشرق فرنسي تخرج من جامعة باريس ، عين أستاذا للفلسفة الإسلامية في الجزائر ، نشر (حي بن يقظان) لابن طفيل ، (الدرر الفاخرة) للغزالي في العام ١٨٧٨ ، ترجم (الكشف في مناهج الأدلة) لابن رشد في العام ١٩٠٥ ، (فصل المقال) لابن رشد ، ونشر مقالته (الحلاج) في مجلة تاريخ الأديان في العام ١٩٢٥ .

ولعله زيفنون الميتودي والمعادي جدا للكاثوليكية (لم يترجم إلى الإنجليزية(!) مؤلفا لأحد الكاثوليكيين بل نشر مؤلفا لأحد البروتستانيين (كلديساك) وهو اسم مستعار، والكتاب بعنوان «ما في الكتاب الشريف من التحريف») .

تقود مجلة المنار سجالا عنيفا معاد للمسيحية، فهي تتهم الكاثوليكيين بأنهم يقولون إن المسيح هو ثمرة زنى ثلاثي (فهناك من سلالته رحاب بيزانة ، الخ)[1] .

إني متألم جدا من هذا الهجوم الخبيث والصادر من رئيس المجلة (رشيد رضا) الذي كان شقيقه صديقا لي .

لا أخبار لدي عن شكري أفندي ولا عن حاج علي وهذا يحزنني كثيرا، قل لهما إني أحبهما كثيرا، وإني أذكرهما أمام الله، وذلك لعظيم طيبتهما التي منحاني إياها والثقة التي غمراني بها أنا الغريب الضيف، سلمهما الله تعالى، قل لهما إن رؤوف قد أتى أخيرا لرؤيتي في باريس .

فيما يخص كتاب العين[2] ، كتبت إلى غولدتسيهر فهو الذي يعطينا

---

(١) وقد طلب الأب الكرملي مجلة المنار من محمود شكري الألوسي فجاء جواب الأخير في رسالة مؤرخة في ١١/تشرين الثاني/١٩١٤ :
«اليوم تحريت ما عندي من أجزاء المجلد السادس عشر من مجلة المنار، فكان الذي وردني منه الجزء الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والتاسع والعاشر وهو ينتهي إلى صحيفة ٨٠٠، ولم يكن مطلوبك في هذه الأجزاء ، فإن أحببت الوقوف عليها فهي دون أمركة "أدب الرسائل بين الألوسي والكرملي ص ٣٥٢ .

(٢) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى في العام ١٧٥ هجرية/٧٩١ ميلادية ، نشر الأب الكرملي قسما منه بـ(١٤٤) صفحة في بغداد في العام ١٩١٤، وقد حقق الدكتور عبد الله درويش الجزء الأول منه وصدر في مطبعة العاني في بغداد في العام ١٩٦٧، ثم قامت وزارة الثقافة والإعلام العراقية بنشر سبعة أجزاء منه ١٩٨٠-١٩٨٤ بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي .

أفضل النصائح المتعلقة بالإعلان .

أنا ممتن لك بما تخبرني به من أحداث تجري هناك ، والتي تهمني كثيرا ، وعن سيرة الرصافي والزهاوي .

استلمت عدد تموز من لغة العرب ، وأرحب بمدحك العطوف مع إحساسي التام بعدم جدارتي بها ، أطبع مجلدي الضخم(١) (قبلت الجامعة بالأطروحة) حول الحلاج ، وصلت إلى الصفحة(٢) ، وبقي ما يزيد على ٧٠٠ صفحة أصلي ليمكنني الله من إنجازها سريعا وبصورة جيدة .

فيباركك الله أبتي العزيز وصديقي مع كل بعثتك اللاتينية الأب المبجل ليون ميشيل والأب لويس ، وكل معاونيك .

لتكن لديك ذكرى صغيرة بيتي وزوجتي ، وإلى كل ذوينا أمام التذكارية التي وضعتها أمام محراب سيدتنا في بغداد ، فليجعلنا الله أن نعمل بمشيئته المقدسة .

هل بإمكاننا أن نحبه ، وأن نجعله يحبنا أكثر .

أوحد بإجلال صلواتي إلى صلواتك

لويس ماسنيون

١٩١٤/٧/٢٥

---

(١) يقصد كتابه وجد الحلاج .

(٢) هذه الرسالة هي تهنئة بسلامة الكرملي بعد احتلال الإنجليز لبغداد في ربيع العام ١٩١٧ ، وقد حدثت معارك على مشارف المدينة ، وانسحب الجيش العثماني ليلا بقيادة خليل باشا بعد أن فجر باب الطلسم بالبارود ، ودخل الجيش الإنجليزي بعد يومين ، وخلال عدة أيام عاشت بغداد أياما مرعبة من السلب والنهب والقتل ، وقد تعرضت مكتبة الكرملي للاعتداء .

رسائل العام ١٩١٧
وعددها رسالتان

الرسالة الأولى
٢٧/حزيران/١٩١٧

أبتي العزيز وصديقي

الحمد لله على الخبر السعيد لخلاصكم الذي نقل لي في روما ، وأكدته نسخة من رسالتك في ٦ نيسان أرسلتها لي والدتي .

لا بد أنها قد روت لك تقلبات حياتي للعامين الفائتين(١) ، أنا حاليا في بعثة في الجبهة العربية مع ميناء القيد في القاهرة في الوكالة الدبلوماسية لفرنسا(٢) ، إنه أمر مهم ولعله مفيد حتى إني أفتقد رفاقي في

---

(١) في رسالة من الآلوسي للكرملي مؤرخة في ١١/تشرين الثاني/١٩١٤ جاء مايلي :
ما أدري ما صنع الله بصاحبنا المسنيوني ، صانه الله من حوادث الزمان ، وقد تشوش الفكر من أجله ، نسأله تعالى حسن العواقب وتهوين المصائب ، وفي رسالة أخرى مؤرخة في ١٢/تشرين الثاني/١٩١٤ جاء ما يلي :
«إني أشكركم على بيان ما استوجب راحتي وسكون اضطراب فكري ، وسأبشر ابن العم بمسر أخبار صاحبنا الأعز الماسينيوي ، راجيا تبليغ والدته سلامنا وحسن أدعيتنا الخيرية لولدها ووالديه ، وسلامنا عليه ، ولا زلتم محفوفين بالسلامة . . . "أدب الرسائل بين الآلوسي والكرملي» ، ص٣٥٣ .
كانت تعبئة ماسنيون في ١٥/آذار/١٩١٥ وأصبح في الزواوي الأول ، ثم ألحق بحملة الدردنيل ، في العام ١٩١٦ .

(٢) وهو مكتب الخدمات السرية في القاهرة .

الفـيلق ٥٦ للمـشـاة الكولنيـالي[١] ، والذين تعلمت مـعـهم تأمل الموت ووجود الله .

فليـسـمح الله لي يا أبتي العـزيز وصـديقي لأنه أجـاز لنا أن نشـارك شخصيا بآلام الزمن الحاضر ، وأن يمنحنا طرفا من صليبه المبارك .

سترى ربما هناك الكولنيل ليجمان[٢] وهو إنجليزي كنت معه في جدة وفي عدن .

بلغ احتراماتي وإخلاصي إلى الأب ليون ميشيل ، وإلى الأب المبجل لويس ، وإلى الأب المبجل أوجيه ، كما أريد أن تبلغ أصدقاءنا آل الآلوسي تحياتي ومودتي عندما تنقل لهم هذه الرسالة .

صلواتي الموقرة لك ، أبتي العزيز جدا ، وفي المشاركة المقدسة للكنيسة المناضلة ، وفي القلب المقدس جـدا للمـسـيح ، وفي القلب الطاهر لمريم في المنزلة المقدسة في الجليل .

لويس ماسنيون

١٩١٧/٦/٢٧

إن أبتي المبـجل م .ب .شـارل دو فوكـو[٣] الذي كنت مـرتبطا بالعـمل معه رسميا قد قتل في الصحراء في اليوم الأول من كـانون الأول الماضي ،

---

(١) الفـيلق الذي شـارك في الحرب في صربيا ، وقـد حـصل مـاسنيـون على وسـام الحرب لشجاعته في القتال هناك ، وبعدها نقل إلى الجبهة العربية .

(٢) كولنيـل إنجليزي ، كان قـائدا مهـما في الجيش البريطاني الذي احتل العـراق في العام ١٩١٧ ، قتل في المنطقة الغربية على يد العشائر أثناء ثورة العشرين .

(٣) قتله أحد الثوار الجزائريين في الصحراء ، وهو السنوسي سرمي من الطوارق .

أطلب منك صدقة ، اذكره أمام الله لأجل ما قام به من عمل خير ولكي لا يموت هذا العمل(١) .

تجدون طيا كتيبا عنه طبعته هنا .

الرسالة الثانية
٥/تشرين الأول /١٩١٧

أبتي العزيز وصديقي

إني متأثر جدا من جوابك الصائب .

إن الأخبار التي تمنحني إياها عن كل شيء هي في غاية الأهمية نسبة لي .

أفوض إلى صلواتك على نحو خاص جدا ، عمل الأب المبجل دو فوكو ، الذي يبدو أن مثواه الأخير سيكون في القاهرة ، هل تعلم أن عمله كان هدفه الأساس هو إخواننا المسلمون .

أكتب لك من معسكر في الصحراء(٢) ، حيث أنا موجود مع كتيبة عربية تحتاج إلى إعادة تنظيم ، إنها مكونة في معظمها من البغداديين

---

(١) يقول ماسنيون في كتابه العهد : « . . . وقد بلغني خبر وفاة فوكو في رسالة وجهتها لي زوجتي في كانون الثاني ١٩١٧ (تأريخ زواجنا) ، وأرفقت بها قصاصة من جريدة الأزمنة تعلن مقتل فوكو في الصحراء ، وقد تملكني لحظتها شعور غريب ارتفعت خلاله فوق ذاتي وصعدت ، وقد تملكني فرح مقدس إلى متراس الخندق المغطى بالثلوج ، وقلت لقد وجد خلاصه ، لقد وجد مبتغاه» .

La Parole Donnee, P67.

(٢) رقي بصفة ضابط مساعد في المفوضية الفرنسية العليا في سوريا وفلسطين وكليكلة في الفترة الممتدة من ٢٧ آذار ١٩١٧ إلى ٢٨ نيسان في العام ١٩١٩ .

المسلمين ، وعـدت في الحـال إلى اسـتـخـدام ال(الماكـو) و(مكيف) و(هوايا)[1] البغـدادية ، وهذا جعلني أتذكر الزمن الماضي ونعم الله وعدم وفائي له .

كل شيء تم حسابه على نحو رائع من قبل الرحمة السماوية ، أمام كل ما تهبنا إياه أشعر بفقر إرادتي .

لا تنس صديقي البغدادي القديم الحسين بن منصور الحلاج ، وتقبل مودتي وإخلاصي في المشاركة المقدسة للكنيسة .

لويس ماسنيون

١٩١٧/١٠/٥

أنا سعيد لأنك تعرف المس ج . بل .

(١) كلمات بالعامية العراقية (ماكو تعني لا يوجد ، كيف تعني فرحان ، هويا تعني كثيرا) .

رسائل العام ١٩١٨
رسالة واحدة

الرسالة الأولى
١٦/آيار/١٩١٨

أبتي العزيز وصديقي

أعهد بهذه الرسالة إلى الكونت سيار الضابط في أركان حرب- مبعوث الحكومة الفرنسية لدى المقر العام للجيش في بلاد الرافدين .

أنت تعلم بأن الحكومتين في فرنسا وإنجلترا ، مكلفتان سوية بالقضية العربية ، إن حكومة فرنسا لديها مصالح خاصة في الجزيرة وفي سوريا وهي مصالح معترف بها في المواثيق ، ويقع على عاتق فرنسا أن تضمن إلى الحكومات العربية المستقلة التي ستتشكل في هذه المناطق بعد الحرب الاستقرار والأمن والحضارة .

إن البعثة السياسية الفرنسية التي أشارك فيها ، والتي يترأسها السيد جورج بيكو[١] ، مكلفة بالتحضير لهذه المسائل (. . . ولهذا الغرض تمت دعوتها . . .)[٢] .

---

(١) وهي معاهدة سايكس- بيكو سيئة الصيت بين وبريطانيا وفرنسا ، والموقعة في لندن ، والتي نصت على إعطاء العرب حقوقهم واستقلالهم مقابل مساندتهم للحلفاء بالتحرر من الدولة العثمانية ، وكان اللورد سايكس ممثلا لبريطانيا بينما جورج بيكو كان ممثلا لفرنسا ، وقامت روسيا (الطرف الثالث في الاتفاق) بفضحها بعد الثورة البلشفية ، وتم بموجبها التنكر للحقوق العربية وتقسيم المنطقة العربية بين بريطانيا وفرنسا ، وكان ماسنيون مساعدا ومستشارا لبيكو ، وكان لورنس مساعدا ومستشارا للورد سايكس .

(٢) . . . كلمات ساقطة من الرسالة .

القطعات الحليفة العاملة في فلسطين ستذهب للإقامة بالغرب ونحن الآن في أورشليم منذ ستة أشهر ، حيث البابا لم يعترف لنا بالحماية الدينية التقليدية إلا بعد مؤامرة صغيرة ، وقد حصلت عليها بعثتنا لتستطيع ممارسة سلطانها خلال الأسبوع المقدس في قبر السيد المسيح حتى الخميس المقدس ، وبوصفي مساعدا لرئيس الحملة فقد تناولت القربان رسميا باسم بلدي أمام القبر المقدس .

إن اللعبة الحاسمة تلعب الآن في فرنسا .

أسافر هذه الأيام إلى فرنسا بإجازة حيث تركت أهلي منذ ثلاثة أشهر مضين ، وحان الوقت لأراهم إن أراد الله .

صلٍ من أجلي أبتي

ولكل الأعمال التي رغبت بإنجازها إذا أرادها الله لبلدي وللكنيسة (ولأجل إرساليتك) .

بلغ تحياتي المخلصة إلى المس بل إن لم تكن قد غادرت بعد[1] .

لويس ماسنيون

١٩١٨

---

(١) وقد كتب الألوسي رسالة مؤرخة في ١٤/تشرين الثاني/١٩١٩ إلى الأب الكرملي جاء فيها :

«وقد شكرت فضلكم عن إرسال كتاب لويز ماسنيون ، وقد سألت الخاتون (يقصد المس بل) عنه إذ مرت على باريس ، فقالت متأسفة إنها لم تجتمع به» أدب الرسائل بين الألوسي والكرملي ص٤٧٨ .

رسائل العام ١٩١٩
وعددها ثلاث رسائل

الرسالة الأولى
٢٢/كانون الثاني/١٩١٩

شارع مسيور

باريس

أبتي العزيز وصديقي

في ذكرى عيدك أحرص على أن أعيد عليك أمنياتي المخلصة أمام الله .

تذكرني عند إخوتك والإرسالية عند د .س .ج .الميجر بيرنه .

تحياتي الدينية

لويس ماسنيون

١٩١٩/١/٢٢

الرسالة الثانية
٢٢/تموز ١٩١٩

أبتي العزيز وصديقي

عدت كما هو الحال في كل عام ، ومنذ أحد عشر عاما في رحلة تأمل ضائع ووقور في النعم التي غمرتني بالقرب منك ، وذلك عند عودتي إلى

الكنيسة في حلب وبعلبك وبيروت خلال أسبوع القلب الأقدس وهو أسبوع السلام .

أفكر أما الله بأصدقائنا المسلمين أكثر من أي وقت مضى ، سيصطفون على ما أظن إلى جانبنا عند حصول المحن الأخيرة ، وعندما تصبح الساعة قريبة ، لأنهم مؤمنون ، وهذا الإيمان ليس فضيلة طبيعية من الدين حسب ، إنما شيء أكبر من هذا ، إنه بركات لله[1] وهو يستجيب لإبراهيم الحائر :

«لقد سمعت نداءك من أجل إسماعيل ، إنني أباركه ،
وسأجعله خصبا . . . وسأجعله عظيما»[2]

أنضم معك بعمق في هذه الكنيسة المقدسة إلى صلاة المجلوس ومع كل ذويك .

فليبارك الله صنيعك والإرسالية اللاتينية الغالية في بلاد الرافدين .

المخلص لك باحترام جدا

لويس ماسنيون

الرسالة الثالثة
٢٤/كانون الثاني/١٩١٩

أرفق طيا رسالتي إلى الأب المبجل لوي

أبتي العزيز وصديقي

أشكرك كثيرا على أخبارك الجيدة التي استلمتها في بيروت ثم

---

(١) كتب وعد الله ثم شطبها وكتب بركات الله .

(٢) كتبها ماسنيون باللاتينية .

سررت بتقديمي إلى أخيك في حلب ، وهو في صحة جيدة .

أكتب لك من دمشق وكما ترى فإني كثير التنقل ، إن ما تقوله عن الحالة النفسية في بغداد يعزز مخاوفي . ماذا تتوقع؟ في هذه الإعادة لبناء العالم التي تجري حاليا ، هناك على فرنسا واجب ملح هو الحرص على ما هو أكثر إلحاحا ، فبعد القضية الألمانية تأتي القضية السلافية ، ويأتي دورنا نحن الذين نعنى بالقضية العربية على الخط الثالث .

أنا أعاني بقدر ما تعاني أنت ، ولكن قربي من أوربا وسماعي للراديو يجعلني أدرك على نحو أفضل مما لو كنت في بغداد ، التغيرات الكبيرة التي تجري في العالم ، والتي هي في صالح فرنسا إلى حد كبير .

سيكون لهذا صداه هناك على الرغم من بعض الأطماع الانحرافية .

إن القضية الصهيونية في بغداد مهمة للغاية ، وإني آسف لعدم متابعتي لها عن كثب ، إن المسلمين هنا في دمشق معادون عنيفون للصهيونية .

بلغ مشاعر الود والإخلاص إلى شكري أفندي وحاج علي ، يعلم الله ما أحمله أمامه كل صباح من ذكرى متحمسة لأصدقائي في بغداد .

أفوض أمري بإجلال مع كل ذوي . أبتي المبجل وصديقي إلى قرابينك وصلواتك

لويس ماسنيون

الخميس

١٩١٩/١/٢٤

الفهرس

THOUGHT



ماسينيون في بغداد

من الاهتداء الصوفي إلى الهداية الكولونيالية

◆ هذا الكتاب

هو قصّة الرسائل الثلاثمئة الّتي عثر عليها علي بدر بالمصادفة ، في متحف المخطوطات العراقيّة ، أواخر التسعينات ؛ وهذه الرسائل مرسلة من المستشرق الفرنسيّ الكبير **لويس ماسينيون** إلى علامة اللغة العربيّة العراقيّ **أنستاز الكرملي** ، وتحكي بشكل شائق رحلة ماسينيون إلى العراق ، في العام ١٩٠٨ ، بحثا عن قصر الأخيضر جنوب بغداد ، حيث يلقى القبض عليه ويتّهم بالجاسوسيّة ، ثمّ يحكم عليه الضابط العثمانيّ بالإعدام ، غير أنّ تدخّل آل الآلوسيّ (كبار علماء الدين في بغداد) هو الّذي ينقذ ماسينيون من الموت ، ويردّون لماسينيون ـ إثر توسّطهم ـ حياته ، ثمّ يهدونه خاتمًا مختومًا بعبارة (**محمّد عبده ماسينيون**) ، ويوصلونه إلى حدود العراق مع سوريّة ، ومن هناك يأخذ الباخرة ويعود إلى باريس ، غير أنّ هذه التجربة المشابهة لتجربة دوستويفسكي ، في تجربة الموت الصوريّ ، تحوّل ماسينيون إلى التصوّف ، حيث يكتشف هناك الحلاّج ، ومدرسة التصوّف في بغداد ، ويبدأ بهذه الرسائل الّتي يصوّرها ماسينيون رحلتين : رحلته الشخصيّة ورحلة كتابه (**وجد الحلاّج**) الّذي بلغ ثلاثة آلاف صفحة ، وهي أكبر دراما فكريّة عن حياة صوفيّ مسلم . حصل هذا الكتاب على شهادة تقديريّة من جامعة نونتر في باريس لبراعة التحقيق ، والتوثيق العلميّ والفكريّ .

◆ علي بدر

روائي عراقيّ حصلت رواياته على الكثير من الجوائز ، وترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبيّة .

ISBN 978-9953-36-371-4
9 789953 363714

